



نديم للترجمة

فرانسوا ريكاناتي

فلسفة اللغة و«الذهن»

ترجمة
د. الحسين الزاوي

ابن النديم للنشر والتوزيع

دار الروافد الثقافية - ناشرون

فهرس المحتويات

القسم الرابع
اللغة، الفكر والكون

فرانسوا ريكاناتي هو مدير بحث في (المركز الوطني للبحث العلمي- فرنسا CNRS) ومدير الدراسات في المدرسة العليا للدراسات في العلوم الاجتماعية، وهو بالإضافة إلى ذلك بروفيسور عضو في جامعة سان أندروز (Saint Andrews) ومشرف بالمدرسة العليا للأساتذة في فرنسا. درّس في العديد من الجامعات الأمريكية، وبخاصة في بريكلي وهارفارد. معروف على المستوى الدولي بأعماله حول فلسفة اللغة والذهن. له العديد من الأعمال والمؤلفات، نذكر من بين آخر ما صدر له منها قبل هذا الكتاب، "المعنى الحرفي" عن منشورات لكلا 2007، (*Perspectival Thought*) عن منشورات جامعة أكسفورد 2007.

توطئة

لم نشأ أن نكتب مقدمة لهذه الترجمة لأن المؤلف نفسه استعاض عنها بتمهيد مقتضب في غاية الدقة قدّم فيه فكرة واضحة عن طبيعة هذا العمل، وليس لدينا أدنى شك في أن القارئ العربي سيجد في هذا التمهيد كل ما يتعلق بفصول وأقسام هذا الكتاب من مفاهيم وأفكار وأطروحات نظرية، وذلك علاوة على التفاصيل المتعلقة بحيثيات إنجاز هذا العمل. وعليه فقد فضلنا الاكتفاء بتقديم توطئة مكمّلة لتمهيد المؤلف من أجل مناقشة بعض العناصر المتعلقة بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية؛ وبخاصة في ما يتصل بتعريب بعض المصطلحات التي تثير نوعاً من الالتباس والغموض في الفكر العربي، نتيجة لاختلاف اجتهادات الباحثين العرب المهتمين بمجالات الفلسفة والعلوم اللغوية المعاصرة.

يتوجب علينا أن نؤكد منذ البداية أن مضمون هذه الدراسة يختلف إلى حد بعيد عن المقاربات التقليدية المتعارف عليها في فلسفة اللغة، حيث يعلن الكاتب في مستهل عمله أنه يسعى إلى مناقشة الانتقال الذي حدث لدى الكثير من الفلاسفة المعاصرين من فلسفة اللغة نحو فلسفة الذهن. كما أن هذا العمل لا يمثل في اللحظة نفسها عملا مستقلا في سياق الدراسات المتخصصة في فلسفة الذهن؛ يتعلق الأمر إذن بمحاولة جادة ودقيقة من أجل الحديث عن نظرية شاملة للمحتوى تعالج في الوقت نفسه الإشكاليات المرتبطة بـ"لغة" الفكر من جهة وبلغة اللغة أو لغة الألسنة البشرية المختلفة من جهة أخرى. وذلك اعتمادا على المطارحات النظرية للفلاسفة واللسانيين الذين يتحدثون بإسهاب عن "اللغة" المستقلة التي يمتلكها الفكر والتي تؤثر بشكل حاسم على أنماط التفكير الإنساني.

يذهب فرانسوا ريكاناتي إلى القول إنه إذا كانت اللغة تعتمد على استثمار الكلمات وتوظيفها من أجل بناء الجمل، فإن الفكر أو بالأحرى "لغة" الفكر تعتمد على استثمار المفاهيم وأحيانا على إبداعها من أجل بناء الأفكار، وهذا التوليف الذي يحدث في سياقي اللغة والفكر لا يُعدّ مجرد رصٍّ أو رصفٍ وتنضيدٍ للكلمات والمفاهيم بل هو تركيب نسقي في منتهى التعقيد لهذه الكلمات والمفاهيم. ومن ثمة فإن هوية مكوّنات الجمل والأفكار مهمة في حد ذاتها وليست مجرد عناصر مغفلة موجّهة للبناء والتركيب، كما أن موقع هذه المكوّنات يفوق من حيث الأهمية المكونات نفسها. إن الفكر يمتلك تركيبا ويتوفر على نسق دلالة خاص به تماما مثلما هو الشأن بالنسبة للغة، لأننا نتحدث عن منظومة متمايزة خاصة بالفكر حتى وإن لم تكن مستقلة استقلالا كاملا عن اللغة، من منطلق أن كلا العنصران يحيلان إلى بعضهما. وإذا كان معنى الجمل متوقف على معنى الكلمات المكونة لها وعلى طريقة تركيب هذه الكلمات، فإن دلالة الأفكار تتشكل بناءً على دلالة المفاهيم وعلى أسلوب تركيبها في سياق نسق الأفكار، ومع ذلك علينا أن نأخذ حذرنا من فرضية "لغة" الفكر، بالرغم من تسليمنا بأهميتها الإجرائية من أجل فهم البناء المعقد والمتكامل الذي يحمله عالم الأفكار، لأننا سنصل في نهاية التحليل إلى نوع من التوليف الجدلي والإبداعي بين اللغة والفكر وبالتالي فإذا كانت فلسفة اللغة تساعد فلسفة الذهن في بناء وفهم أسسها فإن فلسفة الذهن تساعد بالقدر نفسه فلسفة اللغة على إعادة النظر في مفاهيمها ومسلماتها وفي فهم مكوناتها ونمط اشتغالها.

لا مندوحة أن نعترف في كل الأحوال أن اللغة لا تستطيع أن تنفصل عن الأفكار وعن الذهن، لأن محتوى الأقوال ناجم -بشكل تكويني- عن محتوى الحالات الذهنية التي توجد لدى مستعملي اللغة، علماً أن المحتوى نفسه يرتبط بالإحالة التي تلعب هنا دوراً أساسيا. يؤكد فرنسوا ريكاناتي في سياق متصل على أن الخاصية الإشارية تلعب دورا محوريا في منظومتي اللغة والفكر معا؛ ويذهب المؤلف، من خلال التركيز على إشكالية المعنى والمحتوى، إلى أن نظرية المحتوى تكون قابلة للتطبيق على اللغة والفكر في اللحظة نفسها، ويصل إلى الحديث عن الدور الذي تلعبه المقاربة التداولية

في بناء نظرية خاصة بالمحتوى تكون قابلة للتطبيق على هذين العنصرين أيضا أي على اللغة والفكر.

ويمكننا القول إن العمل الذي يقدمه المؤلف يندرج في سياق أدبيات البحث في فلسفة اللغة من منظور تحليلي، ومن ثمة فهو يحيل بشكل خاص على ممثلي الجيل المتأخر من هذا التقليد الفلسفي الأنجلوساكسوني الذي اهتم بشكل أساسي بنظريات المعنى وبالمقاربة التداولية. وغني عن البيان أن هذه المقاربة تبلورت بشكل أساسي بناءً على الاجتهادات المتعلقة بفلسفة اللغة العادية التي انطلقت من أعمال فتغنشتاين الثاني وتحديدا من مؤلفه الموسوم "تحقيقات فلسفية"، ولا نجد بالتالي لدى المؤلف أي أثر يذكر للاجتهادات المتعلقة بفلسفة اللغة الخاصة بما أضحى يسمى بالفلسفة القاريَّة في أوروبا التي تعتمد في مجملها على المنطلقات الفينومينولوجية والبنيوية؛ وبالتالي فإن مصطلح فلسفة اللغة يحيل، في سياق هذا الكتاب، على فلسفة اللغة التحليلية بمدارسها المختلفة بداية من غولتوب فريغه وبرتراند راسل.

لابد من الإشارة عند هذه النقطة من التحليل إلى أن التقليد النظري الذي بُنيت على أساسه فلسفة الذهن، يرفض الثنائية المتعارف عليها ما بين الذهن والجسد، ويذهب تشومسكي، وهو أحد رموز هذا التقليد، إلى أنه يتوجب علينا أن ننظر إلى المسألة المتعلقة بدراسة الملكات الذهنية وكأنها دراسة للجسد لاسيّما الدماغ، ويتم ذلك في سياق مستوى معين من التجريد. ويمكننا أن ننظر وفقاً لذلك إلى الملكات على أنها أعضاء تماماً كأعضاء الجسد[1]. ويؤدي رفض هذه الثنائية التقليدية بين الجسد والروح أو بين الجسد والذهن، إلى تجاوز الكثير من المسلمات التي تبلورت بناءً على هذا الفصل الصارم بين العنصرين في سياق الفلسفة الديكارتية.

ويدافع فودور، في سياق متصل، على فرضية ما يسميه "لغة" الفكر من خلال افتراضه أن الطفل لا يتعلم لغة الأمومة وهو خالي الوفاض،

(1) يُنظر كتاب: مصطفى الحداد / اللغة والفكر وفلسفة الذهن، منشورات جمعية الأعمال الاجتماعية والثقافية لكلية الآداب بتطوان (المغرب) - سلسلة دراسات 1995 ص48.

ولكنه يمتلك بشكل مسبق "لغة" فكرية تساعده على الاتصال بمحيطه قبل أن يشرع في اكتساب اللغة، وبالتالي فإن لغة التمثيل الداخلي يجب أن تكون من طبيعة مختلفة عن اللغة الطبيعية[2]. على أن أقطاب الفلسفة الذهنية لا يقاسمون كلهم ما ذهب إليه كل من تشومسكي وفودور خاصة بوتنام الذي دافع عن فرضية الذكاء العام وعلى ما أسماه بالتصور الوظيفي، لأنه كان يعتقد أن النجاحات التي تم تحقيقها في مجال المعلوماتية والذكاء الاصطناعي يمكنها أن تحل الصعوبات التي أرّقت الفلاسفة خلال عقود طويلة من الزمن.

ونستطيع التأكيد في السياق نفسه بأن فلسفة الذهن تشير في الغالب إلى التفكير الذي يسكنه هاجس البحث في إمكانية قيام أنطولوجيا خاصة بالظواهر الذهنية، وهي تحاول الإجابة عن سؤالين أساسيين، يتعلقان بوجود الظواهر الذهنية وبطبيعة هذه الظواهر. وتتميز فلسفة الذهن من حيث طبيعة مقاربتها عن علم النفس المعرفي وعن فلسفة علم النفس، حيث يهتم الأول بالجوانب التجريبية للظواهر الذهنية بينما يهتم الاختصاص الثاني بالمفاهيم والمناهج وبنتائج علم النفس التجريبي. أما فلسفة الذهن فتهدف إلى تقديم حساب عن ماهية الظواهر الذهنية ليس بشكل مباشر واعتماداً على أسس تجريبية، ولكن من خلال تحليل متعدد المشارب والمعاني للمفاهيم الذهنية[3]. وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أنّ تحليل المفاهيم الذهنية يثير صعوبات جمة وأساسية يتوقف عندها العديد من فلاسفة الذهن،إذ تمتلك المفاهيم الذهنية شروط تطبيق غير متجانسة من الوهلة الأولى. فنحن نُسندها من جهة أولى من "الداخل" أو الباطن على قاعدة المعرفة المباشرة التي يبدو أننا نحصل عليها انطلاقا من حالاتنا أو أحداثنا الذهنية، ونقوم، من جهة ثانية، بإسناد مفاهيم ذهنية إلى الآخر انطلاقا من ملاحظة سلوكه "الخارجي" أو الظاهري خاصة من خلال اللغة. وتكمن الصعوبة الكبرى في

---

(2) المرجع نفسه، ص72.

(3) Voir,Pascal Engel (et autre): Précis de philosophie analytique, ED: PUF 1er édition avril 2000 paris, p. 35

تفسير كيف أن المفاهيم الذهنية ومن ثمة الظواهر الواقعية نفسها يمكن مواجهتها من خلال هذين المنظورين في سياق الشخص الأول (المتكلم) والشخص الثالث (الغائب)؛ وقد سعى الفلاسفة في الغالب إلى إعطاء الأسبقية الأنطولوجية لأحدهما على حساب الآخر، مثلما كانت ومازالت النزعة الديكارتية تعطي الأسبقية للمنظور الأول[4].

ويمكننا القول، بالنسبة لمصطلح الذهن في سياق التداول الثقافي العربي، إنه يحمل تصورات مادية تبعده بشكل واضح عن مفهوم الروح، لأنه قريب من حيث الدلالة السياقية من عضو الدماغ البشري الذي تقع على عاتقه مهمة صياغة التصورات الذهنية. وبالتالي فنحن نسجل هنا تحفظنا على الترجمة الشائعة لهذا المصطلح، الذي يقابل Mind في الإنجليزية وEsprit بالفرنسية، إلى عقل لأن ذلك يؤدي إلى خلط تيار فلسفة الذهن المشبعة بالمنطلقات اللسانية التي أحدثها المنعطف اللغوي، مع التيار العقلاني الذي دخل منذ مرحلة عصر النهضة في صراع مرير مع التيار التجريبي حول طبيعة المعرفة التي يجب أن تعتمد إما على العقل وإما على الحواس ؛ ومن ثمة فإن الذهن له علاقة بالنفس وبمجموع الوظائف المعرفية مثل الفكر والإدراك ..إلخ. وهذا الجانب الوظيفي والعملي للذهن هو الذي يجعلنا نستعمل بشأن النشاطات الذهنية مفهوم الذهن وليس العقل، مع العلم أن التمثلات الذهنية منبثقة هي نفسها من الذهن، بينما يحتفظ مفهوم العقل بحمولة معرفية تتصل بمجالات أخرى من البحث الفلسفي، ولا عجب في ذلك مادمنا نوافق في الغالب على فرضية أن اللغة مواضعة واصطلاح. أما بالنسبة للمفاهيم والمصطلحات الأخرى الواردة في هذه الترجمة، فقد حاولنا قدر الإمكان تجنب الارتجال والعشوائية في اختيار المصطلح المناسب، واعتمدنا على معجمية المفاهيم المتداولة لدى قطاع واسع من الباحثين العرب المشتغلين في مجالات فلسفة اللغة واللسانيات والتداولية والسميائيات، إضافة إلى المعاجم المتخصصة وقواميس اللغة.

---

(4) Ibid, PP. 35-36

تمهيد

يمثل هذا الكتاب مقدمة لفلسفة اللغة المعاصرة. وقد أضفت القوسين في ما يتعلق بالعنوان الإضافي الموسوم "والذهن" [= فلسفة اللغة (والذهن)]، لأن فلسفة اللغة وفلسفة الذهن يشكلان كلاً غير قابل للتفريق، يسمى أحيانا "نظرية المحتوى" [أو نظرية المضمون] ويهدف إلى إيضاح طبيعة العلاقات التي تقيمها التمثلات، اللغوية أو الذهنية، مع الواقع غير اللغوي أو غير الذهني.

أن يصل الترابط ما بين فلسفة اللغة وفلسفة الذهن إلى هذا الحد ربما يكون ذلك مدعاة للدهشة، أرجو أن يُسمح لي إذن أن أشرع في تقديم بعض التوضيحات المتعلقة بهذا الموضوع. سأتحدث بعد ذلك عن الظروف التي رافقت إنجازي لهذا العمل، ثم سأعرض التفاصيل المتعلقة بهيكلته وبموضوعه.

من الأمور التي أضحت تمثل واقعاً أننا بدأنا نلاحظ، منذ ربع قرن، انتقالا كثيفا لفلسفة اللغة نحو فلسفة الذهن. فمثلما كتب حديثا مارتن ديفيس Martin Davies في مجلة تحمل عنوانا معبِّراً (الذهن واللغة)*، قائلا: "إن فلاسفة اللغة الذين وجدوا في سنوات الستينات [من القرن الماضي] أصبحوا فلاسفة للذهن في الثمانينيات والتسعينيات"**[1]. هذا الانتقال هو أبعد عن

* ورد العنوان في النص الأصلي باللغة الانجليزية: (Mind and Language)

** قام المؤلف بتجميع كل الهوامش في نهاية الكتاب. (المترجم).

أن يكون غير مفهوم. هناك نقاط مشتركة عديدة ما بين اللغة والفكر، بالشكل الذي يجعل من بعض النتائج المحصل عليها من خلال دراسة اللغة، قابلة للاستثمار من منظور نفسي وليس لغوي مثلما كان يحدث من قبل. إذ أن الفكرة القائلة إن الفكر يشبه كثيرا لغة ما، تشكل هي نفسها موضوعا مركزيا في فلسفة الذهن.

يمكننا أن نشير، دون الخوض في التفاصيل، إلى خاصيتين رئيستين تشترك فيهما كل من اللغة والفكر. بداية الفكر، كما اللغة، هو [كيان]منظّم في جوهره. والأفكار قابلة للتحليل من خلال تكوينها لما نسميه بحسب ما يحلو لنا، أفكاراً، معاني مجردة أو مفاهيم. هذه التكوينات قابلة لإعادة الاستخدام بشكل لانهائي، ومن خلال الاتحاد في ما بينها تكوّن أفكاراً. ففكرة أن ماري Marie تحبّ بيير Pierre تستحضر وفقا لذلك ثلاثة تصورات: ومن أجل أن نكون قادرين على التفكير في ذلك، يجب أن تكون لدينا فكرة تتعلق بمن تكون ماري، وبمن يكون بيير، وما الذي يعنيه أن نحب. فالأفكار هي إذن تركيب لمفاهيم،بالمعنى نفسه الذي تكون فيه الجمل تركيباً للكلمات. "التركيب" يجب أن يؤخذ على محمل الجد: إذ أن الأمر لا يتعلق برصٍّ أو تكديس الأفكار من أجل تشكيل فكر ما. فداخل الجملة، تأخذ الكلمات مكانها في سياق بنية، والشيء نفسه يحدث بالنسبة للمفاهيم في نطاق الفكر. لو كان الفكر مجرد مجموع مكوِّناته، فإن فكرة أن ماري تحب بيير ستكون الفكرة نفسها القائلة أن بيير يُحبُّ ماري. والحال أن الأمر ليس كذلك: فهاتان الفكرتان مختلفتان، بالرغم من أن لهما المكونات نفسها. إذ أن هوية المكونات مهمّة، ولكن موقعها داخل البنية مهم بالقدر نفسه.

الفكر له إذن تركيب قواعدي Syntaxe. إنه يملك بطريقة أكثر وثوقا، منظومة دلالية Sémantique، وهي الخاصية الأساسية الثانية التي يتقاسمها مع اللغة. وعلم الدلالة Sémantique لا يحيل إلى الشكل (البنية)، ولكن يحيل إلى المعنى، إلى المحتوى. فكما يحدث بالنسبة للأقوال، فإن الأفكار تملك

هي الأخرى محتوى. وعندما نفكر، فإننا نفكر شيئا ما*، تماما كما يحدث عندما نتكلم، فإننا نقول شيئا ما. يشير اللسانيون إلى أن معنى الجمل يتوقف على معنى الكلمات التي تحتوي عليها وعلى الطريقة التي جرى بها تركيب تلك الكلمات. ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن محتوى فكر ما، إذ أنه يتوقف على الأفكار التي يقوم هذا الفكر باستحضارها وتجنيدها، من جهة، وعلى أسلوب التنسيق ما بين هذه الأفكار، من جهة أخرى. ففكرة أن ماري تحب بيير تختلف، من حيث محتواها، عن كل فكرة أخرى يمكن أن نحصل عليها من خلال وضع مفهوم جديد مكان أحد المفاهيم المكوِّنة للفكرة: ففكرة أن ماري تحب بيير لا تملك المحتوى نفسه الذي نلفيه في فكرة أن ماري تحب بول Paul، وفي فكرة أن ماري معجبة ببيير، أو في فكرة أن أولغا Olga تحب بيير. ولكن هوية العناصر المكوِّنة للفكرة ليست هي التي تؤخذ فقط في الحسبان على المستوى الدلالي: وهو الأمر الذي يوضحه من جديد الاختلاف ما بين الفكرتين اللتين جرى أخذهما كمثالين - فكرة أن ماري تحب بيير، وفكرة أن بيير يحب ماري. هاتان الفكرتان لهما محتويان أو مضمونان مختلفان بالرغم من أنهما يستدعيان المفاهيم نفسها، لأن الوضعية "التركيبية" syntaxique لهذه المفاهيم ليست هي نفسها في الفكرتين، وبذلك فهي تؤثر على المحتوى.

وانطلاقا من هذه النقاط المشتركة، فإن فلاسفة اللغة لا ينزلون أرضاً مجهولة عندما يصبحون فلاسفة للذهن، ويشرعون في دراسة الفكر. يمكننا أن نقول بالتأكيد، لأنهم لا ينطلقون بالتحديد من الصفر، ولكن يستخدمون مكتسبات فلسفة اللغة، فإن هؤلاء المرتدين عن أفكارهم يحملون معهم حزمة من الأفكار المسبقة، التي سيكون من الصعب عليهم لاحقا، أن يتخلصوا منها. وقد دعّم وجهة النظر هذه الفيلسوف دانيال دنيت Daniel Dennett في التمهيد الذي خصه للطبعة الفرنسية من كتابه: الموقف القصدي، عندما قال:

---

* يقصد المؤلف هنا، أن التفكير ذاته يكون شيئا ما ولا يعني بذلك التفكير في شيء ما، حرصا منه على التأكيد على شيئية التفكير تماما كما يحدث بالنسبة لعلاقة كلمات اللغة بالأشياء. (المترجم).

إن الفلاسفة الذين يتقدمون في الأرض المجهولة (ويدرسون المعرفة) من خلال إتباعهم لمسالك المنطق واللسانيات كان لديهم ميلٌ إلى افتراض أن "التمثلات الداخلية" التي تكوّن الذهن تشبه كثيراً التمثلات الخارجية التي قامت اختصاصاتهم بدراستها، من قبيل تشابه جمل مكوَّنة بشكل جيد في لغة نحوية، مع لغة الفكر. لا يتعلق الأمر هنا بفكرة عبثية؛ فعندما ندخل إلى مجال جديد فإنه من الحكمة بمكان أن نحاول استثمار البنيات التي لنا معرفة سابقة بها، وهناك أسباب عديدة تدفعنا إلى الاعتقاد أن على الأدمغة أن تستعمل أنساقاً للتمثلات، والتي من منطلق كونها أنساقاً فقط، فإن لها بعض السمات المهمة والمشتركة مع الأنساق اللغوية. ولكن علينا في المقابل أن لا نُفرط في [استغلال] الأشياء الجيّدة، ذلك أن... بعض المشكلات الأكثر استعصاءً التي تقف في وجه المنظّرين هي بمثابة منتجات فرعية لهذه الفرضية التي تمثل خطة [إجرائية] شديدة التبسيط[2].

إن "دنّيت" محق دون ريب عندما يقول إنه يجب الحذر من أي تأويل شديد الحرفية للفرضية المتعلقة بلغة الفكر، ونجد في كتابه نقاشاً مهماً بشأن هذا الموضوع[3]. التمثيل اللغوي له دون أدنى شك، حدود يجب الحرص على عدم تجاوزها. ولكن له أيضا، مثلما يقر بذلك دنيت، خصوبته، ويتوجب فقط أن نحافظ في علاقتنا معه على مسافة ملائمة، من خلال اعترافنا به في حدود ما يمثله: أي بوصفه تمثيلا analogie خصباً علينا أن نستكشفه من أجل التعرّف، عند الحاجة، على حدوده.

لقد تحدثت حتى الآن، عن أهمية الأدوات المنطقية - اللغوية من أجل دراسة الفكر، لاسيما وأن هذا الفكر يشبه اللغة، في الكثير من جوانبه. لكن هذه التفاعلية ما بين فلسفة اللغة وفلسفة الذهن تُمارس أيضا في الاتجاه الآخر: ففلسفة الذهن تساعد بالقدر نفسه فلسفة اللغة مثلما تساعد هذه الأخيرة الأخرى.

ذلك أنه ومثلما أشار إلى ذلك الفيلسوف بول غرايس Paul Grice، فإن الحالات الذهنية - [ممثلة] في المقاصد، الاعتقادات، الرغبات، إلخ - هي التي لها بداية وبشكل أوّلي محتوى، لأن محتوى الأقوال هو بشكل من

الأشكال موروث عن محتوى الحالات الذهنية التي لها شراكة معها. من منطلق أن أصوات اللغة لن يكون لها أي معنى لو أن الذين يصدرونها لا يعبِّرون، وهم يقومون بهذا الفعل، عن قصد يتعلق بالتواصل، يحمل هو ذاته محتوى معيّن. وإذا سلّمنا بأوّلية هذا المحتوى النفسي على حساب المحتوى اللغوي، يمكن القول إذن إن نظرية خاصة بالمحتوى اللغوي لا يمكن اعتبارها مكتملة ما لم يتم إنتاج نظرية المحتوى النفسي بحيث تظل [الأولى] متوقفة عليها بشكل حاسم. هنا تكمن أهمية أن ينكبّ فلاسفة اللغة أيضا على إنجاز هذه المهمة، أو على الأقل أن يشرعوا في الاهتمام بها.

هذا الموقف الذي يفيد أن كل محتوى تمثلي هو أولا وقبل كل شيء ذهني، يتعارض في الظاهر مع الفكرة، المعقولة إلى حد ما، والتي تعني أن المفاهيم التي تتكوّن منها أفكارنا هي نفسها التي توفّر لها اللغة شكلها. التعارض هو بالرغم من ذلك نسبي إلى حد بعيد، ويمكن أن نقبل بوجود تفاعل متبادل: فمعنى التعبيرات اللغوية يأتي من المحتويات الذهنية التي تعبِّر عنها، ولكن اللغة لها أيضا تأثير على محتويات الفكر. هناك بالتأكيد أشياء - ولنقل أشياء كثيرة- يتعذر على كائن فاقد للغة أن يتمثلها بنفسه، وبهذا المعنى، فإن اللغة "تشكِّل" (informe) فعليا فكرنا. (إذ بحسب مثال ديفيد كايبلان David Kaplan الذي سأذكره في الفصل العاشر، والذي يشير إلى أنه بدون اللغة، كيف سيمكننا أن نتمثل بأنفسنا واقعة أن أرسطو كان يضع نعلين؟).

إن ضرورة القيام بلفّة من خلال تحليل المحتويات الذهنية من أجل إضاءة الظواهر الدلالية، يتجلى بطريقة واضحة في مجال استرعى اهتمام فلاسفة اللغة (واهتمامي أيضا بشكل خاص) منذ ربع قرن، الأمر الذي سأتحدث عنه في الفصول الأخيرة من هذا الكتاب: هذا ما أسميه الإشارية الذهنية *l'indexicalité mentale*. ويتعلق الأمر مرة أخرى بنقطة مشتركة ما بين اللغة والفكر. إن محتوى أي قول لغوي يتوقف في الغالب على السياق، وبعض التعبيرات - التعبيرات المسماة "إشارية" "indexicales" من قبيل "أنا"، "هنا" أو "الآن"- والتي تملك وظيفة خاصة تعمل على ربط ما يقال بالوضعية غير اللغوية التي يتم فيها إنتاج القول. ف"أنا" تحيل إلى

المسؤول عن التلفظ l'énonciation، و"هنا" تحيل إلى مكان التلفظ، و"الآن" تشير إلى لحظة التلفظ، إلخ. والحال أن محتوى الأفكار يتوقف هو أيضا على السياق، بطريقة متماثلة. إذا فكرت أن "هذا الشخص سيُهشم وجهه"، فتفكيري يمثل مجموعاً من حالة الأشياء، تتضمن مجموعة من الأفراد، ولكن الفرد المقصود محدد نسبيّاً بالسياق؛ يتعلق الأمر بالفرد الذي انصبّ عليه اهتمامي في اللحظة التي أقوم فيها بتشكيل هذه الفكرة. هناك أيضا "أنا" ذهني يشير إلى المفكّر (إلى أنا الكوجيطو الديكارتي)، وهو يشير مثله في ذلك مثل "أنا" اللغة إلى المتلفظ. والواقع أنه لا يكفي أن نسجِّل هذه التماثلات، التي تدعم التوازي الموجود ما بين اللغة والفكر[4]: فكل من يهتم بالاشارية اللغوية عليه أن يعالج الانحدار الذهني للظاهرة. كيف سندرس معنى القول " هذا الشخص سيهشم وجهه" دون أن نستدعي أنماط التمثل الذهني المشاركة لعملية استعماله، أي بمعنى أدق، دون أن نستدعي فكرة أن" هذا الشخص سيهشم وجهه"؟ من أجل فهم الأقوال، ألا يتوجب علينا أن نفهم الأفكار التي تعبِّر عنها أو التجارب التي تحيل إليها؟ إن معنى التجربة هنا مهم، لكونه يفصح أنه، على الأقل في هذا الميدان، تذهب بنا دراسة اللغة بعيدا (أو من جانب) الفكر التصوري - ذلك الفكر الذي نستطيع أن نفترض أنه "مشكّل بواسطة اللغة". إذا كان من يخاطبني يقول لي " هذا الشخص سيهشم وجهه"، لن أفهم ما يقوله لي إذا لم أدرك الفرد الذي يشير إليه (أو الذي ينصب عليه اهتمامه). يتعلق الأمر هنا دائما بمسألة اللغة- لأن الموضوع له صلة بفهم تعبير ما، هو في هذه الحالة اسم الإشارة "هذا الشخص"- ولكن في هذا النوع من الحالات فإن فهم اللغة يستلزم وجود تجربة غير لغوية في الأساس.

شرعت منذ ثلاثين سنة خلت، في إصدار مجموعة من المؤلفات حول فلسفة اللغة. حيث قمت بإصدار كتاب "**الشفافية والتلفظ**" عن منشورات سوي éditions du Seuil (1979)، وأضفت في غمرة هذا الاهتمام كتاب" **الأقوال الإنشائية**" الصادر عن منشورات منوي éditions de Minuit (1981). وجاءت بعد ذلك ثلاث أعداد خاصة من المجلة وباقة من المقالات المهتمة بالمسائل نفسها لتكمّل هذه المجموعة الأولى من الأبحاث، والتي كانت

بمثابة صدى بالنسبة للمنشورات المجاورة التي أشرف عليها باحثون آخرون مهتمون بالموضوع نفسه. ولكن ومنذ مرور تلك الفترة، قمت بإصدار أعمالي في مجملها باللغة الانجليزية - كانت في حدود 6 كتب ومئات المقالات. ولكن الأمر بدا في نظر المجموعة الوطنية [الفرنسية]، وكأنني توقفت عن النشر. ويمكنني القول أني اختفيت عن الأنظار.

أعلم جيدا أن قيامي بالتخلي عن لساني الأصلي (لسان الأمومة) في إصداراتي العلمية، يمكن أن يبدو صادما وقد قمت بتقديم توضيحات بهذا الشأن في سنة 2007، عندما تبنّت منشورات لِكْلا l'Eclat فكرة حسنة تمثلت في إصدار ترجمة فرنسية لكتابي [المعنى الحرفي] Literal Meaning (الذي صدر سنوات قبل ذلك عن منشورات كامبريدج Cambridge University Press) وقلت في حينها ما نصه:

كأغلبية أعمالي الصادرة مع منتصف الثمانينيات، نُشر هذا الكتاب بالإنجليزية، وقمت بكتابته مباشرة بهذه اللغة. لا أقوم عن طيب خاطر باستعمال لغة أخرى غير لغة الأمومة من أجل إصدار منشوراتي العلمية، ولكنني لا أستطيع أن أتجنب ذلك إذا أردت أن أكون مقروءاً من طرف أقراني (المتلقين الذين أفضلهم) : ولا يمثل الفرانكفونيين من بين هؤلاء إلا أقلية صغيرة، بينما يمثل الناطقون بالانجليزية الأغلبية، وجميعهم - الناطقون بالفرنسية، والانجليزية أو غيرهم- يستعملون الانجليزية العلمية بطلاقة. غير أنني أتألم في المقابل لكوني قمت هكذا بهجران المشهد الفرنسي، الذي لم يغب بأي شكل من الأشكال عن اهتماماتي، حتى وإن لم يكن في مقدمة أولوياتي[5].

أن تكتب في لسان آخر غير لسان الأمومة هو بمثابة تجربة في منتهى الخصوبة بالنسبة للكاتب، تجربة تسمح بإدراك القوة العميقة للكتابة والأسلوب؛ ولكنها تمثل بالتأكيد تجربة مُحبِطة، وهي التي تضاعف من السعادة الخفية بطبيعتها والناجمة عن قيام المرء بالكتابة في لغته الخاصة. أتصوّر أن السجين الذي نخلّصه من أغلاله يشعر أنه خفيف وكأنه يحلق في الهواء. وبطريقة مماثلة، تثير لديّ الكتابة بالفرنسية، وتحديداً عندما تتاح لي

فرصة القيام بذلك، شعوراً بالتحرر واليُسر يمنحني متعة كبيرة. هذا الشعور، الممزوج بالرغبة في أن استأنف العلاقة الفكرية مع ما أسميته سابقا "المجموعة الوطنية" من خلال تسجيل حضوري على الساحة الأدبية الفرنسية، منحني الرغبة في أن أكتب مؤلفاً بلغتي الأصلية (بلسان الأمومة). قلت في نفسي، مادام عليّ أن أفعل ذلك، يتوجّب أن أنجز عملاً يكون تمهيديا وسهلا بالقدر الكافي بحيث لا يستوجب توفر أي زادٍ معرفي باستثناء ما يمكن أن نفترضه بطريقة معقولة لدى مشترٍ محتمل لكتاب من هذا النوع؛ علي أن أصدره في صورة تجعله في متناول الجمهور الذي أبحث عنه- ذلك الذي انقطعت عنه- بطريقة لا تفضي إلى إهدار الوقت والجهد الذي أقتطعه هكذا من عملي اليومي كباحث. ذهبت إذاً للقاء إريك فيني Eric Vigne لأقترح عليه إنجاز بحث في فلسفة اللغة لينشر في سلسلة فوليو Folio [الصادرة عن دار غاليمار Gallimard]، في سياق سياسته المتعلقة بنشر أعمال جديدة في سلسلة كتب الجيب.

بعد توقيع العقد كان علي أن أجد الوقت الكافي لكتابة هذا العمل، وذلك وسط آلاف المشاريع الأكثر حيوية في الغالب، والتي كانت تنتظر بل وتطالب، في كل لحظات حياتي كباحث، من أجل أن تُنجز. بعد مرور سنوات عديدة، وجدت نفسي غير قادر على تنفيذ العقد وكنت على وشك التخلي عنه إلى أن جاءتني الفكرة التالية. فبعد أن تم تشريفي بمنصب أستاذ زائر بقسم الفلسفة في جامعة هارفارد، وجدت نفسي مضطراً ليس فقط من أجل الإشراف على حلقة بحثية، ولكن على أن أقوم أيضا بتقديم دروس تمهيدية بالنسبة للطلبة المبتدئين والمقبلين على تخصصات متقاطعة. إن درساً في جامعة مثل جامعة هارفارد، يتوجب أن يكون في غاية التنظيم : وأن يكون البرنامج مفصّلا وأن يتم تبليغه مسبقا للحضور، إذ لا يتعلق الأمر بعمل مرتجل. حزمت أمري إذاً على أن أكتب هذا الدرس، وتبادر إلى ذهني أنه ومن أجل الإيفاء بالتزاماتي الافتتاحية تجاه دار غاليمار، يمكنني أن أعمل كمن يقوم بضرب عصفورين بحجر واحد: كان علي أن أحرّر بالفرنسية، تدريجيا، كتابا يمكن أن يستعمل كقاعدة [لتحضير] الدروس التي كان عليّ أن أقدمها باللغة الإنجليزية. وذلك ما قمت بفعله، خلال السداسي

الثاني من سنة 2004 الذي قضيته بمدينة بوسطن. (تجدون هنا وهناك أثاراً لهذا الأصل المتعلق بالكتاب من خلال الأمثلة المستوحاة من الأحداث المتعلقة باللحظة: حملة جورج بوش الابن من أجل إعادة انتخابه، إلخ) ولأنه كان علي في السنة الموالية، أن أدرِّس فلسفة اللغة بالمدرسة العليا للأساتذة بشارع أولم Ulm، فقد تمكنت من إصلاح وإعادة استخدام المخطوط.

تشير مسألة وجود كلمة علم الدلالة "sémantique" في ثلاثة أقسام من الأقسام الأربعة التي يحتويها الكتاب، بشكل واضح إلى أن الإشكالية المركزية لهذا العمل تتمحور حول المعنى، والمحتوى. وتوضِّح هذه الإشكالية بدورها بنية هذا الكتاب.

أن تكون التعبيرات اللسانية "دالة": ما الذي يعنيه ذلك؟ أميز ثلاث إجابات ممكنة. بحسب الأولى، فعل يدلّ هو (بالنسبة لتعبير لغوي ما) أن يكون متشاركاً مع تمثلات ذهنية. بالنسبة للثانية، فعل يدلّ معناه "القيام بالإحالة" أي الإحالة إلى شيء ما في العالم - إلى واقع غير لغوي (موضوع، خاصية أو حالة أشياء). وأخيرا في ما يتعلق بالإجابة الثالثة، فعل يدل، يفيد القيام بدور متميّز في هذا النشاط الاجتماعي المتمثل في الكلام.

الإجابة الأولى تقودنا إلى ما هو غير لغوي، وهو ما يتطابق مع الحركة التي تحدثت عنها(الانتقال من فلسفة اللغة إلى فلسفة الذهن)؛ ولكنها إجابة لا تعمل سوى على تأخير [مواجهة] المشكل، ولهذا السبب بالتحديد، أعمل على استبعادها بداية من الصفحات الأولى لهذا العمل. إذا كان في الواقع [فعل] يدلّ يعني، بالنسبة لتعبير لغوي، أن يكون متشاركاً مع تمثل ذهني، يبقى أن نتحدث عن الشيء الذي يجعل من حالة ذهنية تمثلا حائزا هو نفسه على محتوى؛ والحال أن هذا السؤال مشابه للتساؤل الذي قدمناه في البداية. إننا ننطلق من سؤال: ما الذي يعنيه، بالنسبة لتمثل لغوي ما، فعل يدل أو ما الذي يعنيه أن يمتلك محتوى؟ الإجابة: أن يكون متشاركا مع تمثل ذهني، يستدعي سؤالا ثانيا يذكرنا بالأول: ما معنى أن يكون، بالنسبة لتمثل ذهني ما، محتوى؟ السؤال الحقيقي، ما دمنا مدفوعين إلى

التفكير، والذي يهم أكثر، وهو أكثر شمولية: ما المقصود بفعل يدل أو ما الذي يعنيه أن نمتلك محتوى؟ ما الذي نعنيه بتمثل (لغوي أو ذهني)؟ إننا نريد [صياغة] نظرية خاصة بالمحتوى تكون عامة وشاملة بالقدر الكافي حتى تكون قابلة للتطبيق على اللغة والذهن على حد سواء.

ستتخلص الإجابة الثانية من هذا الاعتراض. إنها تؤكد على علاقة الإحالة التي تربط الكلمات بالعالم: والحقيقة أن هذه العلاقة المرتبطة بالإحالة تصحّ بالنسبة للذهني كما تصحّ بالنسبة للغوي. وسواء كنا نفكر أو نتكلم، هناك في الحالتين شيء يتم التفكير فيه أو قوله، والذي بموجبه يحيل الفكر(أو الكلام) إلى العالم، إلى "الواقع".

القسم الأول من هذا الكتاب خصصناه إذن لنظريات الإحالة [المرجع]. وختمناه بنقطة من عدم الرضا : فوظيفة الكلمات، أي الشيء الذي تقوم به، يتضح أنها بالأهمية نفسها بالنسبة لما تمثله، لأنه إذا اكتفينا بأن نشرك مع الكلمات ما تمثله، فلن نصل إلى شرح الكيفية التي تتشارك انطلاقا منها الكلمات في ما بينها بهدف تمثيل حالات الأشياء المركبة.

القسم الثاني من هذا العمل مخصص لدراسة النظريات التي تؤسس لما أسميته أعلاه الإجابة الثالثة: أي للدور الذي يلعبه تعبير ما في سياق نشاط الكلام، وهذا ما يؤسس لمعناه. أهمية هذه المقاربة "التداولية"، المستوحاة من فتغنشتاين، تعود إلى كونها تتضمن المقاربة الإحالية دون أن تقتصر عليها. قلت أعلاه إن وظيفة الكلمات، بمعنى الشيء الذي وجدت من أجل القيام به، يتضح أنه يحمل الأهمية نفسها مع ما تقوم تلك الكلمات بتمثيله. والحقيقة أن التمثيل(أي القيام بالإحالة)، هي من الأشياء التي تقوم بها التعبيرات اللغوية. وبالتالي فإن نظرية وظيفية أو تداولية خاصة بالمعنى تعدنا إذن بشمولية أكبر مقارنة مع نظرية إحالية بشكل حصري.

يبدو، في الحقيقة، أن هذه المقاربة تسجننا في ما هو لغوي. فهي تذهب إلى القول إن نشاط الكلام هو ما يهب الحياة لأشكال اللغة ويمنحها معنى. والحال أن هذا النشاط يميّزنا عن الحيوانات، بينما هي لها، مثلنا، تجارب وتمثلات. المقاربة التداولية تبدو (على الأقل من الوهلة الأولى)

مُفتقدة إلى الشمولية التي قد تسمح لها بأن تنطبق أيضا على ما هو ذهني. التفسير الذي يفيد أن التعبيرات اللغوية تدل بموجب دورها في نشاط الكلام، لا يمكنه، بكل بداهة، أن يعرض علينا ذلك الشيء الذي تملك بمقتضاه التمثلات الذهنية، سواء تلك الخاصة بنا أو تلك التي نجدها عند الحيوانات، المحتوى الذي هي حائزة عليه.

هذا الاعتراض الذي تمت إثارته يملك بالرغم من كل ذلك تأثيراً ضيّقا. لأن هناك وسيلة من أجل أن يكون هناك تمديد للتفسير التداولي نحو التمثلات الذهنية، والذي يرسخ في حالة اللغة الدلالة داخل نشاط الكلام. يكفي أن يتم استدعاء، في حالة التمثلات النفسية، لا نشاط الكلام ولكن النشاط الذهني ذاته - أي وظيفة التمثلات داخل الحياة الذهنية.

القسم الثالث مخصص بالتحديد إلى التمثلات الذهنية. هل يمكن لنا أن نعرض الخاصية الخارقة التي تملك بموجبها الحالات الذهنية محتوى(أي القدرة على أن ترتبط بشيء آخر غير ذاتها على أن تظل محتوية بداخلها إذا جاز التعبير على هذه الغيرية) دون أن تصل إلى معارضة، باسم هذه الخاصية المميّزة، الطبيعة والذهن؟ هل بإمكاننا أن نجعل من هذه الخاصية التي أسماها برينطانو Brentano "قصدية" والتي جعل منها سمة ما هو ذهني شيئا "طبيعيا"؟ فلاسفة الذهن الذين سأستعرض أفكارهم في الفصل السابع، يؤكدون أنه يمكن القيام بذلك، اعتماداً على استعمال مفهوم الوظيفة. من الواضح أن الأمر يتعلق إذن، إذا كان ذلك يحلو لنا، بنسخة - ذهنية - للمقاربة التداولية التي يعمل القسم الثاني على عرض نسختها اللغوية.

في القسم الرابع والأخير من الكتاب، سأعود إلى المسائل المتعلقة بالإحالة، بهدف صياغة نظرية خاصة بالمحتوى تكون شاملة ومستوحاة من التداولية (قابلة للتطبيق على التمثلات الذهنية واللغوية في اللحظة نفسها). لقد أكدت أن فكرة التمثيل ستظل دائما ملغزة إذا ظلت العلاقة بين من يمثل ومن يمثل له منظوراً إليها كعلاقة "أفلاطونية" إن جاز لنا أن نقول ذلك، ما بين الواقع وشيء ما خارج عنه ويمثله. علينا أن ننطلق من العلاقات

الحقيقية، أي تلك التي تتضمن الوجود المشترك للكيانات التي توجد في علاقة في ما بينها وتتضمن تفاعلها في الواقع. إذا كان الفكر واللغة يمثلان العالم، فذلك لأن الفكر واللغة موجودان في العالم، ولهما مكانهما ويؤديان دورهما. تتلخص النظريات "السببية" الخاصة بالإحالة التي تهيمن على فلسفة اللغة منذ الربع الأخير من القرن العشرين، في هذه الفكرة البسيطة جدا، التي تمثل رسالة هذا الكتاب.

القسم الأول

علم الدلالة والإحالة

مزاوجة بين التعبيرات مع الأشياء ⇐ علم الدلالة الإحالي
" " مع تمثلات ذهنية ⇐ " " المعرفي

الفصل الأول

فريغه، كارناب والآخرون

1 - علم الدلالة الإحالي وعلم الدلالة المعرفي

من الأفكار الرئيسية لفلسفة اللغة في القرن العشرين، التي ورثتها اللسانيات الشكلية، هو أنه يتوجب على علم الدلالة أن يكون إحاليا[مرجعيا]، بمعنى أنه يجب عليه أن يزاوج بين التعبيرات اللغوية مع الأشياء، أي مع مظاهر العالم. ما رأيكم في هذه الفكرة؟ الحجة الرئيسية التي تدعمها هو أن النظرية المنافسة لها ليست مقبولة. وبخاصة وأن النظرية المنافسة لعلم الدلالة الإحالي، هي نظرية علم الدلالة المعرفي، التي تُشرك الكلمات ليس مع الأشياء، ومع مظاهر الواقع، ولكن مع تمثلات ذهنية- أي مع أفكار توجد في ذهن مستخدم اللغة[1].

السبب الذي من أجله يتم الحُكم على علم الدلالة المعرفي بأنه غير مقبول، أو على الأقل بأنه ناقص، يكمن في أنه لا يحلّ مشكلة المعنى، ولا يقوم بالتالي بعمل التوضيح المنوط في العادة بعلم الدلالة. لاريب أن التمثل الذهني، كما هو الشأن بالنسبة للتمثل اللغوي، يمتلك معنى، ومحتوى: وذلك ما يجعل منه تمثلاً. وعملية إشراك تمثل(ذهني) مع تمثل (لغوي)، لا تعمل إذن سوى على تأجيل المشكل المتمثل في القول **ما الذي نعنيه بتمثيل**. ومثلما قال ذلك يشكل جيد كل من لويس Lewis، إيفانس Evans، وماك دويل McDowell، وآخرون، علم الدلالة الذي يزاوج تمثلات مع تمثلات ليس سوى علم دلالة "تجرماني" [نقلي] traductionnelle (translational semantics) : والحقيقية أن مثل هذا النوع من علم الدلالة

الذي يقوم بترجمة تمثلات داخل تمثلات أخرى، لا يقدم لنا معنى التمثل الأصلي إلا إذا استطعنا الولوج بشكل مسبق بطريقة حدسية إلى المعنى (وإلى المحتوى) المتعلق بالتمثل النهائي. إذا لم يكن هذا الأخير هو نفسه منظوراً إليه كحامل لمعنى -معنى نرى أنه مكتسب دون أن نحلله- فإن إشراك تمثل، من قبيل مثال الجملة الإنجليزية "It's raining"، مع تمثل آخر، مثل الجملة الألمانية "Es regnet"، لن يقدم أي إضاءة جديدة: بالنسبة لشخص لا يعرف الألمانية، فمعرفة أن هذه الجملة الألمانية تترجم الجملة الإنجليزية لا يقول شيئا، أو هو يقول الشيء القليل، بالنسبة لمعنى هذه الجملة[2].

يُستتبع من كل ذلك أن إعطاء معنى تعبير أو تمثل، لا يجب أن يكون من خلال إشراكه مع تمثل آخر، ولكن من خلال إشراكه مع مظهر من الواقع غير اللغوي الذي يمثله هذا التمثل. وهذه هي الفكرة - القوية بالنسبة لعلم الدلالة الإحالي.

أن نقول إن علم الدلالة يجب أن يشرك الأشياء مع الكلمات، لا يعني بالرغم من ذلك، القول إن هذا الإشراك يكفي. فبالنسبة لفريغه Frege، هذا غير كاف: يجب تمييز إحالة تعبير ما (أي الشيء الذي يمثله) عن معناه الذي هو الطريقة التي يمثل بها ما يمثله - أي النمط الخاص بتمثيل الإحالة. ولكن الإحالة تعتبر أساسية من حيث إن مفهوم المعنى متوقف على مفهوم الإحالة: فالمعنى ليس شيئا آخر سوى الطريقة التي تُقدم أو تُحدّد بها الإحالة، وبالتالي فإن مفهوم الإحالة هو الأول ويجب أن يُوضّح أولا وقبل كل شيء. إذ أنه فقط عندما نكون قد أوضحنا بالقدر الكافي، مفهوم الإحالة ومعه مفهوم المعنى، سيكون بإمكاننا أيضا أن نأمل في عرض هذه الحالات التي يبدو أنه لا يوجد فيها إطلاقاً إحالة ما، ولكن فقط معنى. غير أن وجود حالات كهذه لا يفنّد من الآن فصاعدا المقاربة المنطلقة من [النزعة] الإحالية، وذلك على خلاف ما يمكن أن نتصوره من الوهلة الأولى.

2 - دلالة المطابقة، التعيين والماصدق.

إن مفهوم "الإحالة" الذي تطرقت إليه حتى الآن- كما نجده عند فريغه - قليل الخصوصية. يتعلق الأمر بالعلاقة العامة ما بين تعبير لغوي ومظهر الواقع الذي يحيل إليه هذا التعبير. يمكننا بذلك أن نتحدث عن إحالة ما لكي نعيّن بطريقة عشوائية علاقة لفظ خاص ("أنا" أو "نابليون") بالشخص الذي يعيّنه هذا اللفظ، أو [نعيّن] علاقة لفظ عام ("أبيض") بالخاصية التي يدل عليها[3]. ولكن يتوجب علينا أن نفرّق بأن هذه العلاقة المتماثلة للإحالة هي علاقة أكثر تمييزا تربط على سبيل المثال موضوع جملة ما، مع ذلك الذي نتكلم عنه عندما نتلفظ بهذه الجملة.

عندما أقول أن " الثلج أبيض"، أتكلم عن الثلج، وأقول عنه شيئا ما (مضمونه، أنه أبيض). لفظ موضوع، "الثلج"، يصلح للمطابقة مع ما نتحدث عنه، بينما بقية الجملة لها وظيفة حملية prédicative[4]. الكثير من الكتاب يستخدمون "إحالة" بشكل حصري من أجل العلاقة الخاصة التي بفضلها تُستخدم بعض التعبيرات من أجل المطابقة مع ما نتحدث عنه. إن الإحالة مفهومة وفق هذه الصيغة تتعارض مع الحمل la prédication. في [جملة] "الثلج أبيض"، أما الصفة "أبيض" وبالرغم من دلالتها على نوع من الخاصية (وهي البياض)، فإننا سنقول أنها تقوم "بالإحالة إليها"، بمعنى مخصوص، لأن هذه الصفة تؤدي وظيفة حملية داخل الجملة. في النتيجة، أقترح أن نميّز من الآن فصاعدا العلاقتين - العلاقة العامة والعلاقة الخاصة- وأن نتبنى الاصطلاح التالي عندما لا يسمح السياق بإزالة الالتباس عن كلمة "إحالة" (الذي سأواصل استعمالها بالرغم من ذلك عشوائيا بهذا المعنى أو ذاك عندما لا يكون لهذا الالتباس تبعات خطيرة) : "التعيين" سيحيل فقط إلى الوظيفة التماثلية، المكمّلة للوظيفة الحملية، والتي بموجبها تسمح لنا بعض الكلمات أن نشير إلى الأشياء التي نتحدث عنها. بالنسبة للعلاقة العامة ما بين الكلمات- بما في ذلك الكلمات التي توجد في موقع حملي - وهو الشيء الذي تحيل إليه، سأستعمل مصطلح "دلالة المطابقة" dénotation (بمعنى يختلف قليلا عن ذلك الذي يستعمله جون ستيوارت ميل John Stuart

Mill : فمثلما سنرى ذلك، "دلالة المطابقة" عند ميل، هي التي سأسميها "الماصدق"). وبذلك فإنه بالنسبة لجملة "الثلج أبيض"، "الثلج" يدل على الثلج، ويعيّنه ؛ و"أبيض" يدل على البياض، ولكن لا يعيّنه(5). الجدول الأول يلخّص هذه الوضعية. الوظيفة التعيينية والوظيفة الحملية هما وظيفتان متكاملتان، بالشكل الذي لا تقوم فيه التعبيرات التي هي في موقع حملي بالتعيين؛ ولكن فقط، ما دامت التعبيرات التي تستخدم في التعيين والتعبيرات التي تستخدم في السياق الحملي، تدلّ، أي تُحيل إلى مظهر من الواقع.

"الثلج أبيض"		
التعيين	الثلج	
دلالة المطابقة	الثلج	البياض

الجدول رقم 1. التعيين ودلالة المطابقة

من الواضح أن الأشياء هي أكثر تعقيدا من منطلق أنه يجب علينا أيضا أن نأخذ في الحسبان العلاقة ما بين اللفظ [أو الحد] العام، الذي يدل على خاصية ما، والمواضيع الشخصية التي تمتلك الخاصية التي نعنيها، أي على سبيل المثال ما بين خاصية البياض التي تدل على الصفة "أبيض" والأشياء البيضاء. هذه الأشياء أو المواضيع تمتلك الخاصية التي دلّ عليها لفظ عام مثل "أبيض"، سأقول أنهما ينتميان إلى ماصدق هذا اللفظ. التعبيرات ذات الاستعمالات الحملية ولكونها لم تستطع أن تكون سوى مثل تلك الألفاظ العامة، تدل على خصائص أو علاقات، فإن هذه التعبيرات، لها بالإضافة، إلى فعلها الدلالي، ماصدقاً (أي فئات الأشياء التي لها خاصية، أو فئات الأشياء التي تدخل في العلاقة).

3 - نسق فريغه

تابعت، حتى الآن، إلى حد ما فريغه، فهو يُسند إحالة (دلالة مطابقة) ليس فقط إلى الألفاظ المفردة، التي تعيّن أشياءً، ولكن أيضا إلى الألفاظ

العامة، التي تسمح بإسناد خصائص إلى مواضيع. الألفاظ المفردة تقوم بالإحالة إلى المواضيع، بينما تقوم الألفاظ العامة بالإحالة إلى خصائص المواضيع[6]. إنه يسند أيضا إلى التعبيرات معنىً، الذي هو الطريقة التي يتم بها تقديم إحالتها. اللفظ المفرد "رئيس الولايات المتحدة الأمريكية" يقوم بالإحالة إلى جورج بوش الابن، من منطلق أن جورج بوش الابن، في هذه اللحظة، هو الرئيس الأمريكي، الذي يخوض حملة انتخابية للحصول على ولاية ثانية، وإذا كان مقدّرا أن يعاد انتخابه، فإن جورج بوش سيكون أيضا- في اللحظة التي أخطّ فيها هذه السطور، أي قبل إعادة انتخابه المفترضة- إحالة الوصف القائل "رئيس أمريكا المقبل". ولكن بالرغم من أنه يشكل (في هذه الفرضية) الإحالة المشتركة للوصفين السابقين، فإنهما يختلفان بشكل ظاهر من حيث معناهما: فأحدهما يقدم بوش على أنه الرئيس الحالي، والآخر يقدمه على أنه الرئيس المقبل. وبالتالي فإن نمط التقديم هنا مشكّل انطلاقا من خاصية ذات بعد متفرد هي التي يمتلكها بوش ويقوم الوصف بالترميز لها؛ ولكنها ليست الخاصية نفسها في الحالتين.

نلاحظ أنه سواء تعلق الأمر بحالة الألفاظ المفردة أو حالة الألفاظ العامة، نحن في مواجهة شيئين: خاصية أو شرط، وشيء يمتلك الخاصية وبالتالي فهو يستجيب للشرط. في حالة اللفظ المفرد، شرط (أن يكون حاليا الرئيس، أو أن يكون الرئيس المقبل) يحدّد إحالة الوصف: الإحالة هي الفرد الذي يستجيب للشرط. ولكن في حالة الألفاظ العامة، الخاصية هي التي تمثل الإحالة: المواضيع التي تملك الخاصية، تكون في حالتها هي، مستبعدة نحو ما كنت قد أسميته ما صدق اللفظ المفرد (جدول رقم 2)[7].

	الألفاظ المفردة	الألفاظ العامة
معنى	خاصية	
إحالة	موضوع	خاصية
ماصدق		موضوع

جدول رقم 2. اللاتماثل الفريغي

كيف نفسر هذا اللاتماثل dissymétrie المرغوب فيه من طرف فريغه، ما بين الألفاظ المفردة والألفاظ العامة؟ أليس من السهولة بمكان أن نميّز فقط مستويين عوض ثلاثة مستويات؟ هذا ما يفعله علم الدلالة النموذجي، ذلك المتعلق بكارناب Carnap وخلفائه، المنحدر من فريغه ولكن غير الوفي جزئيا لأفكاره: فعوض أن يميز ما بين معنى، إحالة وما صدق، نجده يميّز ما بين شيئين فقط : مفهوم intension وما صدق extension.

4 - الاختصار الكارنابي.

بحسب كارناب، تمتلك الألفاظ المفردة كمفهوم لها تصوراً فردياً، أي في واقع الأمر خاصية متفردة يجعل منها تملكها من طرف موضوع ماصدقاً للفظ؛ والشيء نفسه يمكن أن يقال عن الألفاظ العامة التي لها كمفهوم خاصية، يُسقطها تملكها من طرف موضوع في ماصدق التصور [أو المفهوم] (الجدول رقم 3). الفرق الوحيد ما بين الألفاظ المفردة والألفاظ العامة هو أن ما صدق الألفاظ المفردة ("الرجل الأقوى في العالم") يفترض أنه يتضمن عنصراً وحيدا، بينما ما صدق الألفاظ العامة ("رجل قوي") يمكن أن يتضمّن من العناصر بالقدر الذي نريد.

	الألفاظ المفردة	الألفاظ العامة
مفهوم	خاصية متفردة	خاصية
ماصدق	موضوع	مجموعة مواضيع

جدول رقم 3. نسق كارناب

إذا كان بإمكاننا أن نقوم بعمل أكثر بساطة، لماذا نختار نسقاً أكثر تعقيدا، مثل ذلك الذي نلفيه عند فريغه؟ هناك على الأقل ثلاثة أسباب لذلك. بداية، مثلما سنرى في ما بعد، هناك مشكلة الخاصيات التي هي بالضرورة ذات امتداد مشترك. كارناب، مثله في الحقيقة مثل فريغه، يمكنه أن يقول إن خاصيتان لهما امتداد مشترك بالضرورة (مثل خاصية امتلاك

ثلاث زوايا وتلك المتعلقة بامتلاك ثلاثة أضلاع) ليسا متمايزان موضوعيا، ولكنهما يشكلان في الحقيقة، خاصية واحدة هي نفسها؛ أو على الأقل، من منطلق الطريقة التي يميّز ويقترح من خلالها نمذجة المفاهيم، وفي استطاعته القول أن التعبيرين "ثلاثي الأضلاع" و"مثلث الزوايا" يملكان ليس فقط الماصدق نفسه ولكن المفهوم نفسه. ويُستتبع انطلاقا من ذلك، أنه بدون مستوى ثالث (ذلك المتعلق بـ"المعنى" الفريغي)، لا يمكننا أن نعرض الاختلاف، الذي هو في الحقيقة بديهي بشكل كامل، ما بين هذبن التعبيرين، اللذين ليسا مترادفين.

هناك سبب ثان يقف إلى جانب نسق من ثلاثة مستويات وخاص بفريغه. لقد كان فريغه يطمح إلى أن يعكس على مستوى الإحالة (أي على مستوى الترابط الموضوعي للكلمات) اللاتماثل الذي يوجد لغوياً ما بين الموضوع والمحمول. المحمول تعبير ناقص هو في حاجة، مثل دالة رياضية، إلى "حجج" ويحتوي على أمكنة فارغة مخصصة لهذه الحجج. هكذا يمكننا أن نميّز المحمولات ذات المكان الواحد ("س يمشي")، المحمولات ذات المكانين ("س يقبِّل ع")، والمحمولات ذات الثلاث أمكنة ("س يعطي ع إلى ي")، إلخ. تدلّ، على المستوى الأنطولوجي، التعبيرات الحملية داخل نسق فريغه على خصائص، هي الأخرى، في حاجة إلى مواضيع تكون بمثابة خصائص. الخصائص هي كيانات تابعة (إنها خصائص لمواضيع)، بينما المواضيع هي كيانات مستقلة. النسق النموذجي المنبثق من [فلسفة] كارناب يُلغي تباين وتكامل الزوج موضوع/ خاصية من خلال جعله من كل إحالة عملية إحالة على المواضيع، الأمر الذي يتعارض مع روح نسق فريغه.

كان فريغه يحرص، في المقام الثالث، على مبدأ أساسي مؤداه، إذا كانت هناك جملة تشتمل على تعبير ليس له إحالة، فإن هذه الجملة تفشل في الدخول في علاقة مع الواقع ولا يمكن أن نعتبرها لا صادقة ولا كاذبة[8]. ومن ثمة فإن جملة مثل "ملك فرنسا أصلع" ليست لا صادقة ولا كاذبة، بحسب فريغه، من منطلق أنه ليس هناك ملك في فرنسا. بمقتضى هذا المبدأ، إذا كانت إحالة الألفاظ العامة متشكلة من المواضيع التي ينطبق

عليها اللفظ، وإذن فإن الألفاظ العامة مثل "قارِن"[حصان أسطوري يحمل قرنا في جبينه] أو " الدائرة المربعة"، التي لا تنطبق على موضوع ما والتي ليس لها بالتالي أي موضوع في ماصدقها، لا يمكنها أن تتواجد في جملة دون أن تتأثر هذه الجملة بفحواها الفارغ وتفقد تلقائيا حقوقها في أن تقوَّم بوصفها صادقة أو كاذبة. والحال أنه يمكننا أن نلاحظ بكل يُسر أن الأمر ليس كذلك. إذا قلت "إن الحيوان الذي يتجوّل في حديقتي هو قارِن "، فإن ما أقوله هو بكل بساطة كاذب، لأن هذه الأحصنة غير موجودة. وإذا قلت أيضا "هذا الشكل هو دائرة مربعة"، فإن ما أقوله كاذب، وليس هو من قبيل لا صادق ولا كاذب- مثلما كان يتوجب أن يكون الأمر عليه، لو أن إحالة الألفاظ العامة كان يتشكل من المواضيع التي ينطبق عليها. وعكس ذلك، إذا قلت أن " الحيوان الذي يتجول في حديقتي ليس هو القارن"، فإن هذا القول يكون صادقاً، حتى وإن كان للفظ العام "قارن" ماصدق فارغ، والشيء نفسه إذا قلت "هذا الشكل ليس دائرة مربعة"، فذلك صادق، حتى وإن كان ماصدق المحمول "الدائرة المربعة" هو بالضرورة فارغ (لأن الدائرة المربعة هي شيء مستحيل). إن الألفاظ العامة التي لا تنطبق على أي شيء لا تعاقب إذن الجُمل التي توجد فيها، على خلاف الألفاظ المفردة التي لا تدلّ على أي شيء، وهذا ما يبيّن أنه يجب تمييز ماصدق الألفاظ العامة (أي الأشياء أو المواضيع التي تنطبق عليها هذه الألفاظ) عن إحالتها [مرجعها]: الألفاظ العامة الفارغة لها إحالة، ممثلة في الخاصية التي تدلّ عليها هذه الإحالة، بينما الألفاظ المفردة الفارغة ("ملك فرنسا الحالي") ليس لها بكل بساطة أي إحالة ولا تدل على أي شيء.

5 - المعنى والما صدق، هل هما قابلان للتعميم؟

إذا كنا نتبع فريغه، للأسباب التي أتينا على ذكرها، ونقبل من ثمة أن تقوم الألفاظ العامة بالإحالة إلى خصائص، بينما تحيل الألفاظ المفردة إلى مواضيع، فإننا مدفوعون بالضرورة إلى تمييز ماصدق لفظ عام عن إحالته: في هذا السياق تحدث فريغه، في رسالة مشهورة إلى هوسرل Husserl، بكل وضوح[9]. بقي أن نحدد ما إذا كان علينا أيضا أن نعطي معنى للألفاظ

العامة، زيادة على إحالتها وعلى ماصدقها؛ وما إذا كان علينا أن نعطي أيضا ماصدقا للألفاظ المفردة، زيادة على معناها وعلى إحالتها.

سنبدأ بالسؤال الأول. بحسب فريغه، تمتلك الألفاظ العامة معنى، ممثلا في الطريقة التي تقدم بها إحالتها. وقد أشرت، سلفاً، أنه بالنسبة لفريغه وكارناب، التعبيرين "مثلث الزوايا" (أي الذي يملك ثلاث زوايا) و"ثلاثي الأضلاع"(الذي يملك ثلاثة أضلاع) يحيلان إلى الخاصية نفسها التي هي في واقع الأمر وبشكل لا انفكاك منه خاصية امتلاك ثلاث زوايا وخاصية امتلاك ثلاثة أضلاع. هاتان الخاصيتان "الاثنتان"، اللتان هما في الواقع، الشيء نفسه لا يمكن التمييز بينهما إلا بطريقة مفهومية[10]. ومعنى ذلك بالنسبة لفريغه، أن التعبيران "مثلث الزوايا" و"ثلاثي الأضلاع" يقومان بالإحالة إلى الخاصية نفسها ولكن وفق أنماط تقديم مختلفة. وبشكل عام، الخصائص، كما المواضيع، يمكن أن تقدَّم وفق صيغ مختلفة. فالتصور الذي يحمله جزار لحم الفرس ليس هو التصور نفسه الذي يحمله فارس أو [مختص] في علم الحيوان، وهذان التصوران يشكّلان العديد من أنماط التقديم لموضوع يمثل في واقع الأمر خاصية واحدة: خاصية أن يكون هذا الموضوع فرساً (يُنظر بشأن هذا الموضوع إلى مقال ويغينز Wiggins، الذي سبق ذكره).

السؤال الأول (هل الألفاظ العامة تملك معنى زيادة على إحالتها وعلى ما صدقها؟) سيتلقى إذن رداً ايجابياً. ولن يكون الأمر كذلك بالنسبة للسؤال الثاني: هل تملك الألفاظ المفردة ماصدقا؟ إذ أن ماصدق لفظ عام مكوّن من المواضيع التي ينطبق عليها هذا اللفظ حيث يكون فيها قابلا لأن يكون محمولا بطريقة حقيقية. ولكن بالنسبة لفريغه، الألفاظ المفردة لا تنطبق، وغير قابلة لأن تكون محمولا، وتصلح للتعرف على المواضيع التي نتحدث عنها، دون أن تلعب دوراً إسناديا أو حمليا. ويؤول هذا الدور حصريا إلى الألفاظ العامة، والتي تملك لوحدها، نتيجة لذلك، ماصدقا.

بالنسبة لهذه النقطة، كان لجون ستيوارت ميل رأي مختلف. فقد كان يدافع عن الموقف القائل، مثلما أن اللفظ العام "رجل" (أو"رجل ما")

ينطبق على كل الرجال، وعليهم فقط، اللفظ المفرد [الخاص] "جورج بوش الابن" ينطبق على بوش، أي عليه هو بشكل حصري. يتحدث ميل عن كون اسم العلم منطبقاً وحتى "محمولا" (يُنظر نسق ميل المنطقي). وما يبدو أنه يؤيد موقفه، هو أننا يمكن أن نقول، من خلال إشارتنا لشخص: "إنه بوش"، مثلما يمكننا أن نقول: "إنه أمريكي". فكيف يمكننا، بناءً على ذلك، أن نرفض أن نسند أيضا إلى الألفاظ المفردة ماصدقاً، ممثلا في الموضوع الفردي الذي ينطبق عليها؟ إن ميل يسند بذلك ما يسميه "دلالة مطابقة" (ماصدقا) إلى الألفاظ المفردة والألفاظ العامة معا: الألفاظ العامة تدل على كل المواضيع التي تنطبق عليها (وبذلك فإن "رجل" يدل على كل الرجال، و"أمريكي" يدل على كل الأمريكيين) والألفاظ المفردة تدل على موضوع واحد، ذلك الذي تنطبق عليه. يميّز ميل "دلالة المطابقة" هذه عن "دلالة السياق" [دلالة الالتزام أو الدلالة الإيحائية] connotation المتعلقة بالألفاظ المفردة، من منطلق أن دلالة السياق لتعبير ما هي خاصية يتوجب أن يكون الموضوع حائزا عليها لكي تتم الدلالة عليه من طرف التعبير. ويشبه هذا النسق كثيرا ما أسميته علم الدلالة النموذجي المستوحى من أعمال "كارناب": دلالة السياق عند ميل هي بشكل من الأشكال الشيء نفسه بالنسبة للمفهوم [أو التصور] intension، ودلالة المطابقة عنده هي الشيء نفسه بالنسبة للماصدق.

سأعود إلى نسق "ميل" في الفصل الثاني من هذا الكتاب. أريد أن أشير في هذه اللحظة إلى الإجابة التي يقدمها فريغه عن حجة ميل، التي يذهب فيها إلى أن الألفاظ المفردة تنطبق أيضا على مواضيع و"تُحمل" prédiquent على مواضيع.

6 - وظائف فعل "الكينونة": الهوية والحمل prédication

بحسب فريغه، في قول مثل "هذا الرجل هو بوش"، فعل "الكينونة" être ليست له الوظيفة المنطقية نفسها مقارنة مع فعل "الكينونة" في [قول] "هذا الرجل [هو] (أحد) الأمريكيين". في هذا القول الأخير، المحمول، "أمريكي"، والصورة المنطقية للقول هي:

أمريكي (هذا الرجل)[11]

ولكن في الحالة الأولى - "هذا الرجل هو بوش" - المحمول ليس هو "بوش". ففعل "الكينونة"، هنا، ليس زائدا من الناحية الدلالية. لا يتعلق الأمر بالرابطة، بـ"هو" الخاص بالحمل prédication، ولكن بـ"هو" آخر، بـ"هو" الهوية، الذي يشكل جزءاً لا يتجزأ من المحمول. الصورة المنطقية للقول هي :

هذا الرجل = بوش

أو بصورة أخرى:

= بوش(هذا الرجل)

وحتى أيضاً:

= (بوش، هذا الرجل)

في هذه الصياغة الأخيرة، نرى أن فعل "الكينونة" هو المحمول الحقيقي: إنه يدل على علاقة ما بين لفظين - علاقة الهوية "=" - واسم العلم "بوش"، تماما مثلما هو عليه اسم الإشارة المركب "هذا الرجل"، الذي يعيّن الحجة التي ترتبط بالعلاقة. اسم العلم ليست له هنا وظيفة حملية، ولكن وظيفة تعيينية خالصة. في قول " هذا الرجل هو (أحد) الأمريكيين"، وعلى خلاف ذلك، الصفة "أمريكي" (أو المركب الاسمي "أحد الأمريكيين") له وظيفة حملية خالصة. فعل " الكينونة" يصبح بمقتضى الضرورة تركيبيا من منطلق أن بعض السمات (على سبيل المثال السمات الزمنية) لا يمكن أن تعيّن أكثر من فعل: الرابطة تسهم في جعل تعبير حملي يتخذ طابعاً "لفظيا" لا يملكه على الفور (أي صفة أو تركيبا اسميا). عندما يكون التعبير الحملي على الفور فعلا ("هذا الرجل يجري")، ينتفي دور الرابطة.

باسم هذا التمييز ما بين "هو" المتعلق بالحمل prédication (الرابطة)

و"هو" الخاص بالهوية - تمييز، والذي حتى وإن كان منتشرا عند المناطقة، فإني متعجل من أجل الإشارة بأنه ليس غير قابل للمناقشة[12] - لقد رفض إذن فريغه بشكل قطعي أن ينطبق مفهوم التطبيق (وبالتالي مفهوم الماصدق) على الألفاظ المفردة.

الفصل الثاني

الإحالة المباشرة

1 - نسق ميل

ذكرت في الفصل السابق أن نسق ميل، القائم على التمييز ما بين دلالة المطابقة [الحرفية] / ودلالة السياق [الالتزام]، تشبه كثيرا علم الدلالة النموذجي المستوحى من فلسفة كارناب. هناك بالرغم من ذلك بعض الاختلافات. في المثال الذي قدمته أعلاه (ثلاثي الأضلاع/ مثلث الزوايا) يقول ميل إن التعبيرات لها دلالات سياقية- إيحائية مختلفة، حتى وإن كانت تحمل دلالة المطابقة نفسها: "ثلاثي الأضلاع" يدل سياقيا على خاصية امتلاك ثلاثة أضلاع، بينما يدل "مثلث الزوايا" سياقيا على خاصية امتلاك ثلاث زوايا. نجد بكل بساطة أن هاتين الخاصيتين يعاد تشكيلهما انطلاقا من الصورتين النموذجيتين نفسهما: فكل صورة لمثلث ثلاثي الأضلاع هي بمثابة صورة لمثلث ذو ثلاث زوايا، وكل صورة لمثلث الزوايا هي صورة لثلاثي الأضلاع. في المقابل وفي سياق علم الدلالة النموذجي، تجري فردنة المفاهيم بطريقة أقل دقة قياسا مع ما سبق: هناك خصائص تحمل ماصدقاً تشاركيا (كما هو الأمر عليه هنا) يتم مماثلتها، بطريقة تدفع إلى القول إن التعبيرين " مثلث الزوايا" و"ثلاثي الأضلاع " يملكان المفهوم نفسه. يبدو انطلاقا من وجهة النظر هذه، أن علم الدلالة النموذجي لا يمكنه أن يظل مقتصراً على المستويين اللذين يقدمهما - الماصدق والمفهوم - ويتوجب اللجوء إلى مستوى إضافي، ذلك المتعلق بـ"المعنى" الفريغي، من أجل تبيان الاختلاف الدلالي ما بين التعبيرين "مثلث الزوايا" و"ثلاثي

الأضلاع". وإذا أردنا الحصول على بديل حقيقي لنسق فريغه، متكون من مستويين بدل ثلاثة مستويات، علينا أن نحذو حذو ميل ونقوم بفردنة الخصائص التي تدل سياقياً بشكل دقيق، وفق طريقة تسمح لخاصيتين بالاختلاف حتى وإن كانتا متشاركتان بالضرورة من حيث ما صدقهما.

هناك اختلاف ثان ما بين نسق ميل وعلم الدلالة الكارنابي. يقترح ميل أن نميّز مقولتان داخل تلك [المقولات] المتصلة بالألفاظ المفردة. بعض الألفاظ المفردة، من قبيل الأوصاف المحددة ("الرجل الأقوى في العالم")، قابلة للمقارنة من جميع الجوانب مع الألفاظ العامة مثل "رجل قوي" : وفي الحالتين معا الخاصية تدل سياقيا (نعني خاصية أن يكون رجلا قويا، أو خاصية أن يكون الرجل الأقوى في العالم)، وتكون هناك دلالة مطابقة بالنسبة للموضوع أو المواضيع التي تمتلك الخاصية. ومثلما نجد أنه بالنسبة لفريغه، المعنى يحدد الإحالة، فإن الدلالة السياقية هي التي تقوم، عند ميل، بتحديد دلالة المطابقة. ولكن ميل يفسح مكانا لمقولة متميّزة تتعلق بالألفاظ المفردة التي تدل دلالة مطابقة على المواضيع دون أن تدل دلالة سياقية على أي خاصية من الخواص التي يفترض أن تمتلك هذه المواضيع لكي تقوم بالتعيين. أسماء الأعلام، بحسب ميل، هي "سمات"مشتركة مباشرة مع المواضيع الفردية؛ إنها لا تدل (دلالة سياقية) على أية خاصية من هذه المواضيع، على عكس الأوصاف التي تستلزم امتلاك محمول، هذا المحمول يدل (دلالة سياقية) من خلال الوصف. أسماء الأعلام تملك دلالة مطابقة وليس دلالة سياقية، كما يذهب إلى ذلك ميل (الجدول رقم 4).

	الألفاظ المفردة		الألفاظ العامة
	أسماء الأعلام	أوصاف محددة	
دلالة سياقية	-	خاصية متفردة	خاصية
دلالة مطابقة	موضوع فردي	موضوع فردي	موضوع[شيء]

جدول رقم 4. نسق ميل

هذه الفكرة القائلة أن أسماء الأعلام تحيل إلى المواضيع مباشرة، وليس بواسطة خصائص مسندة إليها، سيكون لها تأثير معتبر على فلسفة اللغة في الربع الأخير من القرن العشرين. فنظرية الإحالة المباشرة فرضت نفسها في سياق ما بدا في حينها ثورة، ثورة موجهة بالتأكيد ضد النزعة التفكيرية الموجودة عند فريغه. سنعود إلى هذه الثورة في الفصل الثامن. لن انتظر بالرغم من ذلك، من أجل القول إنني أود أن أقدم بشكل مختصر أفكار أحد المنظّرين [لأطروحات] الإحالة المباشرة: ديفيد كيبلان Kaplan. يشتمل نسقه على ثلاثة مستويات، كما هو الأمر بالنسبة لنسق فريغه؛ ويفسح فيه مكانا للإحالة المباشرة، وفق ما نجده في نسق ميل.

★ كابلان ⇐ معايير ذاتية الحكم

*إضافة لاحقة

2 - نسق كيبلان:

(1) الإحالة المباشرة

كنا قد لاحظنا عند ميل، إسناده لأسماء الأعلام دلالة مطابقة (ماصدقا) ولكن ليس دلالة سياقية (الجدول رقم 4). ويعرِّف ميل الدلالة السياقية بوصفها الخاصية التي يتم من خلالها تعيين شيء ما؛ وفي اللحظة التي تتحقق فيها إذن دلالة المطابقة بطريقة مباشرة، دون المرور عبر الخاصية، يتوجب علينا القول إن التعبير لا يملك دلالة سياقية. عند كيبلان تتجلى الأشياء بشكل مختلف نوعا ما. حيث يلعب "المحتوى" عند كيبلان إلى حد ما دور المفهوم [المنطقي] intension بمعناه الكارنابي، ولكن بالرغم من ذلك نجد أن المفهوم الكارنابي، ومعه الدلالة السياقية عند ميل، يمثلان بشكل دائم مفهوما [= تصورا] concept أو خاصية - مفهوما فرديا أو خاصية مفردة في حالة الألفاظ المفردة- حيث يقول كيبلان إن "محتوى" لفظ مفرد هو أحيانا بمثابة خاصية، وهو يمثل في أحيان أخرى، موضوعا بشكل مباشر. عندما يكون المحتوى خاصية، فإن الموضوع، الذي يوجد في العالم وهو حامل لهذه الخاصية، يمثل ماصدق اللفظ المفرد. يتوقف الماصدق على العالم، أي على ما يسميه كيبلان "الظرف المتعلق بالتقويم"، وليس فقط على اللغة. وفي مقابل ذلك فإن محتوى التعبير الذي يحيل بشكل

مباشر، يكون بداية من الآن موضوعا، بالشكل الذي يكون فيه ماصدق اللفظ محددا لغويا، في استقلال عن ما يحدث في العالم (جدول رقم 5).

	تعبير يحيل مباشرة	وصف محدد
محتوى	موضوع [شيء]	خاصية
ماصدق	موضوع	موضوع

جدول رقم 5. نسق كيبلان[1]

يعرض كيبلان بهذه الطريقة ما كان كريبكيه kripke - رائد آخر من رواد الثورة المضادة لفريغه التي تحدثت عنها سابقا - قد أسماه صرامة أسماء الأعلام. ما هو صارم، هو تلك العلاقة ما بين اسم علم وماصدقه: فماصدق اسم علم قار ولا يتغير، بينما نلاحظ أنه في حالة الأوصاف المحددة، يكون الماصدق متقلباً بحسب ما تتطلبه الوضعية التي نتحدث عنها. في ماذا يتمثل ماصدق الوصف التالي "رئيس الولايات المتحدة الأمريكية"؟ يتوقف الأمر على الوضعية التي نتحدث عنها. إذا كنت أتكلم عن الواقع، فالأمر يتعلق ببوش، ولكن إذا كنت أتحدث عن وضعية مرهونة يكون فيها غور* هو الفائز في الانتخابات، على حساب بوش، فإن الوصف "الرئيس" لا يتضمن في ماصدقه بوش ولكن الشخص الذي هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في الوضعية المرهونة، وهو ألغور. وسيكون الأمر كذلك في سياق قول مرهون من قبيل: "لو لم تكن القواعد الانتخابية الأمريكية بالية، لم يكن بوش ليفوز ولكان الرئيس ديمقراطياً". فالوصف

* السيد غور المعروف إعلاميا بـ"الغور" شغل منصب نائب الرئيس الأمريكي بيل كلينتون وترشح سنة 2000 لانتخابات الرئاسة الأمريكية في مواجهة جورج بوش الابن وفاز عليه في عدد الأصوات العامة لكنه حصل على عدد أقل من أصوات ما يسمى في الولايات المتحدة "أصوات الناخبين الكبار". ويعتر هذا النموذج الانتخابي الأمريكي مستهجنا في باقي الديمقراطيات الغربية التي يعتمد نظامها الانتخابي على الاقتراع السري المباشر، حيث إن من يحصل على أكبر عدد من أصوات الناخبين هو الذي يفوز في السباق الانتخابي.

[القائل]: "الرئيس" يحيل هنا إلى الرئيس في الوضعية المرهونة، وليس إلى الرئيس في الواقع.

تقلب الماصدق بناءً على مشيئة الإحالة يفسّر أن قولا يتضمن وصفا وعاملا مرتبطا بالجهة يكون كلاهما ملتبسا. ولنأخذ القول:

كان من الممكن أن يكون الرئيس ديمقراطيا.

العامل الجهّي opérateur modal المتمثل في "كان من الممكن" يُضيف وضعية مرهونة. حيث القول مساوٍ ل: هناك وضعية مرهونة ("عالم- ما- ممكن") يكون فيه الرئيس ديمقراطيا. والالتباس مردّه إلى أن الوصف "الرئيس" يمكن أن "يُقيَّم" (بمعنى أن ماصدقه يمكن أن يُحدّد) إما بالنسبة إلى هذه الوضعية المرهونة، وإما بالنسبة إلى الواقع. نقول، في الحالة الأولى، إن هناك وضعية مرهونة من مثل أن الشخص الذي هو رئيس للولايات المتحدة الأمريكية هو في هذه الوضعية ديمقراطي. ونقول، في الحالة الثانية، إن هناك وضعية مرهونة من قبيل أن الشخص الذي هو الرئيس في الواقع (بوش) هو أو بالأحرى قد يكون، في هذه الوضعية المرهونة، ديمقراطيا (لو أن مساره [السياسي] تطور بشكل مغاير). فأسماء الأعلام ليست مواضيع لهذا الالتباس. نرى ذلك هنا، في القول التالي ("كان من الممكن أن يكون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ديمقراطيا")، حيث نقوم باستبدال الوصف باسم علم:

كان من الممكن أن يكون بوش ديمقراطيا

هذا القول لا يملك سوى تأويل واحد ممكن. حتى وإن تحدثنا عن وضعية مرهونة مختلفة عن الواقع، فالشخص الذي نسند له خاصية أن يكون ديمقراطيا في هذه الوضعية المرهونة لا يمكن أن يكون سوى بوش: فماصدق اسم علم لا يتغير وبهذا المعنى تكون أسماء الأعلام "معيِّنات صارمة".

تعود صرامة أسماء الأعلام، بحسب كيبلان، إلى خاصيتها التي تحيل بشكل مباشر: فما صدق اسم علم محدد مباشرة انطلاقا من المواضعات اللغوية، وذلك حتى على مستوى المحتوى، ولا يمكن أن يتغير بالتالي بناءً على وضعية التقييم. فمحتوى اسم علم ما، هو على الفور ماصدقه، بينما يكون محتوى وصف محدد هو نوع من الشرط (خاصية)، ويكون الماصدق وفقا لذلك هو الموضوع الذي يكون مالكا لهذه الخاصية أو مستوفيا لهذا الشرط. ويتغير الماصدق بناءً على ما تفرضه الوضعيات لأن مواضيع مختلفة يمكنها، في وضعيات مختلفة، أن تمتلك الخاصية أو تستوف الشرط.

هناك حالة خاصة تتعلق بالأوصاف المحددة بكونها صارمة: محتواها هو (مثله مثل كل وصف محدد) شرط متفرد، ولكن الشرط المقصود يكون، وبصرف النظر عن الوضعية التي نأخذها بعين الاعتبار، دائما هو الكيان نفسه الذي يستوف الشرط. وفي الحالة التي تكون فيها الحقائق الرياضية ضرورية وليس حادثة [أو ممكنة]، فوصف من مثل "الجذر التكعيبي 27" يحمل الماصدق نفسه (أي 3)، مهما كانت الوضعية التي يتم الانطلاق منها. وهذا الوصف يكون صارما فعلا. ولكن أسماء الأعلام تكون صارمة بمعنى أكثر قوة - إنها صارمة وجوباً: وصرامتها هي نتيجة لخاصيتها المرجعية المباشرة، التي تجعل ماصدقها محددا، كما يذهب إلى ذلك كيبلان، "قبل الالتقاء مع وضعية التقييم"، ولا يمكنها أن تتغير إذن اعتمادا على هذه الأخيرة[2].

3 - نسق كيبلان:

(2) خاصية المحتوى

يضيف كيبلان ابتكاران مقارنة مع علم الدلالة النموذجي (الكارنابي) الذي مثل نقطة انطلاقه. فمن جهة، ووفق ما قمنا بملاحظته، يخصص مكانا "للإحالة المباشرة" من خلال تعيينه لبعض التعبيرات موضوعا من أجل المحتوى. ويتميز وفقا لذلك مفهوم المحتوى عن المفهوم التقليدي للمفهوم [أو للمتصور] intension. ولكن من جهة أخرى، وعلى غرار فريغه، يميز

كيبلان بين ثلاثة مستويات وليس فقط بين مستويين، كما هو الشأن بالنسبة لعلم الدلالة الكارنابي. المستويات الثلاثة التي قام كيبلان بتمييزها هي : الخاصية، المحتوى والماصدق. الابتكار الثاني الذي قدمه كيبلان تمثل إذن في تقسيمه للمفهوم intension، من خلال تمييزه "للمحتوى" عن "الخاصية". هذا التقسيم تم جعله ضروريا من خلال التعبيرات "الإشارية" التي كان يريد كيبلان الكشف عن منطقها.

يعطي ميل خاصية إحالية مباشرة لأسماء الأعلام التي هي، بحسب ما يقول، سمات خالية من المعنى تسمح فقط بتمييز المواضيع[الأشياء]، وبتعيينها (مثل سمة [أو رسم] طَبْشور موضوع على باب منزل يسمح بتمييزها أو بتعيينها، دون أن يصل بالرغم من ذلك إلى أن يسند لها خاصية ما). ولكن كيبلان يعطي أيضا خاصية إحالية مباشرة لتعبيرات، تملك بالتأكيد دلالة لغوية. وبذلك فإن كلمة "أنا" ولأنها تعيّن اصطلاحيا المتكلم، تستلزم أن الشخص المعيّن يمتلك خاصية ما: وهي تلك المتمثلة في كونه متكلما. وبحسب الألفاظ المستخدمة من طرف ميل، تدل كلمة "أنا" دلالة سياقية على خاصية أن يكون هو المتكلم، بينما تدل كلمة "أنت" دلالة سياقية على خاصية أن يكون هو المُخاطَب، وتدل كلمة "اليوم" دلالة سياقية على خاصية أننا في اليوم الذي نقوم فيه بالتلفظ، إلخ. وما يميّز هذه التعبيرات الإشارية، ليس كونها لا تدل على شيء ما (مثل أسماء الأعلام) ولكن كون أن الخاصية التي تُسندها إلى الشيء المعيّن محددة نسبة إلى فعل التلفظ: "أنا"، وهو الذي يقوم بالتلفظ، "أنت" وهو الذي يقوم بتوجيه الكلام له، "هنا" وهو المكان الذي حدث فيه التلفظ، إلخ. هذه التعبيرات المسماة "إشارية" منذ شارلساندرس بيرس، لها دلالة "منجز- تفكيري" *token-réflexive* لا يمكننا توضيحها دون أن نقوم بالإحالة إلى التلفظ، بالتوارد ذاته (المنجز) *token* للتعبير الذي يكون هو الدلالة[3].

وحتى وإن كانت هذه التعبيرات تحمل دلالة سياقية ميلية [نسبة إلى ميل]، فإن كيبلان يصنفها بالرغم من ذلك ضمن فئة التعبيرات التي تحيل مباشرة، والتي يكون محتواها بمثابة موضوع. وقد جعل ذلك ممكننا من خلال تمييزه ما بين "خاصية" و"محتوى". دلالة منجز - تفكيري المتعلقة

بالمشيرات indexicaux هي، بحسب كيبلان، متمثلة في خاصيتها. والخاصية هي قاعدة تسمح بحسب السياق، بتحديد محتوى تعبير ما. ولنأخذ بعين الاعتبار من جديد الأمثلة التي قدمتها سابقا: "الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية" و"الرئيس المقبل للولايات المتحدة الأمريكية". هذا الوصف الذي قيل سنة 2004 ممثلا في "الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية" يحمل كمحتوى نوعا من الشرط المتفرد: خاصية كونه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2004. وهذا الشرط يحدد، كما رأينا ذلك، مختلف أنواع الماصدقات المتعلقة بمختلف وضعيات التقييم: والتي في الواقع، يكون شرطها مستجاباً له من طرف بوش، ولكن في وضعية مرهونة أين كان من الممكن فيها لألغور الفوز على حساب بوش، فخاصية رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية سنة 2004 كان من الممكن أن تكون من نصيب ألغور. حالة التغير هذه للماصدق نسبة إلى وضعية التقييم يجب أن يتم تمييزها عن حالة التغير للمحتوى بحسب سياق التلفظ. لأن الوصف نفسه "الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية" لو كان له أن يقال سنة 1961 وليس سنة 2004، لكان له محتوى مختلف: أي لكان له كمحتوى الخاصية المتفردة في أن يكون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1961، وهذه الخاصية تحدد، بدورها، هذا الماصدق أو ذاك المقابل لهذه الوضعية أو تلك: جون كيندي في الواقع، غولدواتر Goldwater في حالة وضعية مرهونة. هناك نقطة مركزية يؤكد عليها كيبلان وتتمثل في أن وضعية التقييم مستقلة عن وضعية التلفظ: يتم قول وصف ما في سياق معين، وعندما يشتمل الوصف على تعبيرات إشارية أو "حساسة للسياق" مثل "حالي" و"مقبل"، فإن سياق التلفظ يؤثر على محتوى الوصف؛ ولكن الوضعيات التي بالنسبة إليها المحتوى المُحدّد هكذا يقيّم، بمعنى الوضعيات التي بالنسبة إليها يحدّد ماصدق الوصف، يمكنها أن تكون أيّة وضعيات من الوضعيات الممكنة(4). ووفق كيبلان خاصية تعبير ما - أي دلالته اللغوية - تحدد محتواه بالنسبة إلى سياق ما، والمحتوى المحدد هكذا يُحدد الماصدق بالنسبة لوضعية تقييم ما. التمييز بين خاصية / محتوى يأتي استجابة للتمييز ما بين سياق التلفظ ووضعية التقييم.

وبالنظر إلى التمييز ما بين الخاصية والمحتوى، يمكن التأكيد على أن التعبيرات الإشارية مثل "أنا" و"أنت" تقوم بالإحالة مباشرة، ولها كمحتوى موضوع ما، حتى وإن اعترفنا بحيازتها على دلالة لغوية متناظرة مع خاصية يجب أن يكون الموضوع المعيّن حائزا عليها. يكفي القيام بتحديد موقع هذه الخاصية على مستوى خصائص التعبير (جدول رقم 6). في هذه النظرية، "أنا" تملك كمحتوى الشخص نفسه الذي يقول "أنا" (الشخص، وليس الخاصية التي تسمح بتفريده)، وبالتالي فإن ماصدقه، لكونه محددا بداية من مستوى المحتوى، لا يمكنه أن يتغير بحسب وضعية التقييم. وعليه فإن القول "كان بإمكاني أن أكون ديمقراطيا"، المعبَّر عنه من طرف بوش، ليست أكثر التباسا من القول" بوش كان بإمكانه أن يكون ديمقراطيا": وهذا ما يبيّن أن "أنا" هي بمستوى الصرامة التي تميز اسم العلم "بوش"، فماصدق "أنا" محددة بداية من مستوى المحتوى وبالتالي فهي لا تتغير على أساس وضعية التقييم، حتى وإن كان محتوى "أنا"، يتغير، على أساس سياق التلفظ.

	"أنا" التي قالها بوش	"الرئيس الحالي للولايات المتحدة" (التي قيلت سنة 2004)
خاصية	صفة أو خاصية المُتلفظ بـ T (token) T تعيّن توارد التعبير الذي جرى تحليله	الخاصية المتفردة في أن يكون رئيس الولايات المتحدة في اللحظة التي تم التلفظ فيها بـ T
محتوى	بوش	الخاصية المتفردة في أن يكون رئيس الولايات المتحدة في سنة 2004
ماصدق	بوش	بوش

جدول رقم 6. نسق كيبلان (2)

4 - نسق كيبلان:

(3) نظرة عامة

لقد تحدثنا حتى الآن عن الألفاظ المفردة في نسق كيبلان، وبشكل خاص عن الألفاظ المفردة "الحساسة للسياق"، سواء تعلق الأمر بالمشيرات مثل "أنا" أو بالأوصاف التي تشتمل على عنصر إشاري مثل"الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية". هناك جملة من النقاط يتوجب أن يتم تحديدها أيضا من أجل الحصول، انطلاقا من التمييزات التي قدمها كيبلان، على تصور يكون عاما بالقدر الكافي.

أولا، ما الذي يحدث عندما لا يكون تعبير ما "حساس للسياق" ؟ ما مآل التمييز ما بين محتوى / وخاصية؟ الإجابة هي أن: التمييز يظل قائما، ولكنه مبتذل. المحتوى يعتبر أنه محدد بداية من المستوى الأول، بالشكل الذي لن يكون فيه في هذه الحالة، فرق ما بين خاصية ومحتوى(والشيء نفسه عندما يقوم تعبير ما بالإحالة مباشرة، فلا وجود لاختلاف ما بين محتوى وماصدق: المحتوى هو على الفور، ماصدق).

بقدر ما أن الأوصاف الحساسة للسياق وكذا الأوصاف غير الحساسة للسياق تكون لها إذن صفة متفردة كخاصية، فإن هذه الأخيرة تكون متطابقة مع محتواها في بعض الحالات، ومتمايزة في حالات أخرى.

سيسير الوضع على المنوال نفسه بالنسبة للألفاظ العامة: فمحتواها هو بمثابة خاصية، ولكن بعض الألفاظ العامة تكون حساسة للسياق وتملك إذن صفة أو خاصية تقوم بالتحديد، في السياق، للخاصية التي تمثل محتواها. الخاصية نفسها هي صفة [خاصية] لما هو منجز- تفكيري: وبذلك فإن تعبير "هو طالب حاليا" تعبر عن خاصية منجز - تفكيري (غير متفردة) في كونه طالبا لحظة القيام بالتلفظ. بالنسبة إلى سياق معطى، فإن هذه الخاصية تحدد كمحتوى صفة أن يكون طالبا سنة 2004. إذا أخذنا الآن عبارة "طالب سنة 2004"، سنقول أن خاصيتها ليست شيئا آخر سوى محتواها (غير الحساس للسياق)، والذي هو على الفور، صفة أن يكون طالبا سنة 2004. يستتبع

نتيجة لذلك أن خاصية الألفاظ العامة هي صفة [أو خاصية] في كل الحالات.

في ما يتعلق بأسماء الأعلام، تكون الوضعية أكثر تعقيدا، لأنه لدينا الخيار ما بين نظرتين. إما اعتبار أن أسماء الأعلام هي نفسها "حساسة للسياق"، من منطلق أن اسماً مثل "أرسطو" يحيل مرة إلى شخص (الفيلسوف الكبير في المرحلة اليونانية) ومرة أخرى إلى شخص آخر(الثري صاحب السفينة الذي تزوج بجاكي كينيدي). يمكننا إذن أن نعامل أسماء الأعلام كحالة خاصة من المشيرات، من خلال إسنادنا لها كخاصية الصفة المتعلقة باللغة الواصفة في أن يكون حامل الاسم (أو حامل الاسم الملائم) في سياق التلفظ. سيكون محتوى الاسم، في هذه الحالة وبشكل عام بالنسبة للمشيرات، الشخص نفسه الذي يملك الصفة (الشخص الحامل للاسم) (5). الخيار الثاني: يمكننا أن ننفي أن تكون أسماء الأعلام حساسة للسياق، وأن نعتبر في المقابل أنه عندما يكون ما يبدو على أنه اسم العلم نفسه يحيل، في سياقات مختلفة، إلى أشخاص مختلفين، هو أننا في الواقع في حضرة اسمي علم متجانسين، يمتلك كل واحد منهما محتوى معينا مباشرة بشكل اصطلاحي(ممثلا في الشخص الذي يعيّنه [أو يشير إليه]). يتعلق الأمر إذن بحالة بسيطة من الالتباس. بداية من اللحظة التي لا يعامل بها اسم العلم نفسه بوصفه تعبيراً حساسا للسياق، يمكننا أن نحدد خاصيته مع محتواه. والمحتوى بوصفه موضوعا (الشخص المعيّن)، فإن خاصية اسم العلم لن تكون صفة، كما هو الحال عليه بالنسبة للمشيرات، ولكن على الفور موضوعا: الخاصية، المحتوى والماصدق تتداخل إذن في حالة أسماء الأعلام. وهذا الخيار الثاني هو الذي يدافع عنه كيبلان نفسه. نصل بذلك إلى الجدول رقم 7، الذي يلخص نسق كيبلان.

	أسماء الأعلام	المشيرات	الأوصاف المحددة	الألفاظ العامة
خاصية	موضوع	صفة [خاصية]	صفة	صفة
محتوى	موضوع	موضوع	صفة[خاصية]	صفة
ماصدق	موضوع	موضوع	موضوع	موضوع

جدول رقم 7. نسق كيبلان (3)

الفصل الثالث

علم دلالة الجملة

1 - دلالة المطابقة في الجمل

لم نتحدث حتى الآن سوى عن التعبيرات الموجودة في موقع تعييني أو حملي. ولكن يجب بالإضافة إلى ذلك معالجة حالة الجملة، بمعنى التعبير المركب الناتج عن الجمع ما بين هذين النمطين من التعبيرات.

إن جملة ما لا تعين، أكثر من محمول. ولكن في المقابل لاشيء يمنعنا من أن نشرك مع الجمل دلالة مطابقة (أي إحالة وفق فريغه؛ ومحتوى، بالمعنى الذي قصده كيبلان) وحتى ماصدقا، كما سنرى ذلك لاحقا. ولنبدأ بدلالة المطابقة. دلالة مطابقة جملة ما، يمكن أن تكون حالة أشياء، على سبيل المثال (في حالة أن "الثلج أبيض") حالة الشيء مكونة من بياض الثلج. حالة الأشياء هذه التي تدل عليها دلالة مطابقة الجملة الكاملة محددة من خلال دلالة أجزائها بناءً على "مبدأ التركيبية"، الذي أثرناه سابقا، والذي سيكون موضوع اهتمامنا لمرات عديدة. حالة الأشياء المحددة هكذا هي من قبيل أن الجملة صادقة إذا وفقط إذا كانت متحققة: إن حالة الأشياء تشكل "شرط الصدق" بالنسبة للجملة. وبالنظر إلى ذلك، فإن جملة "الثلج أبيض" هي صادقة إذا وفقط إذا كانت المادة التي تم التدليل عليها من خلال اللفظ - موضوع (الثلج) تمتلك الخاصية التي تمت الدلالة عليها من قبل اللفظ العام الموجود في موقع حملي (البياض). انطلاقا من اللحظة التي نحدد فيها دلالة المطابقة للفظ - الموضوع ودلالة اللفظ الموجود في موقع حملي، فإننا نحدد آليا دلالة الجملة كاملة، بمعنى

حالة الأشياء التي تقوم بتمثيلها والتي، إذا تحققت، تجعلها صادقة. ومثلما سنرى ذلك، فإن علم الدلالة يعيّن للتعبيرات البسيطة للغة دلالات مطابقة (بواسطة "قواعد معجمية" من قبيل القاعدة التي تفيد أن "الأبيض" يعيّن "البياض")، ومن خلال "قواعد التركيب" (من مثل القاعدة التي تكون بموجبها جملة متكونة من موضوع ومحمول صادقة إذا وفقط إذا كانت دلالة المطابقة للفظ موضوع تمتلك الخاصية التي تعين اللفظ العام الذي يوجد في موقف حملي) تقوم بتحديد دلالة المطابقة بالنسبة للتعبيرات المركبة وبشكل خاص دلالة المطابقة المتعلقة بالجمل: أي بشروطها المتعلقة بالصدق.

أشرت إلى أن دلالة المطابقة المتعلقة بالجملة "يمكنها" أن تمثل شرط صدقها، أي حالة الأشياء التي تمثلها. لكن هذا التصور الطبيعي تمت محاربته بكل قوة من قبل فريغه. فبحسب ما يذهب إليه، فإن مرجع جملة أو ما تحيل إليه لا يمثل شرط صدقها، أي حالة الأشياء التي تمثلها (والتي، إذا ما تم إنجازها، يجعلها صادقة)، ولكن يمثل قيمة صدقها، أي القيمة التي تأخذها عندما نقيّمها قياسا إلى وضعية ما: والجملة يقال عنها أنها "صادقة" إذا ما كانت وضعيتها تستوفي شرط الصدق، ويقال عنها أنها "كاذبة" إذا لم تكن كذلك. وشرط الصدق نفسه هو على الأكثر معنى القول، أي ما يحدد الإحالة (قيمة الصدق).

واعتمادا على دعم هذا المذهب، يستعمل فريغه حجة يبدو أنه كان يعتبرها غير قابلة للاستئناف، حجة يبدو لي بالرغم من ذلك أنها قابلة للرفض ويتوجب علينا فحصها بكل عناية.

2 - حجة فريغه ضد فكرة أن الجمل تعين حالات الأشياء

في محاججته يستدعي فريغه من جديد مبدأ التركيبية. وبحسب هذا المبدأ، فإن الإحالة المتعلقة بالكل هي رهن بالإحالة المتعلقة بالأجزاء (تماما، مثلما أن معنى الكل متوقف على معنى الأجزاء). ويستتبع من خلال ذلك، أنه إذا قمنا في جملة، باستبدال تعبير بتعبير آخر يملك الاحالة نفسها، فإن إحالة الجملة يجب أن يبقى كما هو. وبالفعل، فإنه وبناءً على

الحجة نفسها، فإن دالة ما fonctionلا يمكنها إلا أن تعيد دائما القيمة نفسها. وعليه فما الذي يحدث إذا استبدلنا، في جملة ما، تعبيرا، من مثل الوصف "الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية"، بوصف آخر يحمل الإحالة نفسها، والمتمثل في "الرئيس المقبل للولايات المتحدة الأمريكية"؟ فقيمة الصدق المتعلقة بالجملة لا يمكنها أن تتغير، من منطلق أن الرئيس الحالي والرئيس المقبل يمثلان شخصية واحدة وهي عينها. وإذا كان صحيحا أن الرئيس الحالي هو جمهوري، وإذا كان الرئيس الحالي = الرئيس المقبل، فإنه يستتبع إذن منطقيا أن الرئيس المقبل هو جمهوري. وبالتالي فإن التعبيرات التي لها الإحالة نفسها هي إذن قابلة للتبادل *salva veritate*. وفي مقابل ذلك، فإن شرط الصدق يتغير عندما نستبدل وصفا بآخر. وحتى تكون الجملة الأولية صادقة، يجب ويكفي أن يكون جمهوريا، ويجب أن يكون هو الوحيد، رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية في سنة 2004. عندما نقوم بالاستبدال فإن شرط الصدق يتغير: "الرئيس المقبل للولايات المتحدة الأمريكية جمهوري" صادقة إذا وفقط إذا كان جمهورياً، وسيكون لوحده، رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية خلال الولاية الرئاسية المقبلة (في 2005). غير أنه وبالرغم من الهوية المتمثلة في "الرئيس المقبل = الرئيس الحالي"، فإن الشرطين لا يمكنهما إلا أن يستوفيا بطريقة متزامنة، إنهما لا يمثلان شرطاً واحدا. من منطلق أن شخصا عقلانيا، يجهل واقع أن الوصفين متضايفان، يمكنه إلى حد بعيد اعتبار إحدى الجملتين صادقة ("الرئيس الحالي هو جمهوري") مع رفضه للجملة الأخرى كونها كاذبة ("الرئيس المقبل هو جمهوري"). ويبرهن ذلك، بحسب فريغه، أن الأفكار المعبّر عنها من خلال القولين ليست هي نفسها: ففكرتان تكونان هما نفسهما، وفق ما يذهب إليه، فقط إذا كان من المستحيل على ذات عاقلة أن تعطي قبولها لواحدة وترفض ذلك بالنسبة للأخرى في اللحظة نفسهَا. إن الفكر المعبّر عنه من خلال قول يماثل إذن شرط صدقه، ومن المستبعد أن نجعل منه مرجع الجملة: فبالفعل الفكر يتغير عندما نستبدل تعبيرا بآخر يحمل الإحالة نفسها، بينما، فإنه وبالنظر إلى مبدأ التركيبية، فإن الإحالة المتعلقة بالجملة لا يجب أن تتغير. والحال أن الذي لا يتغير عندما نقوم بالاستبدال، هو قيمة الصدق

المتعلقة بالجملة: إذا كانت الجملة صادقة، ستظل كذلك، وإذا كانت كاذبة، ستظل كاذبة. وبالتالي فإن قيمة الصدق هي التي تمثل الإحالة الخاصة بالجملة، فبحسب فريغه، الفكر هو معنى الجملة، والذي هو، أي دائما المعنى، يحدّد إحالته.

وتفترض هذه الحجة الخاصة بفريغه نسقه الخاص. فإذا كنا نتموقع في الإطار الذي وضعنا مخططه في الفصل السابق، فإن الأشياء مختلفة إلى حد بعيد. ففي سياق الإطار المتعلق بكبيلان، فإن المحتوى هو الذي يطابق ما أسميه دلالة المطابقة. ذلك أن محتوى تعبير مركب (على سبيل المثال جملة) متوقف على محتوى أجزائه، مثلما أن عند فريغه الإحالة الخاصة بالكل متوقفة على إحالة الأجزاء. ويمكننا إذن أن نستبدل تعبيرا بتعبير آخر يحمل المحتوى نفسه دون أن نعدّل محتوى التعبير المركب الذي يقع بداخله فعل الاستبدال. وبالتالي فإنه إذا قمنا، في القول "مارك توين Mark Twain كتب إلى توم سوير Tom Sauyer"، باستبدال التعبير الذي يحمل إحالة مباشرة إلى "مارك توين" بآخر يحمل المحتوى نفسه (على سبيل المثال اسم التعميد لمارك توين، أو الاسم الحقيقي صامويل كليمينس Clemens ")، وإذن فإن حالة الأشياء الممثلة من طرف القول لا تتغير أكثر من قيمة صدقه: وتتمثل حالة الأشياء هذه دائما في امتلاك الشخص مارك توين (= صامويل كليمينس") لخاصية القيام بكتابة [مغامرات] توم سوير. ويكون بذلك مبدأ التركيبية قد أُحترم إذن إذا جعلنا من حالة الأشياء المحتوى (دلالة المطابقة) الخاص بالجملة. أجل، إذا كان التعبير الذي نقوم باستبداله يمثل وصفا، وإذا قمنا على سبيل المثال في "كاتب [مغامرات] توم سوير كان أمريكيا" باستبدال "كاتب مغامرات توم سوير" بالوصف المتضايف "كاتب مغامرات هكلبيري فين"، يمكننا أن نحاجج بالقول أننا نغيّر محتوى القول: بتغييرنا لشرط صدقه. ولكن حتى وإن دعّمنا ذلك، يمكننا أن نحافظ على فرضية أن دلالة المطابقة الخاصة بجملة ما هي حالة الأشياء التي تمثلها، وشرط صدقها، دون أن نعتدي على مبدأ التركيبية. وبالفعل، فمهما كان الذي يدافع عن أن الاستبدال في هذه الحالة يغيّر المحتوى، فإن دلالة المطابقة (وليس فقط المعنى)، المتعلقة بالقول، يجب أن تدافع أيضا عن أن الوصفين لا

يحملان المحتوى نفسه: فأحدهما يدل على نوع من الخاصية (خاصية القيام بكتابة مغامرات توم سوير) والآخر يدل على خاصية أخرى (خاصية القيام بكتابة مغامرات هكلبيري فين). والحال أنه لن يكون هناك اعتداء على مبدأ التركيبية إلا إذا كان استبدال تعبير بآخر من المحتوى نفسه يفضي إلى تغيير محتوى الجملة الشاملة.

3 - معنى الجمل وما صدقها

أستنتج، بناءً على ما سبق، أن حجة فريغه عاجزة عن إقصاء الفرضية التي تفيد أن دلالة المطابقة لجملة ما (أي محتواها) هي شرط صدقها، وهي حالة الأشياء التي تمثلها. لكن يمكننا، بالرغم من ذلك،أن نعطي لقيمة الصدق دوراً مناظراً للدور الذي يريد فريغه أن تؤديه: مثلما هو الوضع عليه بالنسبة لعلم الدلالة الكارنابي، حيث يمكننا أن نجعل من قيمة الصدق ماصدقاً للجملة. والشيء نفسه في الحقيقة بالنسبة للخاصية التي يتم تعيينها من طرف لفظ عام مثل "ابيض" الذي يحدد، في سياق عالم معطى، مجموع الأشياء [أو المواضيع] التي تمتلك هذه الخاصية والتي تمثل ما صدق اللفظ في هذا العالم، فحالة الأشياء التي يتم تعيينها من خلال الجملة تحدد، قياسا بعالم معطى، "قيمة الصدق" الخاص بالجملة، أي إذا كانت هذه الجملة صادقة أو كاذبة (قياسا إلى هذا العالم): وبالتالي فإن القول "الثلج أبيض" صادق في عالمنا، ولكنه يكون خاطئا في عالم لا يمتلك فيه "الثلج" هذه الخاصية، وأين لا تتم الاستجابة، نتيجة لذلك، لشرط الصدق الخاص بالجملة. ما يبرر جعل قيمة الصدق بمثابة ماصدق للجملة (عوض دلالة مطابقتها)، هو خاصيتها أو صفتها التابعة تجاه ظرف التقويم. فعلى خلاف الماصدق، الذي ينتج عن التقويم، فإن دلالة المطابقة، مفهومة بوصفها "محتوى" بالمعنى الكيبلاني، هي ما نقوّمه اعتمادا على ظرف ما، ويجب أن تُعطى نتيجة لذلك في استقلال عن وضعية التقويم.

وعلاوة على دلالة المطابقة (المحتوى) وعلى الماصدق، فإن الجملة تملك أيضا معنىً فريغيا: ممثلا في الطريقة التي يتم بها تقديم حالة الأشياء

التي يتم تعيينها. من الواضح أن قولين من مثل "مارك توين كتب مغامرات توم سوير" و"صامويل كليمنس كتب مغامرات توم سوير" لهما معاني مختلفة أو تعبّران عن "أفكار" مختلفة، من منطلق أن شخصاً عاقلاً يمكنه أن يعطي قبوله للأول ويرفض الآخر في اللحظة نفسها. ويمكننا أن نقول، أن حالة الأشياء نفسها تقدم وفق أنماط تقديم مختلفة: هنا، أنماط تقديم الخصائص الكيبلانية - على الأقل إذا ما قبلنا (وعلى عكس كيبلان نفسه) أن نشرك إلى اسمي علمين متضايفين خصائص مختلفة. وبالتالي فإن "الفكر" الفريغي ليس متطابقاً إذن مع ما أسميته شرط الصدق: فالفكر الفريغي يناظر شرط الصدق تحت جملة من أنماط التقديم. فالقولان (مثل "مارك توين كتب مغامرات توم سوير" و"صامويل كليمنس كتب مغامرات توم سوير") يمكن أن يكون لهما شرط الصدق الموضوعي نفسه حتى وإن كنا نذهب إلى أنه، لكونهما يعبّران عن أفكار مختلفة، يمكن من الناحية العقلانية أن نأخذ أحدهما على أنه صادق مع شكنا في صدق الآخر.

كيبلان		فريغه
خاصية[صفة]	نمط التقديم	"فكر"
محتوى	حالة الأشياء [المُقدمة]	(معنى)
	(شرط الصدق	
الماصدق	قيمة الصدق	إحالة

جدول رقم 8. القيم الدلالية للجملة عند فريغه وكيبلان

4 - وحدة القضية :

(1) المفارقة الفريغية

كيف يحدث أنه من خلال وضعنا معاً لفظاً فرديا، يدل على موضوع، ولفظا عاما يدل على خاصية، نحصل، على مستوى دلالة المطابقة الخاص

بالتعبير المركب المُكوّن وفق ما سلف ذكره، على كيان مهيكل بشكل بنيوي وموحّد يجتمع في سياقه الموضوع [الشيء] والخاصية معاً، ومن خلال وحدتهما، يشكلان ما نسميه "حالة الشيء"؟ هذا السر الغامض هو ذلك المتعلق بوحدة القضية. رد فعل فريغه تجاه هذا اللغز يكمن في قوله أن الخصائص والمواضيع تجتمعان معاً بفضل طبيعتهما المتكاملة: فالخصائص هي كيانات غير كاملة في الأساس وهي في حاجة إلى المواضيع من أجل أن تتحقق. فإشراك موضوع مع خاصية، يشبه قيامنا بإعطاء حجة لدالة ما: الدالة تعيد إذن القيمة المناظِرة لهذه الحجة. والواقع أن، الخاصية هي بالنسبة لفريغه دالة تقوم في كل موضوع بتحديد قيمة "صادق" أو "كاذب" بحسب ما إذا كان الموضوع/الشيء يمتلك الخاصية أم لا.

وكما سبق أن رأينا ذلك فإنه بالنسبة لفريغه، قيمة الصدق ("صادق" أو "كاذب" بحسب الحالات) هي التي تمثل إحالة الجملة، وهي محددة من خلال إحالة العناصر المكوِّنة (الموضوع والخاصية). وكنا قد اخترنا رؤية مختلفة إلى حد ما حيث قيمة الصدق ليست شيئاً آخر غير الماصدق، والذي هو وعلى خلاف دلالة المطابقة، متوقف على ظرف التقويم. يمكننا أن نتقبل مع فريغه أن خاصية ما هي (أو هي تناظر) دالة والتي مع كل موضوع تعيّن قيمة "صادق" أو "كاذب" بحسب ما يكون الموضوع مالكا أم لا للخاصية، ويتوقف ذلك على العالم، وعلى ظرف التقويم. محتوى الجملة الذي ينتج فوريا عن اتحاد اللفظ الفردي مع اللفظ العام، ليس هو إذن قيمة الصدق (المتوقف على العالم)، ولكن هو في الواقع دالة تقوم في كل "عالم ممكن" بإشراك قيمة "صادق" أو "كاذب" بحسب ما يكون الموضوع، المتعلق بالعالم المعني، مالكا أم لا للخاصية. ومثل هذه الدالة المتعلقة بالعوالم في قيم الصدق تطابق بصرامة ما نسميه حالة الأشياء.

يتمثل إذن الحل الفريغي لمشكلة وحدة القضية، في العودة إلى الأنطولوجيا: حيث المواضيع والخصائص متداخلان باطنيا بحيث إنه، عندما يوضعان معاً، يتحدان. هذا الحل يثير بالرغم من ذلك صعوبة. فعندما أقول "الثلج أبيض"، فإني أشير إلى جوهر هو (الثلج) وأُسنِد له خاصية

(البياض). وعندما يوضعان معا، فإن دلالة المطابقة الخاصة باللفظ المفرد وتلك الخاصة باللفظ العام تتحدان بفضل طبيعتهما الخاصة. ولكن لماذا إذا كانت الوحدة تنبثق من طبيعتهما ذاتها، نجد أن هذه الوحدة لا تتحقق عندما، وعوض أن نقول جملة مثل "الثلج أبيض"، نكتفي بقول قائمة أين تتم تسمية الموضوع والخاصية بشكل متتابع؟ لماذا تفشل قائمة "الثلج، البياض" في الدلالة على حالة الأشياء الموحدة أين الثلج والبياض "يجتمعان معا"، إذا كانت وحدة الاثنين آلية وتنبثق من طبيعتهما فقط؟

إجابة فريغه عن هذا التساؤل معروفة جيدا: وهي التي أدت إلى ميلاد ما نسميه بـ"مفارقة فريغه"[1]. يؤكد فريغه أنه لا يمكن أن ندل على الثلج وندل على البياض دون أن تتحد هاتان الدلالتان بشكل آلي، وتُحدّدان معاً، قيمة الصدق. وبما أن قائمة مثل "الثلج، البياض" ليست لا صادقة ولا كاذبة، يستنتج فريغه أن هذه القائمة تخفق في تقديم الدلالات المطلوبة. وينفي فريغه في المقام الأول أن يقوم التعبير "البياض" بتعيين الخاصية. لأن الخاصية هي، بالنسبة إليه، هي بمثابة إحالة خاصة بتعبير حملي - صفة، فعل، أو اسم مشترك. والتعبير الذي يبتدئ بأداة التعريف لا يعتبر أبدا بالنسبة إليه تعبيراً حمليا. "البياض" هو لفظ مفرد، تماماً مثل "الثلج"، واللفظ المفرد لا يدل أبدا على خاصية، ولكن على موضوع.

وتستتبع نتيجة لذلك مفارقة فريغه مباشرة. فبحسب فريغه فإن القول الذي يبدو صادقا بشكل مبتذل، كقولنا "البياض هو خاصية"، هو في الواقع كاذب ما دامت دلالة اللفظ الموضوع sujet "البياض" هي موضوع وليست خاصية. وسيحدث الشيء نفسه - وهنا تتجلى المفارقة- بالنسبة لقول مثل "خاصية أن يكون أبيض هي خاصية". وهذا أيضا يجب أن يكون شائعا أنه كاذب، لأن "خاصية أن يكون أبيض" هو لفظ مفرد، ولا يمكن لإحالته إلا أن تكون موضوعا. بالرغم من أن قولاً مثل "خاصية أن يكون أبيض هي خاصية" تبدو قابلة للبرهنة عليها بأنها صادقة.

وبعيدا عن أن يرى في ذلك تفنيداً لمذهبه، فقد رأى فريغه في هذه المفارقة إحدى النتائج المتعلقة ببعض خصائص اللغات الطبيعية، التي تُرغم

على "تشييئ" الخصائص من أجل الحديث عنها. وبالتالي فليس المذهب هو الذي يحمل في حد ذاته صفة المفارقة. لأنه وعوض أن نمفصل المذهب أو نتيجته في اللغة الطبيعية ("خاصية أن يكون أبيض ليست خاصية")، نستعمل من أجل تحقيق ذلك اللغة المنطقية التي وضعها فريغه، فتختفي المفارقة.

نجد في الأدبيات المعاصرة أن هناك من يقبل بالحِجاج الذي يعتمده فريغه؛ فمؤخراً، حتى فيلسوف اللغة جيمس هيغينبوتام James Higginbotham أكد أن فريغه قام، من خلال ملاحظته المتعلقة بخصائص اللغات الطبيعية التي تفضي إلى نشأة المفارقة، باستباق بعض نتائج اللسانيات المعاصرة[2]. ومهما يكن من أمر، فإن الكثير من الفلاسفة يرون أن الثمن الذي يتوجب دفعه بشأن (مفارقة فريغه) جد مرتفع، وأنه يتوجب البحث عن حل آخر بالنسبة للّغز المتعلق بوحدة القضية.

5 - وحدة القضية:

(2) الموضوع والمحمول

هناك حل آخر يكمن في تمييز شيئين: دلالة المطابقة (ما يقوم التعبير بتمثيله) ودورها الدلالي (الذي تقوم به). فالذي يقوم بالجمع بينهما معاً دلالة المطابقة للفظ المفرد "الثلج" ودلالة المطابقة للفظ العام "أبيض" ليس طبيعتهما الباطنية، ولكن كون اللفظ العام له وظيفة حملية. فمن منطلق كونه لفظا مفرداً، فإن "البياض" لا يملك مثل هذه الوظيفة الحملية وبالتالي فإن الاتحاد لا يحدث.

وبحسب وايغينز Wiggins[3] وستراوسن Strawson[4]، ليس حتى اللفظ العام "أبيض" هو الذي يملك الوظيفة الحملية، ولكن التعبير المركب الناجم عن إدراج الرابطة copule: ف"هو أبيض" له وظيفة حملية ويشتمل، مثلما كان يقول فريغه، على مكان فارغ سيقوم لفظ الذات بملئه. إن "أبيض" له فقط دلالة مطابقة: وهذه الصفة تدل على البياض، وتسمح بإسناده، عندما يجد نفسه، بفضل الرابطة، موضوعا في موقع حملي. ومهما

يكن من أمر هذه النقطة الدقيقة، فإن الألفاظ العامة وعلى خلاف الألفاظ المفردة، هي على الأقل حملية بشكل كامن. إنها "محمولات"، في الاصطلاح الخاص ب غيش Geach[5]. ما هو خاص بالنسبة للمحمولات هو أن لها توأم سالب: فانطلاقا من كل محمول، يمكننا أن نكوّن محمولا آخر، الذي هو سلب [أو نفي] للأول. وبالتالي فإنه انطلاقا من "أبيض" يمكننا أن نكوّن "لا أبيض" (أو "ليس أبيض")، وانطلاقا من "عادل" يمكننا أن نكوّن "لا عادل" (أو "ظالم")، إلخ. إنها خاصية باطنية بالنسبة للألفاظ العامة والتي هي، من منطلق كونها محمولات، فهي تقسّم مجال المواضيع - أو مجال المواضيع الذي يناسبها - إلى قسمين [أو فئتين]، بالنظر إلى انطباقه عليهما أم لا: فإذا كان محمول ينطبق على عناصر أحد القسمين، فإن نفي المحمول ينطبق على عناصر القسم المكمِّل. ولا تدخل الألفاظ المفردة في مثل هذين الزوجين المتناقضين.

إن الحل المتعلق بمسألة وحدة القضية الذي أقترحُه هو إذن الآتي. إن الألفاظ العامة والألفاظ المفردة تدل، وليس مستبعدا أن يكون للفظ مفرد ("البياض") دلالة المطابقة نفسها مع لفظ عام ("أبيض"). (أن تقول إن ذلك ليس مستبعدا، لا يعني أن تقول إن الحالة هي كذلك: أريد أن أبقى فاقدا للتمييز بشأن هذه المسألة الحساسة، التي ترهن مفارقة فريغه.) ما يميّز الألفاظ العامة عن الألفاظ المفردة، هي خاصية دلالية ليست أقل أهمية من دلالتهما المطابقة: فدورهما الدلالي بوصفهما تعبيرين حمليين أو تعيينين، يستجيب للاتساق التركيبي لتعبير مركب يشتمل على عنصر تعييني وعنصر حملي، على المستوى الدلالي، ولاتساق حالة الأشياء التي يجري الدلالة عليها دلالة مطابقة من طرف التعبير المركب. ويكون هذا الاتساق مضموناً من طرف الأدوار المكمِّلة التي يلعبها نمطا التعبيران: فالتعبير الحملي يسمح بإسناد الخاصية التي يدل عليها إلى الموضوع المعيّن من طرف التعبير ألتعييني. إن قاعدة التركيب التي يتم إشراكها مع البناء المتعلق بالموضوع/ المحمول تعكس هذين الدورين المتكاملين. فالجملة المتكوّنة من موضوع/ محمول تكون صادقة إذا وفقط إذا كانت دلالة المطابقة المتعلقة باللفظ موضوع تمتلك الخاصية التي تتم الدلالة عليها من طرف اللفظ الحملي (أو

تشكل جزءاً من ماصدقها). هذه القاعدة التي تقتضي تقسيم التعبيرات إلى مقولتين غير متجانستين، تسمح، من خلال تخصيص دلالات إلى مكونات الجملة، بتحديد شروط الصدق المتعلقة بها، أي حالة الأشياء التي تمثلها.

إن التمييز ما بين دلالة المطابقة والدور الدلالي الهام من وجهة النظر الفلسفية، يؤدي في الواقع إلى إضفاء طابع النسبية على ادعاءات علم الدلالة الإحالي [المرجعي]. فما تمثله الكلمات هو مهم بكل تأكيد، ولكن، وباستثناء قبولنا بالحل الفريغي لمسألة وحدة القضية وبالمفارقة المترتبة عنها، فإنه يبدو أن ما تقوم به الكلمات ليس أقل أهمية، وربما هو، كما سأحاول الدفاع عنه في القسم الثاني من الكتاب، أكثر أهمية بكثير.

6 - المحمولات والحمل الفعلي:

معيار بريور Prior

قلت الآن أنه، من أجل تأسيس وحدة القضية، يجب أن لا تكون فقط التعبيرات مزودة بدلالة المطابقة ولكن مقسمة أيضا إلى مقولتين غير متجانستين، مميزتين من خلال وظيفتهما الدلالية: الوظيفة التعيينية والوظيفة الحملية. ولكن كيف نقوم بإجراء هذا التقسيم؟ المظاهر النحوية، وبخاصة بنية "موضوع/ محمول" التي تحدثت عنها، أليست مضللة أحيانا؟ في Throuth the Looking Glass (**ما تجده أليس** Alice **في الجانب الآخر من المرآة**) للويس كارول Lewis Carrol، يتصرف الملك وكأن التعبير *nobody* (لا أحد) يشير إلى شخص لأنه بإمكانه، سطحيا، أن يملأ مكان الفاعل أو الموضوع الخاص بالفعل مثلما يقوم به لفظ مفرد(6). ولكن لفظ *nobody* وحتى عندما يملأ مكان الفاعل في الجملة، فإنه لا يعيّن أي موضوع قابل لأن يمتلك أو لا يمتلك الخاصية التي تتم الدلالة عليها من خلال اللفظ الحملي: فالقاعدة التي مؤداها أن جملة متكونة من موضوع- محمول هي صادقة إذا وفقط إذا كانت دلالة المطابقة للفظ الموضوع تملك الخاصية التي تتم الدلالة عليها من طرف اللفظ الحملي لا يمكنها إذن أن تنطبق. يمكننا القول، على الخيار، أن *nobody* ليس فاعلا بالمعنى الحقيقي، أو أن ما يهم

هو بدرجة أقل المفهوم النحوي السطحي لـ"الفاعل" مقارنة مع المفهوم، المنطقي، للتعبير التعييني. هذان الحلّان يعودان في الواقع إلى حد ما إلى الشيء نفسه: يتعلق الأمر في الحالتين بالذهاب أبعد من المظاهر النحوية السطحية. من هنا تأتي ضرورة المعايير من أجل تحديد التعبيرات التعيينية والحملية.

لقد رأينا أن المحمولات تستجيب لشرط يسمح بالتمييز ما بينها: إنها تدخل في أزواج متناقضة ولها "توأم سالب". وتلك ليست هي الوضعية نفسها بالنسبة للتعبيرات التعيينية. ويسمح لنا هذا المعيار حتى الآن بإقصاء *nobody* من التعبيرات التعيينية لأن هذا التعبير يدخل في سياق زوج متناقض: nobody/somebody (لا أحد/ أحد ما). وهذه السمة تنسبه إلى المحمولات. وعليه يمكن أن نؤكد أنه في قول مكمّم مثل "جاء أحدهم" أو " لم يأت احد"، فإن اللفظ المكمّم ("أحد ما"، "لا أحد") هو الذي يؤدي حقيقة الدور الحملي: بالنسبة للمحمول "جاء"، فإنه بجد نفسه معزولا عن دوره. ذلك هو على الأقل، هو نمط الاستنتاج الذي يقودنا إليه معيار آخر، المنسوب إلى بريور(7). هذا المعيار البسيط جدا يسمح في اللحظة نفسها بعزل مواطن الذكر occurrences الحملية للمحمولات عن مواطن الذكر غير الحملية، وبتحديد الألفاظ التعيينية.

عندما يؤدي تعبير وظيفته بطريقة حملية داخل جملة، فإن بريور يقول لنا، أن إنكار الجملة (أو أن نطبّق عليها أي عامل قضوي، سلب أو آخر) يؤدي إلى إثبات الجملة المشتملة على التوأم السالب للمحمول (أو في حالة العوامل الأخرى غير تلك المتعلقة بالسلب، فإن الجملة المشتملة على موقع ومكان المحمول [أي] المحمول المركّب الذي نحصل عليه من خلال تطبيقنا على المحمول الأول العامل الذي أشرنا إليه). فأن ننكر هكذا "جاء جان Jean" (وأن نقول مثلا : "ليس صحيحا أن جان جاء") هو بمثابة إثبات أن "جان لم يأت". نلاحظ بذلك أنه في "جاء أحدهم"، المحمول "جاء هو" لا يشتغل بطريقة حملية حقيقة. لأن إنكار "جاء أحدهم" (أن تقول مثلا: "ليس صحيحا أنه جاء أحدهم") لا يفضي البتة إلى إثبات أن "أحدهم لم يأت"، إن ذلك يؤدي على الأرجح إلى إثبات أنه لم يأت أحد.

لا يتعلق السلب هنا بالمحمول " جاء هو"، ولكن بـ"أحد ما"، الذي يحوّله السلب إلى "لا أحد". ولذلك فإن "أحد ما"، الذي هو أيضا محمول بفضل اختبار غيش، يلعب هنا دور المحمول الفعلي. القول أن "أحدهم جاء"، معناه القول أن خاصية أنه جاء، تدل من خلال المحمول "جاء هو"، ويتم تحيينه من طرف شخص على الأقل: يعني ذلك إذن إسناد إلى خاصية ما، خاصية من الدرجة الثانية. عند فريغة، فإن المكمّمات [المسوّرات] quantificateurs مثل "لا أحد" أو "أحد ما" يتم معالجتها بشكل صريح بهذه الطريقة، كمحمولات من الدرجة الثانية.

يسمح معيار بريور أيضا، كما أعلنت ذلك، بعزل التعبيرات التعيينية. فتعبير ما a هو تعييني إذا وفقط إذا، وليكن لدينا حمل F(a)، من التكافؤ أن نقوم بحمل السلب، الممثل من قِبَل الرمز "¬ "، على الجملة العامة أو فقط على المحمول:

$\neg F(a) \equiv \neg(Fa)$. ويبدو من ثمة أن " أحداً ما" ليست تعبيرا تعيينيا، مادام أن "أحداً ما [أو أحدهم] لم يأت" ليست متكافئة مع "ليس صحيحا أن أحداً ما جاء(8)".

هذه الاختبارات تبيّن أننا لا نفتقر إلى معايير من أجل تمييز التعبيرات التي تقوم بالتعيين وتلك التي تقوم بالحمل. وبالتالي فليس إذن من غير المعقول أن نقوم بتقسيم للتعبيرات بحسب وظيفتها (تعيينية أو حملية)، بهدف أن نقيم على هذا المستوى التكامل الضروري لوحدة القضية، عوض أن نجعل كل شيء يستند على دلالة المطابقة.

القسم الثاني

علم الدلالة والاستعمال

الفصل الرابع

البديل لعلم الدلالة الإحالي

1 - علم الدلالة الإحالي وعلم الدلالة "التداولي"

تصرفت، في بداية الفصل الأول، وكأنه لا وجود سوى لخيارين بالنسبة لعلم الدلالة: علم دلالة إحالي [مرجعي]، يشرك مع الكلمات أشياءً (دلالة المطابقة الخاصة بها)، وعلم دلالة معرفي، يشرك مع الكلمات تمثلات ذهنية. وواقع كون الخيار الثاني يثير اعتراضا مبدئيا لا يمثل حجة لصالح الأول إلا إذا كان هذان الخياران هما حقيقة الوحيدان المتوفران. فهل هما كذلك؟ بكل دقة، لا أعتقد ذلك. هناك خيار ثالث: يمكننا أن نشرك الكلمة والاستعمال الذي هو في الحقيقة - وظيفتها. كنا قد رأينا في واقع الأمر، في الفصل الثالث، بروز الوظيفة (على غرار الوظائف التعيينية والحملية للألفاظ المفردة والعامة على التوالي) كبعد مستقل نسبيا في علاقته مع دلالة المطابقة؛ كنت قد أكدت على أن ذلك يقود إلى جعل ادعاءات علم الدلالة الإحالي أكثر نسبية.

من أجل إدراج فكرة علم دلالة مؤسّس على الوظيفة، لنبتدئ بأشياء بسيطة. تعبير مثل "أنا آسف" يمثل حالة أشياء (حالة سيكولوجية للمتكلم - واقع أنه آسف) ولكن له، من ناحية أخرى، استعمال: إنه يفيد الاعتذار. إن معنى التعبير متكوّن بشكل كبير من خلال وظيفته، ومن خلال دوره في الممارسة اللغوية. أشير، في سياق نظام الأفكار نفسه، إلى أنني عرفت فتاة صغيرة اكتسبت القدرة على التحكم في التعبير [القائل] أن "الأمر ليس خطيرا"، بمعنى أنها كانت تحسن توظيفه في الظروف الملائمة (بالشكل

تلك). الذي كان يقطع مباشرة مع اللوم الناجم عن اقتراف هذه الحماقة أو
لم تكن تعرف حقيقة ما الذي يجعل على نحو (موضوعي) من حماقة ما أمراً
"خطيراً": ولكنها فهمت ما الذي نعمله بهذا التعبير بقولنا: "الأمر ليس
خطيراً". هناك إذن بعدين متمايزين المحتوى والوظيفة والسؤال الذي
يُطرح يتعلق بمعرفة أيهما سيتصدر. إن علم دلالة تداولي، متمايز في اللحظة
نفسها عن علم الدلالة الإحالي وعلم الدلالة المعرفي، يعتبر الاستعمال،
والوظيفة، بمثابة العنصر الأساسي: إعطاء معنى تعبير ما، معناه القول ما
الاستعمال المخصص له، وفي ماذا يفيد. بحسب الشعار المنسوب إلى
فتغنشتاين Wittgenstein، "المعنى، هو الاستعمال" (*meaning is use*)[1].

إن المحتوى التمثيلي هو، بحسب وجهة نظر علم الدلالة الإحالي، الأول: فما نفعله بتعبير لغوي ما متوقف على ما يدل عليه. وبالتالي فإنه ومن منطلق، قولنا "الأمر ليس خطيراً"، ننسب إلى الفعل الذي نحيل إليه خاصية كونه غير خطير، فإننا نضع بذلك حدا للّوم الذي يثيره هذا الفعل. والشيء نفسه، فلكوني "أنا آسف" ينسب [هذا القول] إلى المتكلم نوعا من الحالة النفسية وهو ما يسمح له، من خلال نسبته لنفسه لهذه الحالة، أن يظهر تعاطفه (أو أسفه) ويؤدي بذلك نوعا من أنماط الفعل الاجتماعي. إن علم الدلالة الإحالي متضامن مع تصور تقليدي للعلاقات ما بين علم الدلالة والتداولية والتي سأستعرضها في القسم الثالث من الكتاب، والتي بمقتضاها يكون المحتوى هو الأول، فإن "قوة" الكلمات لكونها تمثل وظيفة، من بين أشياء أخرى، لمحتواها. (فذلك لا يمنع فتاة صغيرة مثل تلك التي تحدثت عنها من تعلم قوة الكلمات مباشرة، حتى قبل أن تعرف معناها؛ يبقى أنه إذا كانت الكلمات لها هذه القوة فلأنها تملك هذا المعنى).

إن العلاقة ما بين المحتوى والوظيفة هي شيء آخر تماما، في أفق علم الدلالة التداولي. فالوظيفة هي الأولى، والمحتوى يتوقف على الوظيفة. أن نشرك تعبيرا ما مع نوع من الوظيفة، فإن ذلك يقود في الواقع، في بعض الحالات، إلى إشراكه مع شيء (أو حالة أشياء) التي يمثلها. لنأخذ كلمة "أنا". هذه الكلمة لها بكل بداهة وظيفة: إنها تصلح لكي نمثل أنفسنا -

إنها أداة بفضلها يعيّن المتكلم نفسه. ووظيفة هذه الكلمة هي إذن تعيينية، وعندما تكون الكلمة مستعملة بشكل طبيعي فإنها تحيل إلى المتكلم. الكلمة تعيّن إذن شيئا ما، ولكنها في المقام الأول وبداية مشتركة مع وظيفة ما، وتَشارُكها في شيء تعيّنه متوقف على هذه التشاركية الأولى مع وظيفة تعطي لها المعنى. وتسمح، بالطريقة نفسها، الجملة "الثلج أبيض" بإخبارنا (أو أن تقول في كل الأحوال) أن الثلج أبيض، وفعل الإخبار هذا يحمل هو نفسه محتوى (ما يتم الإخبار به، ممثلا في القول أن الثلج أبيض). يمكن أن ندافع بالقول أن الجملة ليست متشاركة مع حالة الأشياء التي تمثلها (نعني، من جديد، واقع أن الثلج أبيض) إلا بطريقة غير مباشرة، من خلال وساطة الوظيفة التي تتشارك معها مباشرة: والمتمثلة في الإخبار أن الثلج أبيض. و"ترث" الجملة، بشكل من الأشكال محتوى فعل الكلام الذي تتشارك معه.

2 - هل يملك كل تعبير استعمالا؟

في الأمثلة التي أعطيتها، يملك تعبير لغوي واحد في اللحظة نفسها محتوى تمثلي ووظيفة تداولية. وتلك هي بشكل خاص حالة جمل مثل "أنا آسف" أو "الأمر ليس خطيرا". ولكن هناك أيضا حالات يكون فيها لتعبير ما وظيفة دون أن يكون له محتوى تمثلي: ولنفكر في "شكرا" أو "إلى اللقاء". إذا كان يبدو أن لكل تعبير دور أو استعمال، حتى وإن كان من الخطأ بالتالي أن يكون لكل تعبير إحالة أو محتوى تمثلي،فإن ذلك يقدم حجة لصالح علم الدلالة التداولي: حيث إنه في سياق هذه الفرضية، بالتحديد، فإن هذا العلم يمتلك عمومية لا يمكن لعلم الدلالة الإحالي ادعاءها. وسأسمي هذه الحجة التي هي في صالح علم الدلالة التداولي حجة العمومية.

وفي مواجهة هذه الحجة، فإن أحدا من أتباع علم الدلالة الإحالي سيدافع عن فرضية أن المقام هو في واقع الأمر متماثل: فمثلما يمكن أن يكون لتعبير وظيفة تداولية مع كونه في اللحظة نفسها فاقداً لمحتوى تمثلي،

فإنه من الممكن أيضا، على عكس ذلك، أن يكون لتعبير ما محتوى تمثيلي ولكن دون وظيفة.

لقد أنكر أوستين Austin أن تكون هناك أقوال "وصفية"، خالية من الوظيفة التداولية[2] إن "الثلج أبيض" تمثل واقع أن الثلج أبيض، ولكن من منطلق كونه يمثل جملة إقراريه فإن هذا التعبير له أيضا وظيفة: فهو يُستعمل للإخبار، أي من أجل إثبات واقع حالة الأشياء التي يمثلها. فهل يكفي ذلك من أجل إثبات صحة حجة العمومية؟ لا، لأنه يمكن أن ندافع بالقول أنها وحدها الجمل الكاملة التي تملك وظيفة تداولية وصالحة لأداء فعل الكلام، تكون مزوّدة بجهة (إقراريه، أمرية، استفهامية، تعجبية)، على الأكثر، وليس الجمل كلها. وهي وحدها الحاصلة على وظيفة تداولية، بحسب حجة مشهورة (يسندها غيش إلى فريغه)، وهي تلك المتعلقة بالجمل التامة التي تكون مستقلة، أي تلك التي ليست جزءاً من جملة أخرى[3]. وبتتبعنا لهذا الحجاج، فإن جملة موضوعة بعناية داخل جملة أخرى (مثل جملة "الثلج أبيض" التي تتجلى في [القول] أن "بيير يظن أن الثلج أبيض") ليس لها وظيفة تداولية - إنها تسهم فقط في تحديد المحتوى العام للجملة التامة أين تتجلى، والتي تسمح بأداء فعل الإخبار.ودائما بحسب وجهة النظر هذه، وبطريقة أكثر بداهة، التعبيرات تحت - جُملية sub-phrastique لا تملك وظيفة تداولية ولكنها تسهم فقط في تشييد المحتوى العام للجملة أين تتمظهر: وبالتالي فإنه على مستوى الجملة العامة [الشاملة] المعنية في هذا السياق سيكون بإمكان الوظيفة التداولية أن تعيّن. ويتوجب علينا إذن أن نميّز بكل وضوح ما بين بُعد المحتوى (دلالة المطابقة) وبُعد الوظيفة التداولية. تمتلك أغلب التعبيرات محتوى، سواء تعلق الأمر بالتعبيرات تحت - جُملية (من الكلمات) أو بتعبيرات أكثر تركيبا، وحتى بالجمل التامة. وكما قلنا ذلك سابقا، ومثلما سنرى ذلك بتفصيل أكبر في الفصل السادس، فإن محتوى التعبيرات المركبة هو رهن بمحتوى التعبيرات الأكثر بساطة التي تتشكل منها - إنه مبدأ التركيب. وفي مقابل ذلك، فإن الوظيفة التداولية لا تحدث إلا بالنسبة للتعبيرات التي تصلح لتأدية فعل متصل بالكلام، أي الجمل التامة والمستقلة. إذا سلمنا أن، بعضاً من القيم الدلالية التي نقرر

تعيينها للتعبيرات اللغوية، ويجب أن تستجيب لمبدأ التركيب، فإن لدينا هنا حجة من أجل رفض علم دلالة تداولي مؤسس على الاستعمال.

وحتى وإن لعبت هذه الحجة دوراً أساسيا، من الناحية التاريخية، من أجل إقصاء علوم الدلالة المؤسسة على الاستعمال لمصلحة علوم الدلالة الإحالية، فإنني لا أجد هذه الحجة مقنعة، لسببين: من جهة، عندما نعيّن لجملة وظيفة، فإننا لا نريد بطبيعة الحال القول أن هذه الوظيفة مستوفاة في كل مرة تستعمل فيها هذه الجملة التي نعنيها في هذا السياق. وباتالي، فإنه حتى وإن خصصنا لجملة إقراريه وظيفة الإخبار، فإن ذلك لا يعني أن الجملة تستوف هذه الوظيفة حتى عندما تكون موضوعة بعناية داخل جملة أخرى. فلا شيء يمنع من أن الوظيفة المتشاركة مع تعبير معيّن، من أن تكون، في بعض المقامات، موقفة ومكبوتة. أما بالنسبة للتعبيرات تحت - جُملية، فليس من البديهي أن تكون بدون وظيفة. فعندما نقول "الثلج أبيض"، فإننا نصرح أن الثلج أبيض، وفعل الكلام هذا، ينقسم بحسب أوستين إلى فعلين متعلقان بالخدمة: فعل القيام بالإحالة إلى الثلج، وفعل القيام بالحمل على البياض. فالتعبير "الثلج" يستعمل من أجل تعيين الثلج، وصفة البياض، أو على الأقل تعبير "إنه أبيض"، يصلح لحمل البياض الخاص بالإحالة للفظ الموضوع (ممثلا، في الثلج). ضمن هذا الأفق، كل تعبير تحت - جملي الذي تتكون منه الجملة له، مثل الجملة في حد ذاتها، وظيفة، واستعمال؛ ويمكن أن ندافع بالقول أن المهمة الأساسية لعلم الدلالة تتمثل في إشراك كل تعبير مع نوع من الوظيفة أو نوع من الاستعمال. ولا شيء يمنع من التفكير في أن التعيين الذي نحن بصدده يكون منظما ومطابقا لمبدأ التركيب[4].

وحتى إذا تبنينا الأفق الذي قمت بإثارته، والذي يجب بمقتضاه على علم الدلالة أن يعيّن للتعبيرات وظائف، وأنماط للاستعمال، وذلك لا يمنع البعد الإحالي من أن يظل بعدا أساسيا: فغالبية تعبيرات اللغة تحيل إلى مظاهر من الواقع - إلى أشياء، خصائص، أو حالات الأشياء. وتظل نظرية الإحالة في كل الأحوال جزءاً مركزيا في علم الدلالة. المسألة التي أثيرها

هي فقط تلك المتعلقة بمعرفة ما إذا كان المفهوم الأول هو مفهوم الإحالة، أو إذا كان، مفهوم الإحالة ثانوي مقارنة بمفهوم الوظيفة والاستعمال، مثلما يذهب إلى ذلك علم الدلالة التداولي. لقد رأينا أن الميزان يميل نحو المقاربة التداولية، بسبب حجة العمومية.

3 - علم الدلالة التداولي:

لماذا يجب رفض التصور التقليدي

في سياق التصور التقليدي المستوحى من أفكار كارناب وموريس Morris، تقتضي التداولية (القائمة على دراسة استعمال الأشكال اللغوية) علم الدلالة (القائم على دراسة معناه، الذي يتم التعرف عليه من خلال دراسة العلاقة ما بين الكلمات والأشياء التي تمثلها)، ويقتضي علم الدلالة وجود علم التركيب. وفي المقابل فإن علم التركيب لا يقتضي علم الدلالة، وعلم الدلالة لا يقتضي التداولية. ويعني ذلك أنه يمكننا دراسة القواعد المتعلقة بالتكوين الجيد للجمل دون أن ننشغل بمعناها، ويمكننا دراسة المعنى دون الانشغال بالاستعمال، وبما يفعله المستعملون للغة عندما يتلفظون بالجمل.

إن أولوية علم الدلالة على التداولية، يفترض أنه قائم على الحجة التالية. ما يفعله من يستعملون اللغة بالكلمات متوقف على ما تريد هذه الأخيرة قوله. لنأخذ ما تعنيه الجملة "الثلج رقيق جدا في هذا الموضع"، المتكلم الذي يتلفظ بهذه الجملة وهو يتوجه بكلامه إلى متزحلق على الثلج يُعلمه بوجود خطر ما وهو يقوم بالتالي بتحذيره وتنبيهه. "قوة" الإنذار التي يأخذها القول متوقف على محتواه [أو مضمونه] (أي على حالة الأشياء التي يمثلها) وعلى السياق. مضمون القول محدد تركيبيا من خلال معنى الكلمات ومن خلال الطريقة التي يتم تنظيمها بها داخل الجملة. من هنا تأتي فكرة مقطع ما: لدينا بادئ ذي بدء علم التركيب (الذي يحدد الطريقة التي تكون الجملة مهيكلة وفقها)، ثم بعد ذلك علم الدلالة (الذي يعين بطريقة تركيبية محتوى تمثيلي للجملة)، وفي الأخير التداولية، والتي بمقتضى المحتوى

المحدد هكذا، إضافة، إلى السياق، تعيّن للتلفظ المتعلق بالجملة في هذا السياق وظيفة ما، قيمة ما تداولية(تلك المتعلقة بإنذار، بنصيحة، بتهديد، أو إخبار - حتى لا نقدم إلا بعض الأمثلة المتعلقة بـ"الأفعال المتضمنة في القول" بالمعنى الذي نلفيه عند أوستين Austin). ضمن هذا المستوى الأخير، المتمثل في التداولية، تنتمي أيضا المُضمرات والجوانب الضمنية للتواصل. فعند قوله لأشياء ما في بعض السياقات، يصل المتكلم، في الواقع، غالبا إلى تبليغ - بطريقة ضمنية أو غير مباشرة- شيئاً آخر تماما.

وفي سياق هذا التصور يكون علم التراكيب وعلم الدلالة متعلقان معا بالقواعد النحوية ومهتمان بالجمل بوصفها أشكالا لسانية، بينما تحتل التداولية مكانا متمايزا: هو ذلك المتعلق بالأقوال، والخطاب أو، كما نقول في بعض الأحيان، بـ"اللغة في [سياق] الفعل". ونصل بذلك إلى فكرة أن ما لها محتوى تمثيلي (محدد من قبل القواعد الدلالية) هي الجملة النموذج، أي الجملة باعتبارها كيانا نحويا قابلا للتكرار ومستقلا عن السياق، بينما "القوة" ليست خاصية للجملة النموذج، ولكن لموطن ذكر [أو توارد] occurrence الجملة في سياق خاص.

هذه الفكرة تبدو بالرغم من ذلك غير مقبولة، لسببين. من جهة، بسبب ظواهر التبعية السياقية التي سبق لي أن أثرتها، حيث يمكننا أن نعطي محتوى تمثيلي للجمل النموذجية، في استقلال عن السياق. وخارج السياق فإن الجمل ليس لها سوى محتوى خطاطي، ولا تحصل على محتوى محدد، مناظر "لشرط صدق" أصلي، إلا عندما يسمح سياق التلفظ بتثبيت قيمة التعبيرات "الإشارية" مثل "أنا"، "هذا"، "الآن". جملة " أنا فرنسي"، لكونها تمثل كيانا نحويا (جملة نموذج)، ليس لها شرط صدق محدد من منطلق، أنه وفي غياب تلفظ فعلي، فإن كلمة "أنا" لا تعيّن أي شخص. المحتوى التمثيلي لهذه الجملة لا يمكن أن يُثبَّت إلا بالقياس مع سياق تلفظ ما. لنتخيل أن مارسيل يقول " أنا فرنسي". في هذا السياق، الجملة صادقة إذا وفقط إذا (وهي تمثل إذن واقع أن) مارسيل فرنسي. خارج السياق، الجملة تمثل فقط واقع أن س فرنسي، الحرف الخطاطي س يستعمل لتعيين المكان الذي يتوجب أن يشغله متلفظ الجملة.

بما أن الإحالة المتعلقة بالسمات الزمنية، وبمجال التكميم، وجوانب أخرى كثيرة من محتوى الجمل تتوقف أيضا على السياق، فإنه يمكن أن نعتبر وفقا للقاعدة العامة، إن جملة ما لا تحصل على محتوى تمثيلي محدد إلا انطلاقا من سياق ما. وإذا أردنا الدقة فإن مواطن ذكر الجملة إذن، وليس الجملة النموذج هي التي تمتلك محتوى.

السبب الثاني الذي يتم على أساسه رفض فكرة أن علم الدلالة يهتم بالجمل النموذجية وتداولية مواطن الذكر يعود إلى كون أن الجمل النموذجية متشاركة مع نوع من القوة المتضمنة في القول من خلال "جهتها" (الإقرارية، الإلزامية،الاستفهامية، التعجبية). الجهات تعكس على مستوى الجملة النموذجية نفسها - في استقلال عن كل تلفظ فعلي- فعل الكلام والتي يمكنها أن تسهم في إنجاز الجملة. الجهات، كما هي بشكل عام المؤشرات التداولية، ليس لها محتوى تمثيلي ولكن تملك كوظيفة الإشارة إلى القيمة التداولية الممكنة للقول.

ويمكننا أن نذهب بعيداً وباستمرار، مثلما رأينا ذلك في القسم السابق، ونقوم بتقليص الدلالة اللغوية للجملة النموذج، في كليتها، إلى مؤشرات تتعلق بفعل الكلام المنجز من خلال التلفظ به. وبالفعل، يمكننا أن نحدد بعدين في سياق فعل للكلام: القوة المتضمنة في القول (أي نموذج الفعل) ومحتوى الفعل (على سبيل المثال في حالة [فعل] أمر، ما هو مأمور به؛ في حالة الإخبار، ما يتم الإخبار عنه، إلخ). وإذن وعوض المقابلة ما بين المحتوى التمثيلي للجملة والمؤشرات التي تحملها في ما يتعلق بفعل الكلام المنجز من خلال التلفظ به، يمكن أن نعتبر أن المحتوى التمثيلي للجملة لا يفعل هو نفسه سوى أن يعكس محتوى فعل الكلام الذي هو بمثابة الأداة بالنسبة له. ومثلما يقول دوكرو Ducrot، الذي طوّر وجهة النظرالتداولية هذه بشكل جذري، فإن دلالة جملة ما ليست أكثر من صورة تقدّمها عن تلفظها الخاص[5].

وقد طور سيرل Searle أيضا هذه الفكرة، واستنتج استحالة إبقاء خاصية علم الدلالة على التداولية. فإذا كان ما يفعله علم الدلالة ليس أكثر

من العمل على أن يعيّن للجمل المكوّنة بشكل جيد "إمكانيات فعل متضمن في القول"، وفق ما جرى اقتراحه من قبل، فإن علم الدلالة يقتضي في الواقع علم التركيب والتداولية. حيث يهتم علم التراكيب بالجمل، وتهتم التداولية بأفعال الكلام، ويسهر علم الدلالة على أن يضع في علاقة [مشتركة] وبشكل تلقائي الجملة وفعل الكلام من خلال إشراك مع كل جملة إمكانية متعلقة بفعل الكلام.

4 - لماذا يجب، بالرغم من ذلك، عدم رمي الرضيع مع ماء الحمام

يجب الحرص علاوة على ما تقدم، على عدم الذهاب بعيدا في رفض التصور التقليدي. ولنفترض أننا قبلنا بالفكرة القاعدية الخاصة بعلم الدلالة التداولي، والتي تذهب إلى أن علم الدلالة يعيّن للتعبيرات اللغوية وظائف أو نماذج استعمال. هناك إذن معنى أين يقتضي علم الدلالة، مثلما يقترح ذلك سيرل، التداولية. غير أن ذلك لا يمنع من أنه في معنى مغاير، تقتضي التداولية علم الدلالة. لنرى لماذا يحدث ذلك.

يعيّن علم الدلالة (بوصفه مكوّنا لقواعد النحو)، للتعبيرات النموذجية للغة، وظائف أو نماذج استعمال، وليس لمواطن ذكرها. عندما تكون الجمل موضوعا لتلفظ فعلي، فإنها تسهم في إنجاز فعل يناظر، أو لا يناظر، الوظيفة المعيّنة لها وفقا لذلك. فالمتكلم الذي يتظاهر بإعطاء أمر بشأن شيء ما يمكن أن لا يكون جادا ولكن ساخرا. الإشارة التي يمكن أن يحملها قوله الآمر في ما يتعلق بالفعل المنجز يمكنه أن يكون إلى حد بعيد غير صحيح سياقيا من خلال كل أشكال المؤشرات المضادة. أو أن فعل الكلام الذي يشير في الجملة المتلفظ بها إلى الإنجاز يمكنه أن يكون إلى حد بعيد سوى دعامة لفعل منجز آخر، وهو، بشكل غير مباشر ("هل يمكنك أن تناولني الملح؟"). وحتى إذا كان الفعل المنجز مطابقا للإشارات التي تحملها الجملة، لا يمكنه إلا أن يكون أكثر تحديدا، في مختلف أبعاده (القوة والمحتوى)، من الصورة الخطاطية بالقوة التي تقدمها عنه الجملة التي تسمح بالتعيين أكثر قبل السياق. (أنظر الملاحظات السابقة المتعلقة بمثال "أنا

فرنسي"). علينا أن نميز إذن مستوى الجملة، التي يهتم بها علم الدلالة، ومستوى التلفظ، الذي تهتم به التداولية. أيّ فعل كلام هو منجز فعليا من خلال التلفظ، ووفق أيّة آلية، إنه سؤال يتعلق بالتداولية. ما الذي تعنيه الجملة، ما هي "إمكانيتها الخاصة بالفعل المتضمن في القول"؟، هو سؤال يتعلق بعلم الدلالة.

من الواضح، في هذا الإطار النظري، أن هناك معنى أين تقتضي فيه التداولية علم الدلالة. وبالفعل، فإن ما ينجزه فعليا التلفظ يتوقف على عوامل عدة، ولكن من بين هذه العوامل يجب أن نأخذ دائما في الحسبان دلالة الجملة المُتلفظ بها، التي ليست أبدا لا مبالية. ما يصل إلى تبليغه المتكلم من خلال تلفظ ساخر ليس بالفعل مطابقا لما يقوله حرفيا - بل هو في الغالب مناقض له- ولكن من أجل شرح المعنى الذي تم تبليغه فعليا من خلال القول المتلفظ يجب أخذ محتواه الحرفي في الحسبان، وتخيل آلية تسمح بالانتقال من أحدهما إلى الآخر. والشيء نفسه، فإن فعل الكلام غير المباشر المتعلق بالطلب الذي نقدمه بقولنا "أبمكانك أن تناولني الملح"، يتحقق من خلال الانجاز، الواقعي أو المصطنع، للفعل "المباشر" للاستفهام الذي تعكسه دلالة الجملة(6). وبالتالي فإن الشرح التداولي يحتاج إذن إلى نتائج التحليل الدلالي، وبهذا المعنى يمكن أن نقول عنه إنه مفترض من طرفه. ولكن هذا يعتبر متوائما بشكل كامل مع فكرة أن علم الدلالة، هو على الفور، تداولي من منطلق أن الدلالة تعكس، جزئيا أو كليا، القيم التداولية التي يمكن أن تحملها التعبيرات اللغوية.

الفصل الخامس

اللغة وفعل الكلام

1 - الكفاءة الدلالية والكفاءة التداولية

إن الكفاءة الدلالية لمستعملي اللغة تسمح لهم بتحديد، ولنقل بشكل آلي، معنى كل جملة مكوّنة جيدا داخل اللغة. هذه الكفاءة موصوفة في الغالب بأنها التحكم الضمني لنظرية استنباطية يعمل علماء الدلالة على صورنتها والتي، وانطلاقا من بديهيات قاعدية، تسمح باستنباط على أساس النتيجة شروط الصدق بالنسبة لكل الجمل الممكنة المتعلقة باللغة. البديهيات المشار إليها، هي من جهة، القواعد المعجمية التي تعيّن دلالات المطابقة للتعبيرات البسيطة، ومن الجهة الأخرى، القواعد التركيبية التي تسمح بحساب دلالة المطابقة الخاصة بالتعبيرات ذات القواعد التركيبية المعقدة انطلاقا من دلالة المطابقة لمكوناتها. وتعطي القواعد من النموذج الأول تأويلا للكلمات الفردية، وتعطي القواعد من النموذج الثاني تأويلا للبناءات التركيبية. وبذلك، فإنه من خلال معرفتي لما تعيّنه كلمات من قبيل "جاك" و"فرنسي"، وبمعرفتنا لقاعدة التأويل للبناء المتعلق بـ"الموضوع" و"المحمول"، فإنني بشكل آلي في موقع يسمح لي بتحديد أن [قضية "جاك هو فرنسي" هي صادقة إذا وفقط إذا كان أحد الأفراد (جاك) يمتلك جنسية ما (الجنسية الفرنسية)[1].

مسألة أن نختار علم دلالة تداولي عوضاً عن علم دلالة إحالي مؤسّس على شروط الصدق لا يغير الأشياء بشكل أساسي، في الحالة التي يفترض أن تكون فيها القيمة الدلالية للجمل (والتعبيرات المعقدة بشكل عام) قابلة

دائما للحساب من خلال التطبيق الميكانيكي لنسق من القواعد. وهذه الخاصية الميكانيكية والحسابية للتأويل الدلالي التي أود أن أؤكد عليها، من أجل جعلها متضادة مع نموذج آخر من التأويل، الذي سأسميه بالتأويل التداولي، وهو تأويل يتعلق بالأقوال والتلفظات، والتي تكمن في التعرف على فعل الكلام المنجز من طرف المتكلم.

وفي الوقت الذي نجد فيه أن التأويل الدلالي - تأويل الجمل- يمثل خاصية "لملكة اللغة"، فإن التأويل التداولي أو تأويل الأقوال يمكن أن ينظر إليه على أنه تطبيق على اللغة لكفاءة أكثر عمومية لتأويل الأفعال [المنجزة]. فتأويل فعل وإعطاؤه معنى، هو شرح لسلوك الفاعل من خلال الإشارة إلى الحالات الذهنية المنسوبة إليه، والتي نجد في مقدمتها مقاصد تفسّر سلوكه، بناءً على قناعاته ورغباته. وعلى ذلك، إذا قمت بفتح مظلتي، يمكن أن نفسر سلوكي بأنني أعتقد أن السماء تمطر، وأني أرغب أن أبقى غير مبلل،، وأني أقصد من وراء هذه الحركة أن أحمي نفسي من المطر. هذا النموذج من التأويل لا يكون ممكنا إلا إذا افترضنا أن الفاعل يمتلك سلوكا عقلانيا؛ فعقلانية الفاعل هي علاوة على ذلك افتراض مسبق لمعنى الفعل ذاته. من أجل تأويل فعل ما، علينا أن نقوم بوضع افتراضات تتعلق بقناعات ورغبات الفاعل، والتي على أساسها سيكون الأمر عقلانيا بالنسبة للفاعل أن يتصرف وفق الفعل الذي يقوم بإنجازه. (يمكننا أن نختصر ذلك بالقول أن سلوكا ما، لا يمثل فعلا إلا إذا كان موجها اعتماداً على "دواعي عقلانية").

هناك خاصية أساسية لتأويل الأفعال تجعلها متعارضة بشكل واضح مع تأويل الجمل ومع خاصية "القابلية للإبطال" (بالإنجليزية defeasible). التفسير الأفضل الذي يمكننا أن نعطيه لفعل ما يمكن دائما مراجعته إذا قادتنا وقائع جديدة إلى إعادة تأويله. وعليه يمكن أن يظهر أن قصد الفاعل من خلال فتحه لمظلته لم يكن متعلقا بحماية نفسه من المطر ولكن، على سبيل المثال، أن يدفعنا إلى الاعتقاد أن ذلك هو ما يقصده، أو أيضا أنه يريد التحقق من أن المظلة تعمل بشكل جيد. في مجال الأفعال[الإنجازية]،

ليس هناك حدود لإمكانية إعادة التأويل المتعلقة بهذا النموذج: انطلاقا من تأويل فعل منجز في سياق محدد، يمكننا دائما، من خلال إثرائنا لمعرفتنا الخاصة بسياق الفعل، أن نندفع نحو مراجعة التأويل، حتى وإن كان يبدو لنا هذا التأويل جيداً في بداية الأمر. إرداف وقائع جديدة إلى قاعدة بياناتنا المتعلقة بسياق الفعل [أو العمل] الذي يملك القدرة على "إبطال" التأويل المقترح قياسا على قاعدة بيانات أكثر انحصارا في بدايتها، يجعل تأويل الأفعال يظهر على أنه "غير أحادي الجانب" بالمعنى الذي يقصده المناطقة[2].

قابلية إبطال التأويل تعتبر مهمة لسببين رئيسين. من جهة تكفي هذه الخاصية للتمييز بكل وضوح تأويل الأفعال المنجزة عن تأويل الجمل. وتحدد القواعد الدلالية للغة تأويل جملة ما معطاة بطريقة تجعل أنه لا يمكن تصوّر أية مراجعة ما دامت القواعد الدلالية نفسها لم تتم مراجعتها. وبتعبير آخر، التأويل الدلالي "أحادي الجانب". ومن جهة أخرى فإن القابلية للإبطال مرتبطة بخاصية أخرى لتأويل الأفعال، ونعني بذلك خاصيتها "الكليانية" holistique. ومادامت كل عملية إثراء للمعارف بخصوص السياق يمكنها أن تقود دوما إلى مراجعة التأويل، فإنه ليس هناك حدث خلفي لا يمكن، من الناحية النظرية، أن يكون له تأثير على التأويل وأن يقود بالتالي إلى مثل تلك المراجعة. وبعبارة أخرى كل شيء يمكنه أن يكون ملائما لتأويل الأفعال؛ فالمعارف الملائمة للتأويل لا يمكن وضع حدود لها و"حصرها" قبليا. وبقدر ما أن خفقان جناح فراشة يمكن أن تكون له كنتيجة قيام عاصفة على بعد 5آلاف كيلومتر من هنا، فإن لون قميص أختي يمكنه، في سياق محتمل، أن يكون له أثر على المعنى المسند إلى فعل فتح مظلتي.

وبحسب علم النفس المعاصر، فإن تأويل الأفعال أضحى ممكنا من خلال ملكة خاصة، ممثلة في مقياس معرفي خاص بالإنسان ويتطور ما بين السنة الأولى والرابعة من الحياة. هذا المقياس، المسمى أحيانا "نظرية الذهن"، هو مختلف عن هذا المقياس الآخر (أو مجموع المقاييس) الخاصة أيضا بالإنسان والتي هي ملكة اللغة[3]. وبقدر اختلاف المقياسين

واستقلالهما، فإنهما بالرغم من ذلك يؤثران بشكل متبادل في تأويل الأقوال. فالتلفظ هو في الواقع فعل، ولكنه فعل منجز من خلال اللغة: إنه "فعل الكلام"، في الاصطلاح المتعارف عليه. أن نقوم بتأويل مثل هذا الفعل، معناه أن نعطي للفاعل (المتكلم) قصدا ما - قصد تواصلي- يفسر قوله [تلفظه] من خلال عقلنته. في هذا التفسير، معنى الجملة المتلفظ بها يلعب بطبيعة الحال دوراً، بالشكل الذي يجعل التأويل التداولي يقحم التأويل الدلالي من باب المساعدة.

2 - القصد التواصلي

عندما أفتح مظلتي، فإن القصد الخفي لفعلي هو ذلك المتعلق بحماية نفسي من المطر. الذي يفهم ما أقوم به، يشي له سلوكي بقصدي، الذي يصبح بذلك ظاهرا. لنسمي "قصد أولي" القصد الخفي الذي يعطي معنى الفعل - والذي هو هنا قصد الاحتماء من المطر. الفاعل يمكن أن يكون له، من جهة أخرى، قصدا ثانويا، ممثلا في قصد أن يظهر للمراقب قصده الأولي. من الممكن أيضا، مثلما أشرت إلى ذلك أعلاه بشكل سريع، أن القصد الأولي للمتكلم ليس أن يحتمي من المطر ولكن لإظهار (تخيلياً) مثل ذلك القصد، وذلك في الحالة التي يأخذ فيها "قصد ثانوي" بشكل من الأشكال مكان القصد الأولي. في التواصل، بحسب بول غرايس، القصد الخفي للفعل يكمُن أيضا في جعل القصد الأولي ظاهرا، ولكن هذا القصد هو إلى حد ما أقل تخيليا مما يجعل التعرف عليه من قبل المتلقي يفضي إلى إنجازه: والقصد الأولي والقصد الثانوي يتم جعلهما بذلك غير قابلين للانفصال، وهما في مجال التواصل، مثل وجهين لقصد واحد معقد ومركب(4).

لنأخذ مثالا، لنفترض أنه، لكوني محروماً من منابع اللغة لسبب ما، أسعى بالرغم من ذلك إلى أن أبلغ إلى صديقي مارسيل خبر أن سيارته قد تم أخذها إلى محشر السيارات المصادرة. أظهر له قصدي بأن أبلغه بشيء ما من خلال إثارة انتباهه بخربشة رسم خطاطي أضعه بإلحاح أمام عينيه. في

هذه الظروف، سيفهم بسهولة أنني أسعى لتبليغه شيئا ما، ولكن المشكل بالنسبة إليه هو أن يصل إلى فهم ما أسعى إلى تبليغه إياه، والذي يفترض أن الرسم سيظهره له.

يمكننا أن نتصور أني رسام رديء، وأني أصطدم من جهة أخرى بمشكلة تمثيل محشر السيارات عبر الصورة. لنفترض، مهما كان الأمر، أني سأبذل كل جهدي، وأنجز رسما يفترض أن يثير في ذهنه فكرة سيارته وفكرة المحشر. سيكون مثل هذا الرسم بقوة الأشياء، بعيدا عن أن يمثل بشكل ملائم ومتمفصل واقعة أن سيارة صديقي قد وضعت في محشر السيارات المصادرة: لن يكون هناك سوى رابطة مبهمة وبعيدة تربط ما بين هذه الواقعة، التي أود تمثيلها، وعناصر الخطاطة التي تظهر في الصورة. وفي كل الأحوال، سيحاول الشخص الذي أخاطبه، أن يضع فرضيات حول ما أسعى إلى تبليغه إياه، اعتمادا على عناصر الرسم. أن يصل إلى ذلك أم لا، سيتوقف ذلك على عناصر كثيرة، ولكن النقطة الأساسية التي أود أن أشير إليها هي التالية. إن سلوكي يطمح بشكل مباشر أن يفهمه أني أحاول من خلال هذا الرسم إلى أن أجعله يأخذ علما أن سيارته قد تم أخذها إلى المحشر. لدي إذن قصد (ثانوي) أنه سيفهم أن لي قصد (أولي) أن أُعلمه أن سيارته أُخذت إلى المحشر. ينجح فعل التواصل في اللحظة التي يتحقق فيها القصد الثانوي، أي انطلاقا من اللحظة التي يصل فيها المُخاطَب إلى معرفة قصدي الأولي ويفهم معنى الرسم، أو بشكل أكثر دقة معنى فعلي التواصلي (والذي تمثل في رفع هذا الرسم إلى حد ملامسة أنفه). ولكن ذلك لا يعني أن القصد الخفي للفعل التواصلي يتمثل حصريا في القصد الثانوي (واستبعاد القصد الأولي نفسه). وبالفعل، فإنه وانطلاقا من اللحظة التي يتحقق فيها القصد الثانوي، أي انطلاقا من اللحظة التي يتم فيها التعرف على القصد الأول، فإن هذه الأخيرة لا يمكنها إلا أن تتحقق أيضا: فبفهمه أني أسعى لأبلغه أن سيارته في المحشر، فإن الشخص الذي أخاطبه يفهم أن السبب الذي أسعى من أجله أن أبلغه ذلك هو أن .. سيارته توجد في المحشر! المعلومة التي تفيد أن السيارة في المحشر هي مبلغة فعليا انطلاقا من اللحظة يتعرف فيها من أخاطبه (والذي ليس لديه سبب يدعوه إلى أن يضع موضع

شك صدقيتي) على نيتي في أن أبلغها. وبعبارة أخرى: فإن سلوك المتكلم يفصح عن قصده الأولي، طبقا لقصده الثانوي؛ والإفصاح عن القصد الأولي يكفي في واقع الأمر من أجل تحققه.

بالقدر الذي يكون فيه المُبلِّغ على علم أن تحقق القصد الثانوي يجرّ بشكل طبيعي ذلك المتعلق بالقصد الأولي، لا يمكننا إلا أن نمنحه قصدا شاملا يدمج القصدان معا. يقول لنا بول غرايس، أن المبلِّغ يسعى لأن يحصل على بعض التأثيرات (على سبيل المثال أن ينقل معلومة إلى من يخاطبه، أو أن يقوم معه بفعل ما) من خلال جعله يتعرّف على قصده في الحصول على هذه النتيجة. القصد الأولي يفترض أنه يتحقق من خلال تحقق القصد الثانوي. إن القصد الخفي الذي يقدم معنى الفعل التواصلي، ليس هو إذن، بحسب غرايس، لا القصد الأولي في الحصول على نتيجة ما E [ن]، ولا القصد الثانوي في إبلاغ المخاطَب بهذا القصد الأولي، ولكن القصد المركب في الحصول على E بعد تعرف المخاطَب على هذا القصد. هنا، كلمات "هذا القصد" تحيل ليس فقط إلى القصد الأولي، ولكن إلى القصد المركب للحصول على نتيجة E من خلال التعرف على القصد المركب المشار إليه. القصد التواصلي هو إذن ليس فقط مركب(يدمج في اللحظة نفسها القصد الأولي والقصد الثانوي)، ولكن أيضا تفكيري[- تأملي].

الحجة التي تناضل من أجل تفكيرية المقاصد التواصلية هي التالية. إذا كان للمتكلم القصد (الثانوي) في أن يفصح عن قصده الأولي، وأن يحققه بهذه الطريقة، ولكن مع إخفاء قصده الثانوي، سنكون ضمن حالة ظاهرة لا تملك إحدى الصفات المميِّزة للتواصل الإنساني: نعني خاصيتها "المفتوحة بشكل أساسي" أو، إذا شئنا، خاصيتها "الشفافة". من أجل المحافظة على هذه الصفة، يجب أن نفترض أن المتكلم يريد أن يفصح للمخاطب لا فقط عن قصده الأولي، ولكن أيضا عن قصده الثانوي - وهكذا دواليك، ما دام أنه إذا كان قصد الإفصاح عن القصد الثانوي كان هو نفسه خفيا وسرّياً، فإن فعل التواصل سيفقد خاصيته المفتوحة بشكل أساسي. وعوض أن نسند للمبلِّغ سلسلة لا نهائية من المقاصد تتعلق كل واحدة منها بالإفصاح عن

القصد المتصل بالدرجة الدنيا، نفترض أن القصد التواصلي الذي ننطلق منه هو قصد تفكيري I [ق] للحصول على نوع من النتيجة E بواسطة التعرف من طرف المخاطَب على هذا القصد I.

3 - أفعال متضمنة في القول

في التقليد الذي دشنه غرايس، يكمن التواصل بشكل أساسي، من خلال سلوك إشاري، في جعل المخاطب يتعرف على القصد التواصلي الذي يفسّر هذا السلوك. القصد التواصلي هو، كما رأينا ذلك، قصد تفكيري I للحصول على نتيجة ما E اعتمادا على التعرف من قبل المخاطب على هذا القصد I. ومن خلال تنويعنا للنتيجة E، فإننا نحدد نموذج الفعل التواصلي المنجز. قسم الأفعال الإخبارية محددة من منطلق كون المتكلم يريد أن إبلاغ معلومة إلى المخاطب؛ قسم الأفعال الأمرية، من منطلق أن المتكلم يريد أن يدفع المخاطب إلى أن يتصرف بشكل معيّن؛ قسم الأفعال الاستفهامية (والتي هي قسم فرعي من الأفعال الأمرية)، من منطلق أن المتكلم يريد أن يدفع المخاطب إلى تقديم معلومة؛ إلخ. وفي كل الأحوال فإن النتيجة E يُفترض أنه قد تم الحصول عليها بفضل التعرف من طرف المخاطب على المقصد الذي يعبّر عنه المتكلم للحصول على هذه النتيجة (مع الحصول عليها وفق هذه الطريقة).

بحسب ستراوسن Strawson، الأفعال "المتضمنة في القول" التي يتحدث عنها أوستين في نظريته حول أفعال الكلام ليست شيئا آخر غير أفعال تواصلية بالمعنى الذي يحيلنا عليه غرايس(5). ما يميّزها، كون أنه، من أجل إنجازها، يجب ويكفي أن نجعل المخاطب يتعرّف على القصد التواصلي الخفي. لنفترض، حتى نأخذ مثالا من سيرل، أن لديّ قصداً في تحية شخص ما،. ما الذي عليّ أن أفعله؟ هناك، بالتأكيد، وسائل متواضع عليها من أجل القيام بالتحية (من خلال رفع قبعة الرأس، توجيه علامة بالرأس أو اليد)، ولكن من جهة، فإن الفعل لا يكون منجزا فعليا إلا إذا تعرف المرسل إليه على القصد الذي ينشط الحركة (قصد التحية)، ومن جهة

أخرى، أي حركة يمكنها أن تفعل فعلها انطلاقا من اللحظة التي يتعرّف فيها المرسل إليه على هذه الحركة بوصفها حركة للتحية، ومظهرا مثل ذلك القصد(6).

في المثال المتعلق بمحشر السيارات المصادرة، عدم القدرة على استعمال اللغة يجعل مهمة فهم القصد التواصلي للمتكلم صعبة. من السهل أن نفهم أن المتكلم يملك قصدا تواصليا، ولكن من الصعب تحديد القصد المشار إليه. ومن ثمة فإن مهمة المرسل إليه [أو المخاطب] مزدوجة. عليه أن يحدّد نموذج التأثير[النتيجة] الذي يود المبلِّغ الحصول عليه (نقل معلومة، أو إثارة سلوك ما لدى المخاطب، أو شيئا آخر أيضا)؛ هذا النموذج من التأثير المراد الحصول عليه يقابل ما يسميه أوستين "القوة" المتضمنة في القول لفعل الكلام. ولكن يجب أيضا تحديد الأثر قبل ذلك بكثير بطريقة تفضي إلى تحديد مضمون [أو محتوى] فعل الكلام: ما المعلومة التي يريد المبلِّغ أن ينقلها، أو ما السلوك الذي يود إثارته لدى المرسل إليه. علاوة على ذلك، يقدم الرسم إشارات عليها أن تساعد المرسل إليه على تكوين فرضيات حول القصد التواصلي للمتكلم، ولكن النجاح غير أكيد.

عندما يستطيع المتكلم أن يستعمل اللغة، فإن الأشياء تكون أكثر سهولة. القواعد الدلالية تسمح بمفصلة القصد التواصلي بشكل صريح من خلال تحديد قوة الفعل المتضمن في القول المنجز (من خلال استعمال جملة إقرارية أو إلزامية) إضافة إلى مضمونه، بمعنى أنه في الحالتين المعروضتين، هناك المعلومة التي يسعى المتكلم إلى إبلاغها أو السلوك الذي يود إثارته. فرضية أن المتكلم يسعى إلى إنجاز فعل للكلام من نموذج ذلك الذي يوجد هكذا متمفصلا بشكل صريح يأتي إذن بشكل طبيعي إلى ذهن المخاطب، دون أن يكون عليه أن يبذل مجهودا كبيرا (مثلما هو الأمر عليه في حالة الرسم)، ولكن هذه الفرضية تظل فرضية قابلة للإبطال. إذ أن معرفة سياق التلفظ يمكنه أن يقود المخاطب إلى أن يفضل على هذه الفرضية فرضية أكثر تعقيدا، تفيد أن القصد التواصلي للمتكلم هو شيء آخر غير ذلك الذي أعلن عنه بشكل صريح. هكذا تحدث الأشياء عندما يكون فعل الكلام

المنجز غير مباشر، أو عندما يكون الكلام "غير جدي" (ساخر، إلخ). لقد رأينا فضلا عن ذلك أنه، حتى في هذه الحالات، فإن فهم الجملة المتلفظ بها يلعب دورا هاما في إعادة تشكيل، من طرف المخاطب، للقصد التواصلي للمتكلم.

القسم الثالث

علم الدلالة والتمثل الذهني

الفصل السادس

التركيبية في اللغة والفكر

1 - التركيبية

ناقشنا حتى الآن مسألة القيم التي يجب على الدلالة أن تشركها مع تعبيرات اللغة. هذه القيم الدلالية، وكما رأينا ذلك، هي إما دلالات مطابقة (علم الدلالة الإحالي)، وإما نماذج استعمال (علم الدلالة التداولي). في الحالتين، من خلال تعييننا مثل هذه القيم إلى التعبيرات، نضع جسرا ما بين اللغة والعالم. ولأن علم الدلالة المعرفي، لا يضع جسرا إلا بين نسق من التمثلات وآخر، فهو مقصى من الآن فصاعدا، حتى وإن بقي مقبولا - كما سنرى ذلك- في سياق الجانب المتعلق بنظرية دلالية أكثر شمولا.

وبصرف النظر عن ما سنختاره في باب القيمة الدلالية، هناك قيد أساسي يتوجب تجاوزه: قيد التركيبية، الذي تم إدراجه بداية من الفصل الأول. ويعني ذلك أن القيمة الدلالية للتعبيرات المركبة يجب أن تكون قادرة على الاشتقاق نسقيا من القيمة الدلالية لمكوناتها.

مفهوم "المكوّن" الذي يتدخل هنا، هو مفهوم متعلق بعلم التركيب. فعلم تركيب ما، هو نسق من القواعد يسمح بإيجاد جمل(على غرار، عدد لا نهائي من الجمل، بالنظر إلى الخاصية التكرارية للقواعد التركيبية)، انطلاقا من عدد محدد من الرموز القاعدية التي نستطيع تركيبها بشتى الطرق. واعتمادا على علم تركيب ما، يقوم علم الدلالة بشيئين : يعيّن لكل رمز قاعدي قيمة دلالية ترسخه في الواقع، ويعلن عن قواعد تسمح باشتقاق

القيمة الدلالية للتعبيرات المركبة انطلاقا من القيم الدلالية للمكونات. هذه المكونات المشار إليها هي نفسها، إما بسيطة، وإما مركبة من قبل. إذا كانت مركبة من قبل (مثلما هو الشأن مع تعبير "كتاب جان" الذي هو من مكوّنات الجملة "قرأت كتاب جان")، وقيمتها الدلالية ستكون هي نفسها متوقفة على القيم الدلالية لمكوناتها، وهكذا دواليك إلى غاية أن نصل إلى المكونات البسيطة - مثل الرموز القاعدية ("كتاب"، "جان"، إلخ). فالقيمة الدلالية للرموز القاعدية تعيّن بشكل مباشر من خلال قاعدة معجمية.

ليس هناك تركيبية بدون علم تركيب: وحدها التعبيرات المركبة [أو المعقدة] المكونة من خلال تنظيم مقعد لمكونات يمكن أن يكون لها معنى مشتق من معنى المكوّنات انطلاقا من إجراء دلالي يعكس التأليف التركيبي للتعبير. في المقابل يمكن أن يكون هناك تعقيد تركيبي دون أن يكون معنى التعبير مشتق بطريقة تركيبية من معنى أجزائه. وتلك هي حالة التعبيرات المسماة اصطلاحية [مسكوكة]، مثل "كسر غليونه" [بمعنى مات]. وحتى إن كان الأمر يتعلق بتعبير مركّب، مكوّن من كلمات مختلفة منظمة وفق ترتيب تركيبي معطى، فإن معنى التعبير - أو بشكل أكثر دقة: معناه الاصطلاحي - هو مخصّص بشكل مباشر للتعبير المركب دون أن يكون قابلا للاشتقاق تركيبيا من معنى الأجزاء. (وبعبارة أخرى، المعنى الاصطلاحي للتعبير ليس هو المعنى الذي يمكن أن نشتقه تركيبيا من معنى الأجزاء).

2 - اللغة والفكر

في هذه النقطة يتعين أن نعود إلى الفكرة، التي أثرناها في بداية الفصل الأول، والتي تذهب إلى أن التمثلات الذهنية لديها، تماما مثل التمثلات اللغوية، محتوى لا يمكنها بدونه أن تكون تمثلات بشكل حقيقي (مادام أنها لن تمثل شيئا). إنها لواقعة ضرورية أنه، عندما نفكر، هناك شيء ما نفكر فيه - محتوى فكر بدونه لن يكون هناك فكر من منطلق أنه ليس هناك شيء سيتم التفكير فيه. فالفكر إذن، لديه "دلالة": وهذا يشكل جزءاً من مفهوم ما هو فكر في حد ذاته. ولكن يجب الذهاب إلى أبعد مدى وأن نعترف للفكر

بـ"علم تركيب" حقيقي. وهذا يشكل أيضا، جزءاً من مفهوم الفكر ذاته.

الفكر هو بشكل أساسي متمفصل، ويمتلك "مكونات" يمكننا أن نرتبها بطرق مختلفة. ومثلما أشار إلى ذلك إيفانس Evans (وبعده فودور Fodor)، كل من يستطيع تكوين فكرة أن ماري تحب بيير يمكنه أن يكوّن فكرة أن بيير يحب ماري[1]. أن نقيّد لحساب شخص ما فكرة مماثلة، هو بالفعل، أن نقيّد لحاسبه تمثيلا لبيير، وتمثيلا لماري، ولمفهوم يحب؛ وكل من يمتلك هذه الموارد المفاهيمية يمكنه أن يكوّن في اللحظة نفسها فكرة أن ماري تحب بيير، وفكرة أن بيير يحب ماري: تجنّد هاتان الفكرتان التمثلات نفسها ولا تختلف إلا من حيث ترتيبها وتركيبها. علينا، في سياق فكرة ما، أن نميّز إذن المكونات، الحاملة لمحتوى- ولنسميها مفاهيم- والطريقة التي تعتمد في تنظيمها. إنه لمن الصعوبة أيضا أن نقاوم فكرة أن علم دلالة التمثلات الذهنية هو، أيضا نفسه، علم دلالة تركيبي، وأن المحتوى الشامل لفكرة (على سبيل المثال فكرة أن ماري تحب بيير) متوقفة على محتوى المفاهيم التي تكوّنها، وعلى الطريقة التي تركّب وترتب بها. بناءً على ذلك، فكرة أن ماري تحب بيير لها محتوى مختلف عن فكرة أن بيير يحب ماري، حتى وإن كان لهاتان الفكرتان المكونات نفسها.

لنسلم إذن أن الفكرة لديها تركيب ودلالة - والتي هي زيادة على ذلك، علم دلالة تركيبي. كيف لنا أن نفسّر هذا التماثل الصارخ بين اللغة والفكر؟ لدينا طريقتان للعمل. إما أن ننظر إلى الفكر على أنه أولي وأن نرى في اللغة مجرد تخريج للفكر، من أجل غايات تواصلية. وإما، بعكس ذلك، أن ننظر إلى اللغة على أنها عضو الفكر: فالفكر المتمفصل هو بدرجة أساسية فكر لغوي، ويستعمل نسق رموز مشتمل على تركيب ودلالة. الخياران معا ليسا مختلفان إلى هذا الحد بالقدر الذي نعتقده، إنهما يعودان معا إلى افتراض لغة للفكر (lingua mentis) (لغة ذهنية)، سواء كانت سابقة في الوجود عن اللغة وتجعلها ممكنة (فودور)، أو هي تتشابك وتمتزج معها بكل بساطة (كاروثارز Carruthers)[2].

في الفرضية الأولى، مع فودور، يمكننا القبول بالفكرة المبدئية

المتعلقة بعلم الدلالة المعرفي: فما يعطي معنى للكلمات هو [فعل] ربطها مع مفاهيم، التي هي، حاملة لمحتوى. الكلمات ترث محتوى المفاهيم التي تترابط معها. وعلى علم الدلالة إذن، أن يقوم بعمله عبر مرحلتين: مرحلة "ترجمانية" تهدف إلى أن تربط التعبيرات اللغوية بالتمثلات الذهنية، ومرحلة "نفسية دلالية" تخصص للتمثلات الذهنية قيماً دلالية والتي سترثها الكلمات المترابطة مع هذه التمثلات[3].

(**ملاحظة: N.B**: إذا كان ترابط القيم الدلالية غير الترجمانية - تلك التي "ترسّخ" الرموز في الواقع- يحدث على مستوى التمثلات الذهنية، لن يمكننا بعد ذلك القول أن هذه القيم الدلالية هي نماذج لفعل الكلام. ولكن عالم الدلالة الإحالي لا يجب عليه أن يفوز إلى هذا الحد: يمكننا أن نحتفظ بالفكرة التي بمقتضاها أن المعنى، هو قبل كل شيء الاستعمال أو الوظيفة، بشرط أن نعيد تعريف مفاهيم الاستعمال أو الوظيفة بطريقة تكون أكثر مواءمة للذهني. أنظر الفصل السابع، قسم 4 و5).

3 - تركيبية وتبعية سياقية

هناك سبب يثار أحيانا لصالح الإجراء الذي يتم في مرحلتين- أي لصالح، إذن، "انعطاف" من خلال التمثلات الذهنية- والتي تفيد أن اللغة الخارجية لا ترضي إلا بطريقة غير متكاملة قيد التركيبية. لكي تكون هناك تركيبية، يجب أن لا يكون هناك شيء في معنى التعبير المركب يمكنه أن يكون قابلا للاشتقاق من معنى الأجزاء المكوِّنة. والحال أن معنى التعبيرات اللغوية يتم التأثير عليه في الغالب من طرف سياق التلفظ. هذا التأثير هل هو متلائم مع مبدأ التركيبية؟ يمكننا أن ندافع بالقول أنه دائما معنى هذا المكوّن أو ذاك هو المتأثر بالسياق، بالشكل الذي يجعل معنى تعبير مركب، حتى وإن كان متأثرا بالسياق، يبقى قابلا للاشتقاق بشكل كامل من معنى المكونات(من منطلق أن التبعية السياقية متمركزة على مستوى ما يسمى بالمكونات). هذه الإستراتيجية الهادفة إلى معالجة قابلية التأثر بالسياق على مستوى المكونات المحلية، هي، في الواقع، الإستراتيجية المهيمنة، التي

تسمح في علم الدلالة، بالمحافظة على التركيبية في مواجهة مظاهر التبعية السياقية. نقبل أن بعض التعبيرات اللغوية - التي توجد في مقدمتها التعبيرات الاشارية مثل "أنا"، "هنا"، "الآن"- ليس لها دلالات مطابقة معيّنة مباشرة من طرف قاعدة معجمية للغة، ولكن تكتسب دلالة مطابقة "في السياق": وبذلك فإن "أنا" تعيّن، في كل سياق، الشخص المتلفِّظ، "الآن" تعيّن لحظة التلفظ، إلخ. والدلالة اللغوية لهذه التعبيرات لا تختلط مع دلالتها المطابقة ولكنها قاعدة تسمح بتحديد، في السياق، دلالة المطابقة. ووجود هذه التعبيرات لا يعيد النظر في مبدأ التركيبية، الذي بموجبه دلالة المطابقة لتعبير مركب هي رهن بدلالة المطابقة لمكوناته. لأنه إذا كانت دلالة المطابقة - شروط الصدق- لجملة متضمنة تعبيرات إشارية خاضعة للسياق وليس فقط للكلمات المنطوقة، فإنها تظل بالرغم من ذلك محددة بدقة من طرف دلالة المطابقة للكلمات المشار إليها. دلالة مطابقة المكوّنات هي التي، في حالة [وضعية] إشارية، تكون تابعة للسياق؛ ودلالة المطابقة للجملة الكاملة لا تكون تابعة للسياق إلا في الحالة التي تكون فيها دلالة المطابقة للمكونات، التي تحددها، تابعة هي نفسها للسياق.

بعض الفلاسفة يعيدون النظر بالرغم من ذلك في هذه الإستراتيجية ويدافعون عن فكرة أن هناك جوانب أكثر شمولية للتبعية السياقية والتي لا يمكن تحديد مكانها على مستوى مكونات الجملة. لنأخذ على سبيل المثال قول "إنها تمطر". واقع أننا نعلن عندما نقول ذلك يتعلق بمكان معين- هو بشكل نموذجي المكان الذي نوجد فيه. القول "إنها تمطر"، معناه القول أنها تمطر هنا في المكان الذي نوجد فيه (أو في ذلك المكان الآخر البارز سياقيا).هناك إذن عمل إحالة إلى مكان، ولكن الإحالة إلى المكان المشار إليه يبقى ضمنيا ولا يحمله أي مكوِّن في الجملة (بعكس ما يحدث لو أننا قلنا "إنها تمطر هنا"، أين تشير كلمة "هنا" بشكل صريح، حتى وإن كان ذلك يعود نسبيا إلى السياق، إلى المكان الذي نوجد فيه). إذا كان ذلك صحيح، هناك الشيء الكثير في معنى الكل مما قد يمكننا اشتقاقه من معنى الأجزاء، وهذا الشيء "الكثير" يأتي من السياق. كيف يمكننا أن نبيّن ذلك؟

التحليل المنجز على مرحلتين يقدم إجابة عن هذا السؤال. الجملة

المتلفظ بها تثير نوعا من التمثل الذهني لدى المؤوّل، ولكن التمثيل الذهني الذي نعنيه ليس فقط ترجمة (حرفية) للجملة في لغة الفكر، إنه امتداد لهذه، لأنه يضيف مكونات مقترحة من السياق وليس لها مقابل على مستوى الجملة المتلفظ بها. وعليه التمثل الذهني المشترك مع "إنها تمطر" هل يتضمن التمثل (الذهني، ولكن غير المعبّر عنه لغويا) لمكان ما. على مستوى التمثل الذهني، إذن، نجد أن مبدأ التركيبية محترم: فمعنى التمثل الذهني (ونتيجة لذلك معنى الجملة التي يتشارك معها هذا التمثل الذهني) هو قابل للاشتقاق بشكل كامل من معنى مكوّنات التمثل الذهني، ولكنه ليس مشتقا بالكامل من معنى مكونات التمثل اللغوي - ونتيجة لذلك فإن الانعطاف اعتماداً على التمثل الذهني يعتبر ضروريا[4].

(ملاحظة، **N.B**. إذا رأينا أنه، وبدل أن نفترض تمثلات ذهنية مستقلة عن جمل اللغة، في اللغة الخارجية للعضو الخاص بالفكر، يمكننا برغم ذلك أن نلجأ إلى الإستراتيجية التي أتينا على تقديم وصف لها، لإبراز وضعية التبعية السياقية الشاملة. سيكفي القول عندئذٍ أن مُبلِّغ قول "إنها تمطر" يتلفظ بجملة غير تامة ولكن لديه في ذهنه جملة أكثر اكتمالا والتي لا تكون فيها تلك التي يتلفظ بها سوى إيجاز تقريبي. والقول أننا نفكر بواسطة كلمات من اللغة العامة، لا يعني بالضرورة القول أننا نفكر بواسطة الكلمات التي نتلفظ بها. إذ يمكن أن يكون لدينا كلمات أخرى في "رأسنا" غير تلك التي تلفظنا بها.

وبعكس ذلك، فحتى وإن قبلنا بفكرة وجود لغة فكر متمايز عن اللغة العامة، يمكننا أن نرفض فكرة أن هناك اختلافاً أساسياً بين الواحدة والأخرى في ما يتعلق بالتركيبية. يمكننا أن ندعم فكرة أن كل ما هو صادق بالنسبة للغة العامة هو صادق أيضا بالنسبة للغة الفكر. على سبيل المثال، إذا كان هناك، في اللغة العامة، ظواهر مثل الالتباس والتبعية السياقية، ليس هناك سبب في أن لا يكون هناك أيضا مثل تلك الظواهر على مستوى اللغة الذهنية. سنقبل إذن أن معنى التمثلات الذهنية، يمكنه أن يكون، هو الآخر، متأثرا "بشكل عام" بالسياق، حتى وإن كان ذلك يخالف - أو يمكنه أن يخالف - مبدأ التركيبية بمعناه الضيق).

الفصل السابع

ما التمثل [أو التمثيل]؟

1 - مشكل القصدية

يخصص علم الدلالة للتعبيرات البسيطة للغة دلالات ("قيم دلالية")، ويعلن عن قواعد تركيب تسمح باشتقاق القيمة الدلالية للتعبيرات المعقدة انطلاقا من القيمة الدلالية للمكونات. ولكن بفضل ماذا يدل تعبير ما على ما يدل عليه؟ وبداية، ما معنى يدل؟ هذه الأسئلة، لا يجيب عنها، علم الدلالة نفسه. إنها بالرغم من ذلك، من وجهة نظر فلسفية، الأسئلة الأكثر أهمية.

علينا، من أجل مقاربة هذه الأسئلة، أن نضع جانبا كل ما يتعلق بـ "تركيب" معنى التعبيرات المعقدة انطلاقا من معنى مكوناتها. يخبرنا مبدأ التركيبية، الذي هو في قلب الصرح الدلالي، من أين يأتي معنى التعبيرات المعقدة[= المركبة] - إنه يأتي من معنى مكوناتها ومن الطريقة التي يتم بها جمعها وترتيبها- ولكن السؤال الذي يشغلنا هو أكثر أهمية: نريد أن نعرف من أين تحصل التعبيرات البسيطة هي نفسها على دلالتها. علينا أن نحرص أيضا على أن لا نحصر التحقيق على مستوى اللغة، من منطلق أن التمثلات الذهنية (أفكار، إدراكات، إلخ) تمتلك محتوى، تماما كما هو الشأن بالنسبة للتمثلات اللغوية. إنها، كما رأينا ذلك، واحدة من الصعوبات المتعلقة بـ "علم الدلالة المؤسّس على الاستعمال" والذي يبدو أنه غير قادر على أن يخبرنا بيسر بمحتوى التمثلات الذهنية؛ وإنها لواحدة من ايجابيات علم الدلالة الإحالي أن تبدو فكرة الإحالة، أنها، سهلة لتعميم: أفكارنا، مفاهيمنا، التي تتعلق بالعالم، وتمثله، وتحيل إليه. فمفاهيم الإحالة

(والمفاهيم المتلازمة) تنطبق على الفكر مثلما تنطبق على اللغة.

ونتيجة لذلك، فالشيء المشترك مابين التمثلات الذهنية واللغوية، هو كونها تمثلات: إنها ترتبط بشيء آخر غير ذاتها. وهذه العلاقة الخاصة بالتمثيلات المتعلقة بموضوعها هي التي يتعين علينا توضيحها: ما معنى تمثيل[أو تمثل]؟ عن أي علاقة يتعلق الأمر بالتحديد؟

في هذه النقطة تتجلى الصعوبة الكبرى التي علينا مواجهتها. نتحدث عن العلاقة ما بين تمثل - سواء كان ذهنيا أو لغويا- والشيء الذي يتم تمثله. ولكن هل يتعلق الأمر حقيقة بعلاقة؟ لو كانت تمثل علاقة، عليها أن "تربط" ألفاظ العلاقة (les relatas، وفق الاصطلاح الفلسفي اللاتيني)؛ ولكن من أجل أن تتمكن هذه من أن ترتبط بتلك، يجب أن تكون موجودة. من أجل أن يقبّل بول ماري، يجب بطبيعة الحال أن يوجد كل من بول وماري، ولهذا السبب بالذات لا يمكننا أن نقبِّل بابا نويل (الحقيقي- ذلك الذي لا وجود له)، وللسبب نفسه أيضا، لا يمكننا أن نداعب [الكائن الأسطوري] المتمثل في الفرس وحيد القرن. فكيف يحدث إذن، أنه بإمكاننا أن نفكر في هذا الفرس الأسطوري، أو أن نتحدث عنه؟ وأنه يمكننا أن نعتقد بوجود بابا نويل؟ أن نفكر في شيء ما، ونتحدث عنه، أو نعتقد بوجوده، هذه هنا هي بالتحديد علاقات تربطنا بهذه الأشياء التي نفكر فيها، والتي نتحدث عنها أو نعتقد بوجودها؟ إمكانية عدم- وجود موضوع التمثلات يبدو أنه يشير إلى أن علاقة التمثل ليست علاقة بالمعنى الحقيقي، أو ليست في كل الأحوال علاقة مثل باقي العلاقات. حقيقة، ومثلما تحدث عن ذلك ديكارت، "من أجل أن نفكر يجب أن نوجد"؛ بيد أنه في المقابل ليس من الضروري أن يوجد موضوع التفكير، لكي يكون موضوعا للفكر. يمكننا أن نتمثل شيئا خاطئا، لا وجود له، أو مستحيل.

مفهوم الإحالة يختفي هنا عن أنظارنا. بحسب فريغه، إذا تمثلنا ما لا وجود له - إذا فكرنا مثلا في بابا نويل- فإن التمثل الذي نكوّنه خال من الإحالة، ولكنه يحتفظ بمعنى ما. يكمُن الإشكال إذن في توضيح هذا المفهوم المتعلق بـ "معنى". فبقولنا أن المعنى هو بمثابة "صيغة تقديم"

الإحالة، كنا نريد الإشارة إلى أن مفهوم الإحالة هو المفهوم الأساسي، وأن "المعنى" يمكن أن يتحدد انطلاقا منه. ولكن يبدو أن الأمر ليس كذلك بشكل حقيقي. إذا كان من الممكن أن يكون هناك، مثلما يؤكد على ذلك فريغه، معنى في ظل غياب كل إحالة، فذلك يعني أن هناك شيئاً يتعذر اختزاله في مفهوم المعنى، شيء يذهب إلى أبعد من العلاقة ما بين التمثل وإحالته. العلاقة ما بين تمثل وإحالته هي، حقيقة، علاقة، ولا يمكنها أن تعيش مع اختفاء أحد حدود العلاقة. إذا كان بابا نويل غير موجود، فإن التعبير "بابا نويل" لا يمكنه إذن أن يحيل. لكن التعبير يحافظ بالرغم من ذلك على معنى، مثلما يذهب إلى ذلك فريغه. ويستتبع من ذلك أن المعنى، وخلافا للإحالة، ليس من طبيعة علائقية بشكل أساسي.

من الصعب بالرغم من ذاك القبول بهذه الخاتمة. فتمثل كلّ ما له محتوى: يمثل شيئا ما - أي يمثل بشكل نموذجي شيئا آخر غير ذاته. يعرّف منطق بول رويايال، الذي يتبع تقليدا قديما، "العلامات" بأنها أشياء تمثل أشياءً أخرى. إذا اعتبرنا "الشيء المُمثل" (على سبيل المثال خارطة جغرافية أو لوحة) "في حد ذاته في وجوده الخاص"، هو ليس أبدا علامة، ولكنه شيء: ما يجعل منه علامة، هو، وفقط ذلك، هي العلاقة مع الشيء الذي تم تمثيله. وبالتالي فإن التخلي عن المنظور العلائقي يبدو انتحاريا: ففكرة علاقة التمثل ما بين العلامة والشيء المدلول يبدو أنه نقطة انطلاق ضرورية بالنسبة لكل تحقيق حول الدلالة. فليس هناك، بكل بساطة، أي بديل: يجب أن نبتدئ من هنا، أو لا نبتدئ إطلاقا. فبمجرد إذن ما نلتزم بالسير في هذا الطريق، فإننا نصطدم بالصعوبة التي قلت أعلاه أنها كبيرة: فعلاقة حقيقية تستلزم أن يتم إعطاء حدود العلاقة، وفي حالة علاقة (أو ما يشبه علاقة) التمثيل، فإنه يبدو أن أحد حدود العلاقة، ممثلة في "الشيء الذي تم تمثيله"، يمكن إلى حد بعيد أن لا يكون له أي وجود خارج الشيء الذي يمثله في حد ذاته، والذي إذ يمثله، يعطي له ما يشبه الوجود - وجود، يمكننا القول، داخل [فعل] التمثل.

المشكل الذي نحن بصدد عرضه متعلق بذلك المسمى "مشكل

القصدية". تبدو الدلالة وكأنها شكل يمثل نسيج وحده sui generis للعلاقة: أي ما "يشبه العلاقة"، يكون فيها أحد الحدود داخل في الآخر. يبدو أن موضوع الفكر، يمكنه أن لا يوجد خارج الفكر، ولكن لا يمكن أن يُعطى في المقابل إلا داخل هذا الفكر. علاقة التمثيل هي ضمن هذا المنظور علاقة ما بين شيء (الشيء الذي يمثل) و"شيء ما"، لا يوجد (أو لا يوجد بالضرورة) خارج الشيء الممثل له ولكنه جزء لا يتجزأ منه، أي أنه محتواه. هناك بالفعل ثنائية مابين شيء يُمثل وشيء ممثل، ولكن هذه الثنائية داخلة في الشيء الذي يمثل، والذي يملك بشكل باطني ومحايث سلطة تمثيل شيء آخر غير ذاته، دون أن يكون هذا "الشيء الآخر" في حاجة إلى امتلاك واقع آخر غير ذلك الذي يعطيه إياه، من خلال تمثيله، للشيء الذي يجري تمثيله.

كيف لنا أن لا نرى في، هذه السلطة التمثلية الباطنية، سمة ما هو ذهني، سمة الذهن[1]؟ فالذهن يملك القدرة على التمثل، وهذه القدرة [أو السلطة] هي خاصية باطنية ومحايثة، بدائية، تختص بالظواهر الذهنية وتميّزها عن الظواهر الطبيعية. ويفضي التحقيق المنجز حول الدلالة إلى موقف فقد قيمته إلى حد بعيد في فلسفة الذهن المعاصرة وفي العلوم المعرفية: ونعني به "الثنائية الديكارتية"، القائمة على التمييز بين الروح وبين الجسم وعلى إعطاء الروح قدرة تمثلية باطنية.

2 - دلالة طبيعية وغير طبيعية

هناك لحسن الحظ طريق آخر، أكثر توافقا مع المادية المعاصرة. يمكننا أن نسعى، بالرغم من كل شيء، إلى تحديد المعنى انطلاقا من العلاقة الموجودة ما بين الشيء الذي يُمثل والشيء الذي يتم تمثيله عندما يكون الشيئان موجودان ويمكنهما إذن أن يدخلا في علاقة بشكل حقيقي. لننسى إذن (مؤقتا) بابا نويل، ولنبتدئ بأشياء بسيطة مثل بول يقبّل ماري. عندما نكون بناءً على هذه القاعدة الصلبة،قد أسسنا مفهوما أوليا للدلالة، يمكننا أن نبحث بعد ذلك عن إعداده وتحسينه بطريقة تجعله يستجيب للحالات

الأكثر تعقيدا، وبشكل خاص حالات التمثل التي تبدو غير "علائقية"[2].

هناك قسم خاص بالعلامات - العلامات الطبيعية، وفق ما يصطلح عليه بول غرايس - والتي تعني ما تعنيه لأنها تدخل في علاقة أصيلة مع الشيء المدلول، علاقة "طبيعية"، ولا تختزل في علاقة التمثل التي نسعى إلى [إبراز] خصائصها. وعليه فإن الدخان علامة على [وجود] النار، لأن هاتين الظاهرتين - الدخان والنار- تقيمان مع بعضهما نوعا من العلاقة التي تسمح، عندما نرى الدخان، أن نستدل على وجود النار. هذا الاستدلال ممكن لأننا نعلم أنه "لا وجود لدخان بدون نار". هذا القانون مساوٍ لقول شرطي: "إذا كان هناك دخان، إذن هناك نار"، ونعرف أنه بتطبيقنا لقاعدة الاستدلال المسماة modus ponens، يمكننا أن نستدل "أن هناك نار" من هذا القول الشرطي عندما يكون الشرط المعلن من طرف مفسّر الشرطي متحققا:

ليس هناك دخان بدون نار

هناك دخان

هناك نار

كل بروز للدخان يسمح إذن بالاستدلال على وجود النار: وبهذا المعنى، الدخان هو علامة على وجود النار. علاقة الدلالة مؤسسة هنا على العلاقة الطبيعية ما بين الظاهرتين، العلاقة التي بفضلها ليس هناك دخان بدون نار.

ما يميز العلامات الطبيعية من هذا النموذج، هو يقينية العلاقة الدلالية. يتحدث اللسانيون عن "اليقينية" عندما تكون جملة مركبة والمتضمّنة لقضية موضوعة بعناية تحت فعل (على سبيل المثال جملة "بيير يعلم أن الثلج أبيض"، التي تتضمن القضية "الثلج أبيض" الموضوعة بعناية تحت فعل "يعلم")، تستلزم القضية المشار إليها هنا. الفعل نفسه يقال أنه إذن "يقيني" ويمكننا، بتوسع، أن نتحدث عن يقينية العلاقة التي يتم تعيينها من طرف

الفعل. و[فعل] "يعلم" هو يقيني، في هذه [العملية] التصنيفية، لأنه، ومهما تكن القضية الموضوعة P، "بيير يعلم أن P " تستلزم أن P. إذا قال لي شخص ما أن "بيير يعلم جيدا أن ساعي البريد لن يمر هذا اليوم"، يمكنني أن أستدل (إذا لم أكن أعلم ذلك مسبقا) أن ساعي البريد لن يمر هذا اليوم. في المقابل، [فعل] "قال" ليس يقيني. إذا تم إعلامي بأن "بيير يقول إن ساعي البريد لن يمر هذا اليوم"، فإنه لا يستتبع اعتمادا على ذلك أن بيير على حق: يمكنه أن يخطئ بدرجة كبيرة. و[فعل] "يعتقد" هو أيضا غير يقيني. ولكن من خلال توظيفه لفعل "يعلم"، فإن المتكلم يفترض صدق القضية الموضوعة. (في بعض الحالات، المضادة لليقينية، يفترض المتكلم على عكس ذلك خطأ المتممة: وتلك هي الحالة بالنسبة لفعل "يتخيل" في [الجملة] "بيير يتخيل أن ساعي البريد لن يمر هذا اليوم". في هذا القول يمكن أن نستدل أن ساعي البريد، سيمر، في الواقع، فعلا هذا اليوم على عكس ما يظنه بيير.)

يعارض غرايس ما بين "دلالة طبيعية" و"دلالة غير طبيعية" على قاعدة اليقينية أو اللايقينية لعلاقة الدلالة. ميزة العلامة الطبيعية (مثل الدخان، الذي رأينا أنه علامة على وجود النار) هو أن علاقة الدلالة الموضوعة في السياق يقينية. إذا قلت "هذا التجمع للسحب يريد القول أنها ستمطر"، ما أقوله يستلزم أنها ستمطر بالفعل والشخص الذي أحدثه يمكنه أن يستخلص هذه النتيجة. التعبير "يريد القول" (mean، بالإنجليزية) هي هنا يقينية. ولكن هناك استعمال آخر لـ "يريد القول" ليست يقينية: إذا، قمت من خلال تأويلي لكلام بول الذي يحضنا على إتمام جولتنا بسرعة، بإعلان أنه "يريد القول أنها ستمطر"، فإن قولي لا يستلزم أنها ستمطر فعلا. هنا أيضا، يمكن لبول إلى حد بعيد أن يُخطئ، وبقولي لما أقوله لا أفترض أنه محق. هناك إذن نوعان من "يريد القول" : يريد القول طبيعي - على سبيل المثال، ما تريد أن تقوله هذه السحب [بتجمعها]، أو ما يريد أن يقوله هذا الدخان- هو شكل دلالة مؤسس على علاقة أصليّة ما بين الشيء الذي يمثل (الدخان، أو نوع من تجمع السحب) والشيء الذي يجري التمثيل له (النار، أو المطر) :علاقة يمكننا بفضلها أن نصوغ قانونا من نموذج "لا وجود

لـ A دون B"، أو A الشيء الذي يمثل (العلامة) وB الشيء الذي يجري التمثيل له. ويبرر هذا القانون الاستدلال القائم بين A وB، من هنا يقينية علاقة الدلالة المشار إليها. في المقابل، "يريد القول غير الطبيعي" (المعنى غير الطبيعي، بحسب اصطلاح غرايس) ليس مؤسّسا على علاقة طبيعية لها قوة قانون. "بول يريد القول أنها ستمطر" تُسند إلى بول نوعا من القصد التواصلي، قصد للتبليغ يرتبط بالمطر تماما مثلما أن رغبتي في تقبيلي لبابا نويل ترتبط ببابا نويل. وبالتالي، فإنه في حالة الدلالة الطبيعية،الشيء المدلول B يجب أن يوجد لكي يكون لدينا فعلا علاقة "يريد القول طبيعيا" ما بين A وB، ففي حالة الدلالة غير الطبيعية، غياب اليقينية يعني أن B، موضوع يريد القول، يمكن إلى حد بعيد أن لا يكون له أي واقع مستقل عن القصد التواصلي الذي هو موضوع له. في هذه الحالة، إذن، سنجد مرة أخرى "مشكل القصدية".

تكمن الإستراتيجية "ذات النزعة الطبيعية"، في مرحلة أولى، في إعطاء اعتبار للدلالة الطبيعية، وفي بناء انطلاقا منها لمفهوم أكثر تعقيدا للدلالة التي يجب عليها أن تسمح بإخبارنا أيضا بالحالات التي هي في أغلب الظن "غير علائقية" وأن تحل بذلك، بشكل مرحلي، مشكل القصدية.

3 - من الإشارة إلى التمثيل

بيّن مجموعة من الفلاسفة الأمريكيين، من بينهم فرِد دريتسكي Fred Dretske وروث ميليكان Ruth Millikan، كيف يمكننا، بداية من الدلالة الطبيعية، أن نحدد مفهوما للدلالة يسمح بإدماج الحالات "غير العلائقية" دون أن يؤدي ذلك إلى حد السقوط في [مذهب] الثنائية أو الروحية (3). صيغة دريتسكي، وبشكل أخص كتابه Explaining Behavior، هي التي ستكون هنا بمثابة خيط هادٍ. فبحسب دريتسكي، الذي يستلهم من أفكار غرايس، A "تدل" على B أو تشير إليها إذا وفقط إذا لم يكن ممكنا أن يكون لنا (مواطن ذكر ل) A دون أن يكون لدينا أيضا (مواطن ذكر ل) B.

علاقة الإشارة أو الدلالة الطبيعية هي إذن مؤسسة على معدل الترابط للظاهرتين، أو بالأحرى على التبعية الوجودية لـ A مقارنة ب B: فلو لم تكن هناك B، لما كانت هناك A - وإذن فحضور أو مواطن ذكر [أو توارد] A تستلزم تلك المتعلقة بـ B.

علاقة الدلالة الطبيعية أو المتعلقة بالإشارة لها بحسب دريتسكي خاصيتين أساسيتين. يتعلق الأمر بداية بعلاقة موضوعية، مستقلة عن كل ملاحظ يمكنه أن يستثمر هذه العلاقة. موقع دوارة الهواء "يشير" إلى وجهة الريح حتى وإن لم يكن هناك أي شخص ليرى، أو يستعمل هذه الإشارة. يدل نوع من الأثر فوق الأرض على أن قندساً مرّ من هنا، حتى وإن لم يكن هناك شخص قادر على تحديد طبيعة هذا الأثر. ما يجعل هذا الأثر يدل على ما يدل عليه، هو من جهة كون أن مرور قندس يترك هذا النوع من الأثر، ومن جهة أخرى كون أنه لا شيء من غير القندس، في المحيط المحلي الذي وفقه تدل العلامة على ما تدل عليه، يمكنه أن يترك هذا النوع من الأثر. الحديث هنا عن مؤشرات أو عن علامات هو من دون شك مضلل شيئا ما، من منطلق أنه، مثلما قال ذلك بيرس Peirce، فإن مفهوم العلامة هو ثلاثي بشكل أساسي: "فالمثلث السيميوطيقي" يقوم بإدخال، إضافة إلى العلامة وذلك الذي تكون على أساسه علامة (الموضوع)، المؤوّل الذي من أجله تكون العلامة علامة. التعريف التقليدي للعلامة هو كالتالي: شيء ما يمثل شيئا ما لفائدة شخص ما. علاقة الإشارة التي يتحدث عنها دريتسكي هي، ثنائية: يتعلق الأمر بعلاقة العلامة بالموضوع، بشكل سابق عن كل استعمال للعلامة كعلامة. العلامات الطبيعية تدل على ما تدل عليه بطريقة موضوعية، بفضل التبعية الوجودية للعلامة تجاه الشيء المدلول. ولأن العلامات الطبيعية تمتلك نوعا من الدلالة الموضوعية، فإنه بالإمكان أن تُستثمر بوصفها علامات، تحمل معلومة ما. نحن في حاجة إذن إلى تمييز شيئين: العلاقة (الموضوعية) بالشيء المدلول الذي بفضله تدل العلامة الطبيعية أو تشير إلى هذا الشيء؛ والاستعمال الذي تخضع له العلامة الطبيعية من طرف مستعمل ما. يمكن لمستعمل ما أن يستعمل العلامة استعمالا خاطئا - يمكنه أن يؤوّل بشكل منحرف الأثر ويرى فيه شيئا آخر

غير ما هو عليه في [الواقع] - ولكن ذلك لا يؤثر بأي شكل من الأشكال على الدلالة الموضوعية للأثر.

الخاصية الأخرى المهمة لعلاقة الإشارة مرتبطة بما أتيت الآن على ذكره: إذ ليس بالإمكان أن تكون هناك إشارة خاطئة. نجد بذلك فكرة غرايس المتعلقة بيقينية الدلالة الطبيعية. إذا كان الأثر يدل على أن قندسا مر من هنا، فإذن هناك قندس مرّ من هنا. يمكننا أن نخطئ في تأويلنا للأثر، ولكن الأثر نفسه يمتلك دلالة موضوعية وهذه الدلالة الموضوعية لا يمكنها أن تكون خادعة. الدلالة الموضوعية للعلامة لا يمكنها أن تكون خادعة لأنها مؤسسة على علاقة تبعية A تجاه B (لا وجود لـ A دون B). لو أن الدلالة الطبيعية للعلامة كانت خادعة أو خاطئة - لو كان لدينا العلامة A ولكن ليس الشيء المدلول B - فإذن A لن تكون علامة طبيعية لـ B، ما دام أنه، في مثل هذه الفرضية، علاقة التبعية التي تؤسّس الدلالة الطبيعية ("لا وجود لA دون B") لن تكون متحققة. ومن ثمة إذن فإن كون A هي علامة لـ B، لا يمكنها إلا أن تكون حقيقية. لا تبدو إمكانية الخطأ أو الخداع إلا عندما، وفي المرحلة التي تليها، نقوم بإقحام مستعمل العلامة.

مستعمل العلامة يعمل على أن يعيّن لها نوعا من الوظيفة: تلك المتعلقة بالإشارة إلى هذا الشيء أو ذاك. حقيقة، العلامة تشير من قبل، ما دام أن دلالتها الطبيعية هي خاصية موضوعية تمتلكها في استقلال عن الاستعمال الذي تخضع له. ولكن العلامة تشير إلى كل أنواع الأشياء: الأثر في الثلج يشير ليس فقط إلى أن قندسا مر من هنا، ولكن أيضا إلى أن الثلج لم يسقط منذ مرور القندس، وأن هذا الأخير له وزن ما، وأن كثافة الثلج لم يكن يتجاوز درجة معينة من السمك لحظة مرور القندس، إلى آخره. تشير العلامة A إلى مجموعة من الوقائع، أي تلك الوقائع التي بدونها لن تكون A ما هي عليه. في مواجهة هذه الدلالة الطبيعية المتعددة الأشكال لـ A، يستطيع مستعمل العلامة، بحسب مصالحه الخاصة، استغلال A للحصول على هذه المعلومة أو تلك من بين تلك التي تحملها A فعليا من منطلق دلالتها الموضوعية. يعيّن المستعمل لـ A دوراً ما أو وظيفة معينة، تجعل

منها علامة بالمعنى التقليدي: شيء ما يمثل شيئا آخر بالنسبة لشخص ما.

نلتقي في هذه النقطة مع التحول الأكبر الذي يسمح لنا بمغادرة المجال الضيق للدلالة الطبيعية. بداية من اللحظة التي تحصل فيها A على وظيفة ما، يمكن لوظيفتها أن تختل. لنفترض أن لدينا ميزان حرارة: يشير ارتفاع عمود الزئبق إلى الحرارة، بالمعنى الذي لا يكون فيه لعمود الزئبق هذا الارتفاع إذا لم تصل الحرارة إلى هذا المستوى في المحيط المباشر لميزان الحرارة. هذه العلاقة الموضوعية المتعلقة بالإشارة ما بين ارتفاع الزئبق والحرارة هي مستغلة وموازين الحرارة صنعت بالتحديد بغرض استغلال هذا المعلومة التي يحملها الزئبق بشكل موضوعي في ما يتعلق بالحرارة. إنه من وظيفة موازين الحرارة أن تشير إلى الحرارة. ولكن هناك موازين حرارة لا تقوم بعملها بشكل (دقيق): إنها تحمل عيوبا. ويعني ذلك أنها لا تشير، أو لم تعد تشير، إلى الحرارة. ارتفاع الزئبق في ميزان حرارة لا يعمل يتوقف إذن عن أن يكون علامة طبيعية بالنسبة للحرارة. غير أن ميزان الحرارة المصاب بالخلل يحافظ على الوظيفة التي عُيّنت له (كما هو الشأن مع كل ميزان حرارة) من طرف المستعمل: وهي تلك المتعلقة بالإشارة إلى الحرارة. بالنسبة للمستعمل، ميزان الحرارة المصاب بالخلل يفترض منه أن يشير إلى الحرارة، وبالتالي نحكم عليه أنه معطل عندما لا يقوم بذلك.

هكذا يحدد دريتسكي علاقة التمثيل: A تمثل B إذا وفقط إذا A لها وظيفة الإشارة إلى B. ويمكننا القول، بهذا المعنى، إن ارتفاعا ما للزئبق في ميزان الحرارة يمثل درجة معينة من الحرارة. فميزان الحرارة صنع بالفعل بطريقة تجعل مختلف الارتفاعات الممكنة لعمود الزئبق تشير كل واحدة منها إلى درجة معينة من الحرارة. يشتغل ميزان حرارة موثوق به بشكل صحيح، بحيث إن ارتفاع الزئبق يشير فعلا إلى الحرارة. بينما ميزان حرارة مُعطّل لا يشتغل بشكل صحيح، وارتفاع الزئبق لا يشير، أو لم يعد يشير، إلى الحرارة - الرابطة بين ارتفاع الزئبق والحرارة تتوقف ولم تعد لدينا بالتالي العلاقة التي تفيد ليس هناك A دون B. يواصل ارتفاع الزئبق بالرغم من ذلك عملية التمثيل للحرارة، من منطلق أن وظيفته تكمن في الاشارة إليها

(حتى وإن لم يكن يؤد بشكل صحيح هذه الوظيفة). أهمية مفهوم التمثيل المحدد بهذا الشكل، تكمن في أنه ليس يقيني. ارتفاع الزئبق في ميزان الحرارة المعطل [الذي أمتلكه] يمثل الحرارة وكأنها وصلت إلى 10 (لأن هذا الارتفاع للزئبق يفترض أنه يشير إلى حرارة وصلت إلى 10)، بينما درجة الحرارة قد وصلت إلى 20. وبخلاف الإشارة، وهو ما نراه[هنا]، يمكن للتمثيل أن يكون خاطئا أو خادعا: يمكننا التمثيل لما هو خاطئ، ما لا وجود له، أو المستحيل، بينما وحده الواقع يمكن أن "يشار" إله.

4 - القصدية الأصلية والمشتقة

يمكننا بفضل مفهوم الوظيفة، تحديد التمثيل (المميّز، من خلال عدم يقينيته، عن الإشارة) ونحلّ بذلك مشكلة القصدية. ولكن يتبقى لنا عائق يتوجب تجاوزه حتى يكون هذا الحل حلا حقيقيا.

العلامة تمثل شيئا ما عندما، وعندما فقط، يقوم مستعمل للعلامة بإعطائها كوظيفة [فعل] الإشارة إلى الشيء المشار إليه. إذا أسقطنا من حسابنا المستعمِل، لن يكون بإمكاننا أن نتحدث إطلاقا عن وظيفة العلامة. "تشير" العلامة موضوعيا إلى كل أنواع الأشياء، ولكنها ليست معنية بالإشارة إلى هذا الشيء أو ذاك إلا إذا تم استعمالها كعلامة. وعليه، لو أن كل البشر اختفوا من سطح المعمورة، فإن موازين الحرارة ستفقد الاستعمال الذي وجدت من أجله ولن تكون سوى أشياء من بين أشياء أخرى. يمكننا دون ريب أن ننافح بالقول إن ما يعطيها وظيفة ما، هي قصدية من قاموا بصنعها، وليس الاستعمال الفعلي الذي تخضع له؛ وهي الحالة التي تحتفظ بها (ربما) بوظيفتها التأسيسية حتى وإن قُدِّر لمستعمليها أن يختفوا. ومهما يكن من أمر هذه النقطة، فإن الصعوبة التي نواجهها تأتي من كون أن المحتوى التمثيلي للعلامة مرتبط بشكل لا انفكاك منه بالعلاقة التي تقيمها العلامة مع "مؤوليها"، من خلال تضمينها من بين المؤولين لكل من "المنتجين" و"المستهلكين" على حد سواء (المستعملون والمصنّعون، في حالة ميزان الحرارة). والحال أن المنتجين والمستهلكين ليسوا مؤولين

للعلامة إلا إذا تمثلوا العلامة بوصفها تمتلك هذه الوظيفة أو تلك. تأتي الصعوبة من واقع أنه، من أجل تحديد ما الذي يعنيه بالنسبة لعلامة أن تقوم بالتمثيل، علينا أن نستدعي العلاقة ما بين العلامة ومؤولين يمتلكون هم أنفسهم تمثلات. وعوض أن نحدد إذن التمثل انطلاقا مما ليس هو، وفق ما كنا نتعاهد على القيام به، فقد اقترحنا تحليلا للتمثل يقتضي مفهوم التمثل نفسه.

التمثلا ت التي يقتضيها تحليلنا هي التمثلات الذهنية للمؤولين. ففي حالة مصنِّع ميزان الحرارة، فإن قصده يفيد أن الشيء الذي يصنعه يشير إلى الحرارة؛ والذين يشترون ميزان الحرارة أو بشكل أعم الذين يستعملونه ينتظرون منه أن يشير إلى الحرارة. ومقصد الصانع والتوقعات المتلازمة للمستعملين هي التي تعطي لميزان الحرارة وظيفته، وللحالات المختلفة للزئبق في الميزان الوظائف النوعية التي يتوقف عليها محتواها التمثيلي.

إذا كانت التمثلات الذهنية للمؤوّلين هي التي تمنح للعلامات التي يستعملها هؤلاء محتواها، فإذن تحليل التمثل بواسطة فكرة الوظيفة ليس له سوى سلطة توضيحية محدودة: إنه يخبرنا عن العلامات الخارجية التي نوظفها من أجل الحصول على أو تبليغ معلومات، ولكن التمثلات الذهنية للمؤوّلين لها هي نفسها محتوى - تماما مثل العلامات الخارجية، التي هي تمثلات- ولا يبدو أنه بإمكاننا أن نخبر عن محتواها بإتباعنا للمسلك نفسه.

وفي المحصلة، نجد أن الكثير من الكتاب قد ميّزوا ما بين القصدية "الأصلية" للتمثلات الذهنية، والقصدية "المشتقة" للعلامات الخارجية التي تمنح لها التمثلات الذهنية للمؤولين وظيفة(4). قصدية العلامات الخارجية مشتقة (وليست أصلية) لأنه وبشكل دقيق المؤولون هم الذين يعطون لها محتوى تمثيلي، من خلال تخصيص لها وظيفة ما. ويستطيع المؤولون أن يخصصوا لها محتوى - وأن يعطوا لها معنى - لأنهم يملكون هم أنفسهم، بطريقة أصلية، سلطة التمثيل: فمن خلال الفكر، يتمثلون الكون ويمكنهم، بشكل خاص، أن يتمثلوا العلاقة ما بين العلامات الخارجية وما تشير إليه. و"مشكل القصدية" لن يكون محلولا إذن إلّا بالنسبة للعلامات الخارجية،

الحاصلة على قصدية مشتقة. وبالتالي القصدية الأصلية للتمثلات الذهنية تبقى في حاجة إلى شرح.

5 - القصدية الظاهرية والباطنية

إنه لمغر بالنسبة لهذه النقطة أن نقول أن العلامات الخارجية تحصل على محتواها، تحديدا، "من الخارج"، بفضل علاقتها الممكنة مع مستعمليها، بينما الأفكار، وبشكل أعم، التمثلات الذهنية تملك محتواها بطريقة باطنية. ولكن القول بذلك - والقبول بمفهوم القصدية الباطنية- معناه الاعتراف من جديد أن الذهني يمتلك، بطريقة غير قابلة للاختزال ولا للتحليل، خاصية التمثيل.

تتلخص المعضلة التي نواجهها في ما يأتي. إما أن نعترف بأن الأفكار والتمثلات الذهنية الأخرى تمتلك محتوى بطريقة أصلية، وليس بطريقة مشتقة، مثل العلامات الخارجية التي تستمد محتواها من الاستعمال الذي تخضع له، وبالتالي فإنه يبدو أننا مجبرين على قبول فكرة القصدية الباطنية. وإما أن نرفض هذه الفكرة التي تستلزم في الغالب التخلي عن الإطار المتعلق بالنزعة الطبيعية والقبول بالثنائية الديكارتية؛ ولكن، كيف لنا إذن أن نقدم حسابا عن التضاد ما بين التمثلات الذهنية والعلامات الخارجية؟ كيف لنا أن نخبر عن الخاصية الأصلية وليس المشتقة لقصدية الذهني؟

يكمن الحل في تمييز مفهومين للتخريج [أو الإظهار]. يمكننا أن نذهب إلى القول أنه لا وجود لقصدية باطنية: ونتحدث عن علامة خارجية أو عن تمثل ذهني، وفي كل الحالات A تمثل B إذا وفقط إذا A لها وظيفة الإشارة إلى B. المحتوى التمثيلي لـA ليس في علاقة باطنية معها، إنه شيء ما يأتيها في كل الأحوال "من الخارج" ويتوقف على الوظيفة المخصصة لها- على الاستعمال الذي تخضع له. الاختلاف ما بين التمثلات الذهنية والعلامات الخارجية هو أن هذه الأخيرة تحصل على وظيفتها، وبالتالي على سلطتها التمثيلية، من عامل حاصل هو نفسه على سلطة تمثيلية. لدينا هنا "نسقين للتمثيل"، بحسب الاصطلاح الذي نلفيه عند دريتسكي. على سبيل

المثال، ميزان الحرارة هو نسق للتمثيل(حيث تحتوي كل واحدة من العناصر - حالات عمود الزئبق- على نوع من المحتوى التمثيلي)، ومستعملي ميزان الحرارة هم أيضا أنساق للتمثيل (إنهم حائزون على حالات ذهنية تمتلك محتوى تمثيلي). إذا كانت حالات الزئبق في النسق الأول تمثل حرارة الجو، فلأنها تمتلك كوظيفة الإشارة إلى هذه الحرارة، والوظيفة المشار إليها هنا تعيّن لها "من الخارج"، من طرف نسق آخر للتمثيل (ممثلا في المستعمل). ولكن هناك أنساق للتمثيل ليست لها هذه الخاصية، أي أنها ليست تابعة لنسق آخر بهذه الطريقة. في أنساق التمثل التي يسميها دريتسكي بـ "الطبيعية"، وظيفة العناصر ليست معينة من طرف نسق آخر، ولكن من طرف النسق نفسه الذي تنتمي إليه هذه العناصر. وبمعنى ما، إذن، فإن هذه العناصر لا تحصل على محتواها "من الخارج". يعيّن النسق الذي ينتمون إليه للعناصر وظائف "باطنية" على اعتبار أنها ليست تابعة لنسق آخر.

قمنا في التحليل المتعلق بالعلامات الخارجية، بتمييز مرحلتين. المرحلة الأولى هي تلك المتعلقة بالإشارة: "تشير" العلامة إلى الظروف التي لولاها لما كانت، أو لما كانت كما هي عليه. علاقة الإشارة هي ثنائية وموضوعية - مستقلة عن كل استعمال للعلامة. ثم، يأتي في المرحلة الثانية، التمثيل الخاضع [لسيرورة] استعمال العلامة. فالعلامة (الخارجية) لا تمثل إلا بفضل وظيفة المؤشر المُسند إليها من طرف مستعمل أو مؤول ما. ويمكن إعادة اعتماد هذا التحليل في حالة التمثلات الذهنية، وذلك إلى حد ما من منطلق أن "الوظائف" المسندة إلى عناصر النسق في المرحلة الثانية ليست مسندة من طرف مستعمل خارج عن النسق، ولكن من قبل النسق نفسه.

بحسب دريتسكي، كل حيوان هو نسق من التمثلات، يملك مجموعة من الاستشعارات أو المؤشرات، تدخل بفضلها الحالات الداخلية للحيوان في تناغم مع حالات البيئة. فمع وجود قناص، غداء أو شريك جنسي تصبح المؤشرات الملائمة نشطة وتولد لدى الحيوان سلوكا ملائما. تقيم المؤشرات، مع الأشياء المؤشر عليها، (وجود قناص، غداء أو شريك جنسي)، علاقة توارد أو، بشكل أكثر دقة، علاقة تبعية وجودية بحيث لا يكون أحدهما دون أن يكون الآخر: في الشروط العادية، إذا أصبح المؤشر

نشطا، فمعناه أن الشروط البيئية المقابلة قد تحققت. يعيّن النسق الذي يعتبر المؤشر جزءاً منه، علاوة على ذلك نوعا من الوظيفة لهذا المؤشر: وبذلك يملك المؤشرP [ق] كوظيفة الإشارة إلى القناصين. أن نقول بذلك، معناه القول أن P تلعب، في النسق، دورا ما: من قبيل أن، تنشيطه يعمل كإشارة منبهة تولد سلوكا ملائما في مواجهة القناص (الهروب). يشكّل هذا الدور الوظيفة الخاصة ب P في النسق، وهذه الوظيفة هي نفسها من يحدد ما تمثله P (أو بشكل أدق، [عملية] تنشيط أو تفعيل P): أي وجود قناص.

هناك، بالتأكيد، هوة ما بين تنشيط مؤشر متخصص عند الحيوان والفكر الإنساني. ولكن الهوة الحقيقية، من وجهة النظر الفلسفية، يتم عبورها بداية من اللحظة التي نقوم فيها بالإبلاغ عن محتوى تمثل ذهني ما، مهما كان بسيطا، بواسطة العلاقات التي تقيمها حالة الذهن التي تحمل هذا المحتوى مع كل من البيئة ومع باقي الحالات الداخلية للجسم. وأن يكون مثل هذا التحليل ممكننا فذلك يبيّن أنه، بفضل مفهوم الوظيفة الأساسي، يمكننا المحافظة على فكرة أن مفهوم التمثل علائقي بشكل أساسي.

القسم الرابع

اللغة، الفكر والكون

الفصل الثامن

الإحالة المباشرة ضد النزعة الوصفية

1 - النزعة الوصفية

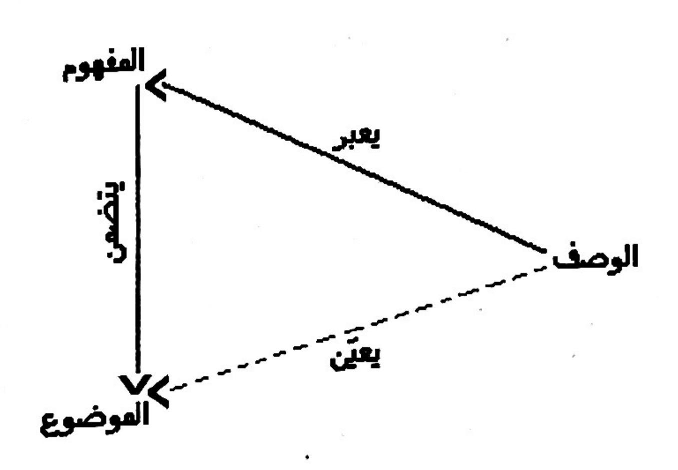
بحسب فريغه، الشيء الذي تحيل إليه عبارة لغوية، وما تدل عليه دلالة مطابقة، متوقف على معنى هذه العبارة. فالمعنى يحدّد الإحالة. بالنسبة للتصور الفريغي، معنى تعبير أو عبارة يمكن أن يمثل له كمجموعة من الشروط التي يتوجب على كيان غير لغوي أن يستوفيها أو يستجيب لها من أجل أن يقوم بالتعيين. الأنموذج le paradigme هنا هو "الوصف المحدد"، على سبيل المثال الرئيس 42 للولايات المتحدة الأمريكية. يمتلك هذا الوصف معنى، محتوى وصفي بفضله يرمز الوصف إلى نوع من الشروط أو إلى مجموعة من الشروط. استيفاء هذا الشرط أو هذه المجموعة من الشروط من طرف شخص ما يمتلك، في لحظة ما، (أي كل شخص يمتلك، امتلك أو سيمتلك)، خاصية رئاسة الولايات المتحدة وأن يكون الشخص الثاني والأربعون الذي يقوم بهده الرئاسة بحسب التسلسل الزمني. تشير أداة التعريف أن هناك شخص واحد يفترض أنه يستوف الشرط، ويمكن أن يضاف "شرط الوحدة" هذا، إلى مجموع الشروط التي يجب على الإحالة الخاصة بالوصف أن تستوفيها. هناك شخص يستوف هذا الشرط الذي نتحدث عنه: إنه بيل كلينتون. بيل كلينتون هو إذن الإحالة الخاصة بالوصف الذي يشير إلى الرئيس 42 للولايات المتحدة الأمريكية.

ومثلما أشار إلى ذلك دافيد كابلان Kaplan، فإن علاقة "الإحالة" المتصورة بهذا الشكل هي حاصل علاقتان أصليتان:

1 - "يعبّر" أو "يرمز" الوصف الرئيس 42 للولايات المتحدة الأمريكية إلى نوع من المفهوم الوصفي، الذي يشكل معنى الوصف؛ هذا المفهوم، هو كما رأينا ذلك، مجموعة من الشروط.

2 - بيل كلينتون "يقع تحت" المفهوم، بمعنى أنه يستوف الشروط.

بالنسبة لهذا التصور، يحيل وصف ما إلى موضوع يقع تحت المفهوم المعبّر عنه أو المرموز له من خلال الوصف. ويلخص كابلان هذا التصور بواسطة خطاطة تسمح ببروز الخاصية المشتقة أو التوسطية لعلاقة الإحالة في مقابل العلاقتين الأصليتين اللتان يقيمهما الوصف وإحالته على التوالي مع المفهوم: أي علاقة التعبير ما بين الوصف والمفهوم، وعلاقة التضمن ما بين المفهوم والموضوع التي تقع تحت المفهوم. يقول كابلان، أن علاقة الإحالة هي"حاصل علاقتان غير العلاقتان السابقتان"، من منظور النزعة الوصفية (الشكل 1).



الشكل رقم 1. المثلث الذي يشير إلى النزعة الوصفية (بحسب كابلان)

بعض الأوصاف المحددة لا تمتلك معنى محدداً بالقدر الكافي من أجل تحديد إحالة الوصف. إنها الأوصاف التي يقال عنها "غير مكتملة" مثل "الطاولة" أو "الرئيس". المفهوم الوصفي المعبّر عنه حرفيا فقير، وفي النتيجة يبدو شرط الوحدة أنه غير قادر على التحقق: فهناك طاولات عديدة في العالم، ورؤساء كثيرون. ولكن السياق يسمح، عندما يستعمل وصفا

مماثلا، بتحديد الموضوع المخصوص الذي تجري الإحالة إليه. هل يعني ذلك القول، في مثل هذه الحالات، إن معنى الوصف لا يكفي لتحديد دلالة المطابقة؟ ليس ذلك هو ما كان فريغه سيقوله. فبحسب ما يذهب إليه، فإن معنى الوصف (المفهوم المعبّر عنه) هو محدد في مثل هذا النوع من الحالات ليس فقط من خلال التعبير اللغوي ولكن أيضا من خلال السياق. إذ يسمح السياق بـ "إكمال" الوصف بالشكل الذي يجعل المفهوم المعبر عنه في السياق محددا بالقدر الكافي من أجل أن يحدد بدوره الإحالة. يعبّر في السياق، إذن، الوصف "طاولة" عن المفهوم الوصفي نفسه الذي يمكننا أن نرمز إليه بشكل صريح بالقول، على سبيل المثال، " طاولة غرفة أكلنا".

في حالة أسماء الأعلام، هناك مجموعة من الأوصاف الغامضة إلى حد ما التي تعطي لها بشكل عام معناها. كقولنا، "أرسطو" هو الفيلسوف الكبير للعصور القديمة، تلميذ أفلاطون، معلّم الاسكندر الأكبر، الذي ألف كتاب الميتافيزيقا، إلخ. يتضمن مفهومنا لأرسطو كل هذه العناصر، والتي يؤثر بعضها أكثر من العناصر الأخرى. هذا الاختلاف المحتمل في "التأثير" يُدخل نوعا من اللاتجانس في المحتوى الوصفي لأسماء الأعلام. ويأتي شكل آخر من اللاتجانس من منطلق أن أشخاصا مختلفين يشركون عناصر معلومات مختلفة مع اسم العلم نفسه: فاسم العلم، كما يقول فريغه، ليس له المعنى نفسه بالنسبة للجميع، على عكس ما يحدث بالنسبة لوصف معرّف. ولكن قياسا مع فرد محدد (في لحظة محددة) فإن اسم العلم يملك معنى -محتوى وصفي- يحدد إحالته.

الضمائر قابلة للمقارنة هي نفسها مع الأوصاف التي أسميتها "غير كاملة". إذا قلت " جاء هو"، وكأنني أقول "جاء الرجل". المحتوى الوصفي للضمير فقير جدا، بل هو أكثر فقرا من ذلك المتعلق بالوصف غير الكامل. إضافة إلى إشارة الوحدة التي تحملها الخاصية المحددة للضمير، فإن الشرط الوحيد المرموز له صراحة منقول بواسطة جنس الضمير: "هو" تشير إلى إحالة ذكورية، "هي" إلى إحالة أنثوية. الأمر غير كاف، بالتأكيد، من أجل تحديد الإحالة. ولكن السياق، يسمح هنا أيضا، بحسب فريغه،

بتكملة المعنى الوصفي، من خلال إضافة إشارات تكميلية. فكما يحدث في حالة الأوصاف غير الكاملة، ليس التعبير اللغوي هو الذي يعبّر لوحده عن معنى، ولكن التعبير اللغوي في [إطار] السياق.

تتلاءم أسماء الإشارة أيضا مع معالجة تجعل منها أوصافا محددة مقنعة. هناك نوعان من أسماء الإشارة: بسيطة ("ذا"، "ذلك") أو مركبة ("هذا الرجل"، "هذه السفينة"). الإحالة الخاصة باسم إشارة محددة من خلال، حركة إشارة تهدف إلى جعل الموضوع المعيّن قابلا للإدراك من خلال تحديده مكانيا، من جهة، ويشير المحمول النوعي ("رجل"، "سفينة") إلى نموذج الموضوع الذي يتعلق به الأمر، من جهة أخرى. عندما يستعمل اسم إشارة بسيط، فإن المحمول النوعي يضل ضمنيا، لكنه لا يكون بعيدا عن الإسهام في تشكيل معنى اسم الإشارة. سنقول مجددا، أن السياق هنا، يتمم المعنى. يبقى إذن أن نحلل أسماء الإشارة المركبة مثل "هذا الرجل" و"هذه السفينة" التي تعود إليها أسماء الإشارة البسيطة عندما يجري التصريح بها. يمكننا أن ندافع بالقول أن معناها هو ذلك المتعلق بوصف ما. حيث إن جانباً من المحتوى الوصفي يتم تقديمه لنا من طرف المحمول النوعي "رجل" أو "سفينة". يضاف إلى ذلك، من جهة، شرط الوحدة الذي يتم نقله من خلال الخاصية المحددة لاسم الإشارة، ومن جهة أخرى، شرط إضافي منقول من خلال الخاصية الإشارية لاسم الإشارة: يشير اسم الإشارة (وانطلاقا من الحركة المشاركة له) إلى مكان، ويُفترض أنه يعيّن موضوعا من نموذج "رجل" أو "سفينة" الموجودين في هذا المكان. ويمكننا إذن ترجمة اسم الإشارة: هذا الرجل" (المصحوب بحركة) بالوصف [القائل] "الرجل الموجود هنا"، أو ربما - وحتى لا نحلل معنى اسم الإشارة بواسطة وصف ما يشتمل على اسم إشارة آخر- "الرجل الموجود في المكان المشار إليه من طرف المتكلم".

2 - الإيجابيات والسلبيات

تمتلك النظرية ذات النزعة الوصفية ايجابيات مقارنة بنظرية "ساذجة"

تعيّن مباشرة للتعبيرات دلالة مطابقة لا تتم عبر وساطة المعنى. فقول مثل "بيغاس لا وجود له" يُفهم بشكل أكبر إذا كان اسم العلم "بيغاس" يعبّر عن مفهوم وصفي. القول أن بيغاس لا وجود له معناه القول بالتحديد أن المفهوم الوصفي المعني هنا لا يتضمن شيئا - وأنه لا موضوع يقع تحت هذا المفهوم. ولكن إذا، لم نعيّن في المقابل، محتوى وصفي للاسم، فإنه من الصعوبة بمكان أن نقدم حسابا بشأن مثل ذلك القول.

هناك صعوبة أخرى بالنسبة للنظرية الساذجة: تلك المتعلقة بأقوال المطابقة [أو الهوية]. فالجميع أو تقريبا كل الناس أصابهم الذهول عند معرفتهم أن إميل آجار Emile Ajar لم يكن شخصا آخر غير رومان غاري Romain Gary*. يمكن أن يصاغ الخبر المفاجئ بسهولة إذا افترضنا أن أسماء الأعلام "إميل آجار" و"رومان غاري" يشترك كل واحد منها في محتوى وصفي من نموذج " مؤلف المداعب الكبير و..." (بالنسبة لآجار) و"مؤلف وعد الفجر و..." (بالنسبة لغاري). وبالتالي فإن ما علمناه بمعرفتنا لهوية أجار - واقع أنه لم يكن شخصا آخر غير غاري- هو واقع أن شخصا واحدا هو الشخص نفسه يقع تحت المفهومين، وليس شخصان مختلفين كما اعتقدنا حتى لحظة الكشف عن [الحقيقة]. ولكن إذا كانت أسماء الأعلام تعيّن حامليها "مباشرة"، وليس من خلال ترجمان لمحتوى وصفي، فإنه من الصعوبة أن نفهم طبيعة المعلومة المنقولة بواسطة قول المطابقة مثل "إميل آجار= رومان غاري". حيث إن كل موضوع يكون مطابقا لنفسه، ومن ثمة إذا كان ما يعلنه القول هو مطابقة [مجموع] الإحالات [أو المراجع]، إذن، وبما أن المرجع هو نفسه، فإن المطابقة [أو الهوية] المعلن عنها هكذا هي مطابقة الشيء لنفسه، وهو ما يعتبر مبتذلا. وتسمح النظرية ذات النزعة الوصفية بالتخلص من هذه الصعوبة بمركزة المعلومة (غير المبتذلة) المنقولة على مستوى المحتوى الوصفي.

* روائي فرنسي ولد سنة 1914 وتوفي سنة 1980، نال جائزة "غونكور" الأدبية عن كتابه "جذور السماء" عام 1956 تحت اسم غاري ونالها للمرة الثانية عام 1975 عن "الحياة أمامنا" تحت اسم آجار، كتب بالفرنسية والإنجليزية، ولم يعرف الجمهور الفرنسي وقراء أعماله أن آجار وغاري يمثلان شخصية واحدة إلا بعد وفاته.

ومع ذلك، فإن النظرية ذات النزعة الوصفية ليس من شأنها أن تثير هي نفسها مشكلات. هناك مشكل أول، مشار إليه من قبل كريبكي Kripke، يأتي من منطلق أننا لا نمتلك في الغالب، عن ذلك الشخص الذي نحيل إليه من خلال اسم علم، سوى معلومات تكون إما خاطئة، وإما غير كافية من أجل فردنته وتمييزه عن غيره. وفي الحالتين، ما كان بالإمكان القيام بالإحالة إلى الفرد المعني هنا، لو أن النموذج الوصفاني كان سليما. هناك صعوبة أخرى تتعلق بتعميم النزعة الوصفية[أو الوصفانية] على الألفاظ العامة، والتي كنا قد رأينا أن فريغه يمنحها إحالة (دلالة مطابقة). فهل سنقول أن الإحالة الخاصة بلفظ عام تتوسط من خلال محتوى وصفي؟ ولنأخذ على سبيل المثال لفظ "كائن فضائي". يمتلك هذا اللفظ محتوى وصفي في حالة ما إذا أمكننا أن نعرف كائنا فضائيا بوصفه كائنا حيّاً لا ينتمي إلى الكرة الأرضية (أترك فكرة الانتماء مبهمة عمدا). هذا المحتوى الوصفي هو "الدلالة السياقية" بالمعنى الذي نلفيه عند ميل؛ ومن خلاله "يعيّن" اللفظ العام (بالمعنى الذي قصده ميل) كل الكائنات التي تمتلك الخاصية المعيّنة: تلك المتعلقة بأن يكون كائنا فضائيا. غير أنه بالنسبة لفريغه، كما رأينا ذلك، فإن إحالة لفظ عام هي الخاصية التي تشكل، بحسب ميل، دلالته السياقية. تشكل فقط الكائنات التي تنطبق عليها الخاصية، في نسق فريغه، ماصدق اللفظ العام. والحال، هل بإمكاننا القول أن الخاصية التي يحيل إليها لفظ "كائن فضائي" محددة من خلال محتوى وصفي، ولتكن مجموعة من الشروط التي تستوفيها هذه الخاصية والتي تمنحها مقام المرجع؟ ألا يبدو، بالأحرى، أن لفظ "كائن فضائي" يرمز مباشرة لخاصية كونه كائنا فضائيا؟ وإذا قبلنا بمبدأ أن الألفاظ العامة تحيل مباشرة، فلماذا لا نقبل أن بعض الألفاظ المفردة هي أيضا - أسماء الإشارة وأسماء الأعلام - تحيل مباشرة، على عكس الأوصاف المحدّدة؟ فمثلما رأينا ذلك في الفصل الثاني (القسم 2)، فكرة أن أسماء الأعلام وأسماء الإشارة تحيل مباشرة تسمح بتقديم حساب عن صرامة هذه الألفاظ المفردة في السياق الموجّه.

هناك صعوبة ثالثة تواجهها النزعة الوصفية تستحق أن يشار إليها، لأنها تقع في قلب النقاش الفلسفي الذي يجعل هذا التصور في مواجهة مع نظرية

الإحالة المباشرة. من وجهة نظر النزعة الوصفية، الإحالة إلى المواضيع [أو الأشياء] تتوسط من خلال خصائص هذه المواضيع. فنحن نحيل إلى المواضيع بوصفها مالكة لهذه الخصائص أو تلك - أي تلك الخصائص التي تقابل الشروط التي رأينا أنها تشكل المحتوى الوصفي للألفاظ المفردة. تعرّف إذن المواضيع بطريقة كيفية في الأساس. ومن نتائج هذه المقاربة هو أن الخاصية الفردية للمواضيع - هويتها الكمية - ليست ممثلة بشكل حقيقي. فقول من نموذج " a هيF"، أو" a" هي لفظ فردي و"F" هي لفظ عام، تعبّر عن قضية أن هناك موضوع واحد حائز على خاصية P [خ] (أين تقابل P المحتوى الوصفي ل "a") وأن هذا الموضوع هو F. مثل هذه القضية هي "قضية عامة"، تتعلق بخصائص؛ وهي صادقة إذا وفقط إذا كان موضوع ما يستجيب للخطاطة، " x لها خاصية P، وليس هناك موضوع آخر له خاصية P، وx هي F". لا تقوم شروط الصدق المصوغة بهذا الشكل بإدخال موضوع خاص مع استبعاد لكل موضوع آخر، كما كانت ستكون عليه الحالة لو أن القضية المعبّر عنها كانت "قضية فردية"، تتعلق بموضوع خاص.

ليس هناك إذن، من وجهة نظر النزعة الوصفية، سوى قضايا عامة. حيث تقدم لنا اللغة عن الكون صورة كيفية بشكل أساسي، لا تميّز المواضيع إلا انطلاقا من خصائصها. وجهة النظر هذه مقدمة بوضوح ومتبناة من طرف كواين Quine، وهي تقوم بإلغاء الألفاظ الفردية من لغتها المثالية. وتتعارض وجهة النظر هذه مع تلك الخاصة بفلاسفة الفردية، مثل شارل ساندرس بيرسPeirce، بيتر ستراوسن Strawson أو غاريث إيفانسEvans. فبحسبهم، فإن فردانية المواضيع هي بمثابة معطى أساسي بالنسبة لتجربتنا وبالنسبة لتمثلنا للكون. فعندما نقوم بتمثل الكون، فإننا نقوم بالإحالة، لغويا أو ذهنيا، إلى مواضيع [أو أشياء] فردية، نُنسب لها خصائص. ففكرنا يرتبط بالمواضيع والأشياء بنفس الدرجة التي يرتبط فيها بخصائصها: وليس متوجها بالكامل نحو الخصائص، كما هو الحال عليه من منظور النزعة الوصفية حيث لا وجود إلا لقضايا عامة. ومن أجل أن نقدم حسابا أصليا لعلاقتنا مع المواضيع، دون أن نخفيها، علينا إذن أن نتخلى عن النزعة الوصفية.

3 - المعرفة المباشرة والمعرفة من خلال الوصف

إن البديل للنزعة الوصفية هي نظرية الإحالة المباشرة. القول إن الإحالة هي إحالة مباشرة، معناه القول إن المواضيع التي نتمثلها عندما نتمثل الكون معطاة لنا مباشرة في إطار التجربة. والقول بذلك، معناه رفض فكرة أن تمثل الواقع منفصل بشكل ما عن الواقع في حد ذاته وأن تمثله يكون بفضل "تقابل" أو "تطابق" من نظام كيفي. سنشير بعكس ذلك إلى أن التمثلات (اللغوية والذهنية) هي جزء من الواقع: فما يسمح بالإحالة إلى المواضيع، هو بالتحديد كون أن المواضيع والتمثلات المتعلقة بالمواضيع تقيمان علاقات في الواقع. ومن ثمة أرى هذه الطاولة أمامي: يتعلق إدراكي بهذه الطاولة، بفضل علاقة فعلية تتأسس، داخل الإدراك، ما بين الطاولة التي تواجه بصري و[عملية] تمثل هذه الطاولة الذي ينتج عن معالجة دماغي للمثيرات البصرية التي يحدثها هذا التمثل. وما يحدد الإحالة، ليست هي الطريقة التي يتم بها تمثل المرجع؛ ولكن في الحقيقة طبيعة العلاقات ما بين التمثل وما يمثله. ولْنفكر في التصوير الفوتوغرافي: فصورة مارغريت تاتشر هي صورة ترمز لها ليس لأنها تشبهها، ولكن لأن مارغريت تاتشر هي منبع السيرورة السببية التي تكون فيها الصورة هي النتيجة. الصورة هي صورة تاتشر إذا كانت تاتشر هي التي أثرت في الفيلم الفتوغرافي، حتى وإن كنا لا نتعرّف عليها في الصورة. إذا كان الأمر يتعلق بشخص آخر، فإنه، وحتى وإن كان هذا الشخص الآخر يشبه تاتشر وكأنه أشبه من الماء بالماء (في الصورة على الأقل)، فإن الصورة ليست صورة لتاتشر، ولكنها لهذا الشخص الآخر.

عندما نستعمل اسم إشارة مثل "هذا الرجل"، فإننا نوجد غالبا في علاقة إدراكية مع الرجل المقصود. هذه العلاقة مصيرية وهي التي تحدد الإحالة، في مثل هذه الحالات. حتى نفهم ما نقوله عند قولنا "هذا الرجل جاسوس"، فإن مستمعا ما عليه أن يتعرّف على الرجل الذي نتحدث عنه، ومن أجل أن يتعرّف عليه يتوجب عليه أن يوجد معه في علاقة إدراكية ملائمة. لا يكفينا أن نفهم بأن المتكلم يحيل إلى رجل يوجد في الاتجاه

المشار إليه من خلال حركته: بل يتوجب، وبمساعدة هذه الحركة، أن يركّز اهتمامه على الجهة المقصودة والتعرف على الرجل. وفي السياق نفسه، يعطي إيفانس مثال اسم الإشارة، "هذا الطائر"، المستعمل من طرف شخص ما من أجل إثارة ذكرى طائر رآه كل من المتكلم ومستمعه في يوم من الأيام وأثر فيهما تأثيرا كبيرا. لو قال المتكلم "لعل هذا الطائر من الطيور المهاجرة"، فإن المخاطب لا يفهم ما يقوله إذا لم يتعرف على الطائر انطلاقا من فعل حقيقي للتذكر، وهو الفعل الذي لا يكون ممكننا إلا لأنه، ومثله في ذلك مثل المتكلم، يكون المخاطب قد رأى الطائر في الماضي واحتفظ بذكراه. فقط عندما يتذكر المستمع فعليا الطائر ويمكنه أن يقول "آه نعم، هذا الطائر..." يكون قد وصل إلى الإحالة المتعلقة باسم الإشارة (أو بشكل أكثر دقة، يكون قد وصل لهذه الإحالة بالطريقة المطلوبة من أجل أن يفهم ما يقوله المتكلم). ومادام أنه لا يتذكر فعليا، فإنه لن يفهم فعل الإحالة الخاص بالمتكلم، حتى وإن قدم له المتكلم وصفا كاملا للطائر، وحدد له زمن لقائهما السابق به، إلخ. وتبيّن هذه الأمثلة أن المعرفة المباشرة للمواضيع [والأشياء] التي تقتضي استعمال أسماء الإشارة لا يمكن اختزالها عن المعرفة من "خلال الوصف".

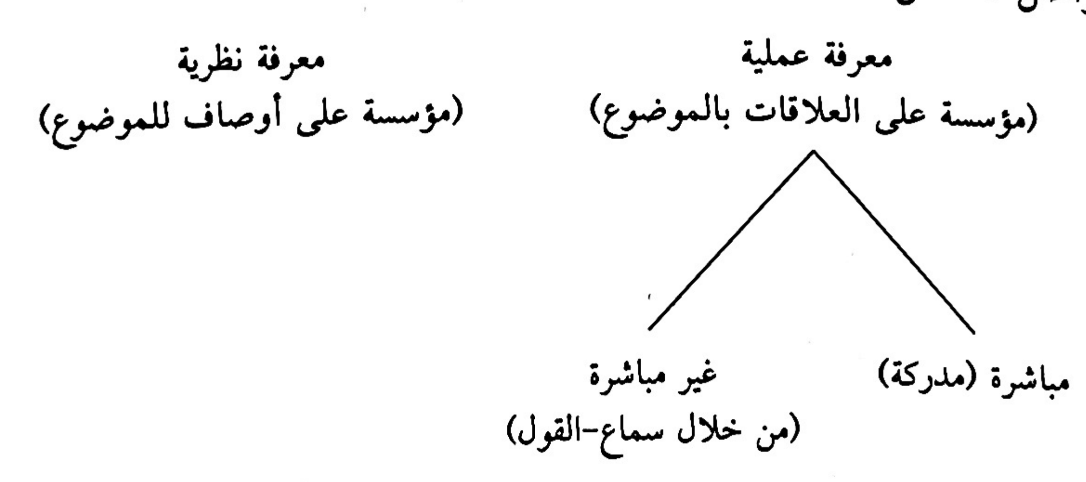
التمييز ما بين نموذجي المعرفة السابقين (*knowledge by acquaintance* و knowledge by description) يعود إلى راسل Russel، وهو يناظر التمييز ما بين نموذجي القضايا: القضايا الفردية والقضايا العامة. هناك أشياء لا أعرفها إلا بطريقة نظرية، "من خلال الوصف". وعليه، أعرف أنه كان هناك عالم نفس ماورائي parapsychologue ضمن فريق كاربوف خلال مسابقة لعبة الشطرنج التي واجه فيها كاسباروف عندما أصبح هذا الأخير بطلا للعالم في الشطرنج. الشيء الذي يسمح لي بالتفكير في الشخص المعني هنا، هو واقع أني أمتلك وصفا دقيقا بما فيه الكفاية عن هذا الشخص - أعرف أنه عالم نفس ماورائي روسي كان ضمن فريق كاربوف في بطولة العالم للشطرنج التي فاز بها كاسباروف. ولست في حاجة إلى أن أذهب إلى أبعد من هذا المحتوى الوصفي وأن أتعرف على هذا الشخص المعني من أجل أن أفهم وصفا من مثل "عالم النفس الماورائي الذي كان ضمن فريق كاربوف في

المسابقة التي واجه فيها كاسباروف". بحسب راسل، فإن قولا يتضمن مثل هذا الوصف يعبّر عن قضية عامة بشأن كل من يمتلك الخاصية (الفردية) التي يكون بمقتضاها عالم نفس ماورائي ويكون قد رافق كاربوف في المسابقة التي واجه فيها كاسباروف. وفي المقابل، ما يسمح لي في التفكير في المواضيع التي أمتلك بشأنها معرفة مباشرة، ليس واقع أني أمتلك وصفا خاصا بهذه المواضيع، مهما كانت مفصلة، ولكن واقع أني أقيم معها علاقات. يمكنني أن أرى شيئا غريبا، وأكون عاجزا عن وصفه، واقع أني أرى هذا الشيء يسمح لي بتكوين أفكار بشأنه وأن أقول لنفسي، على سبيل المثال: "هذا الشيء غريب حقا." يعبّر هذا القول على قضية فردية، تتعلق بالموضوع الخاص الذي أتواجد معه في علاقة.

4 - الترسيخ العلائقي للإحالة

كان راسل يحصر المعرفة المباشرة في تلك التي نمتلكها عن أنفسنا وفي المواضيع المرتبطة باللحظة المباشرة الخاصة بتجربتنا الحسية ؛ وكان لديه تصور جد محدود لما يهم بوصفه "موضوعا مباشرا" للتجربة الحسية. وحتى وإن تبنينا، مثل الفلاسفة المعاصرين الذين رفضوا بشأن هذه النقطة أفكار راسل، تصورا أكثر عطاءً بخصوص المواضيع المباشرة للتجربة، فعلينا الإقرار أنه غالبا ما نفكر في أشياء أو في أشخاص نكون عاجزين عن تقديم وصف لهم، أو على الأقل على وصفهم بطريقة "فردية"، ولكن الذين ليس لدينا بشأنهم فضلا عن ذلك أي تجربة حسية مهما كانت طبيعة نظامها. لم يسبق لي أن رأيت كاربوف (حتى في التلفاز)، سمعت فقط كلاماً عنه ؛ ويحدث أني أعرف عنه ما يكفي من أجل وصفه، ولكن هناك أشخاص آخرون سمعت فقط كلاما عنهم والذي، زيادة على ذلك، لا أعرف عنهم الشيء الكثير، غير أن ذلك لا يمنعني من أن تكون لي أفكار تتعلق بهم. وما يجعل تفكيري ممكنا في ما يتعلق بشخصيتهم هو واقع أنه، وحتى وإن كنت لا أعرفهم معرفة مباشرة، هناك بالرغم من ذلك نوع من السلسلة السببية تربطني بهم بواسطة أشخاص، يعرفونهم وتحدثوا عنهم إلى الآخرين، مثلي، لا يعرفونهم ولكن الذين يوجدون هكذا، بطريقة غير مباشرة، في علاقة معهم.

يفرض وجود مثل هذه الحالات أنه، من أجل التفكير في موضوع، يجب إما أن نكون قادرين على أن نتمثل وصفيا هذا الموضوع، وإما أن نكون في علاقة، مباشرة أو غير مباشرة، مع الموضوع. إننا نوجد في علاقة مباشرة مع المواضيع التي ندركها (أو التي نتذكرها)، وفي علاقة غير مباشرة مع مواضيع نُقل لنا بشأنها معلومات لها مصدرها الأصلي في المعرفة المباشرة للموضوع من خلال أشخاص آخرين من غيرنا نحن. التمييز الملائم ليس هو إذن ذلك الموجود ما بين المعرفة المباشرة والمعرفة من خلال الوصف، ولكنه التمييز ما بين هذه الأخيرة، التي يمكن أن نعيد تسميتها بـ " معرفة نظرية"، ومعرفة "عملية" مؤسسة على العلاقات نحو الموضوع، سواء كانت هذه العلاقات مباشرة، أو غير مباشرة، كما هو الشأن عليه في التواصل (الشكل 2).



شكل 2. معرفة عملية ومعرفة نظرية

التمييز ما بين نموذجي ألمعرفة "العملية"، مؤسس على علاقات، تقابل القسمين الكبيرين للألفاظ المفردة المالكة لخاصية الصرامة: المشيرات (من خلال تضمين أسماء الإشارة في هذه المقولة) وأسماء الأعلام. لنأخذ بعين الاعتبار إذن هاتين المقولتين الواحدة تلو الأخرى.

الشيء الأول الذي يجب أن نسجله بشأن المشيرات وهو أن (ومثلما رأينا ذلك بشأن أسماء الإشارة) فهم إحدى المشيرات يتطلب التعرف على مرجعها. ومن أجل فهم القول التالي "سأكون هنا غدا"، لا يكفي أن نفهم المحتوى الوصفي الذي يحمله هذا القول - المتمثل في واقع أن الشخص

الذي يتلفظ بهذه الجملة سيتواجد في مكان التلفظ في اليوم الموالي لفعل التلفظ. يجب التعرف على الشخص الذي يتلفظ بالجملة، وكذا على مكان وزمان ذلك التلفظ. ذلك أن المشيرات، كما أشار إلى ذلك بيرس، تجبر مستعملي اللغة على أن يأخذوا بعين الاعتبار السياق غير اللغوي وأن يذهبوا إلى أبعد من المحتوى الوصفي للكلمات نفسها. إذ يصلح المحتوى الوصفي للمشيرات فقط بإرشاد المؤوّل بتوجيهه نحو الجوانب الملائمة للسياق غير اللغوي. وبالنظر إلى ذلك، فإن المحتوى الوصفي لمشير من المشيرات مثل "أنا" أو "هنا" ترمز إلى العلاقات التي تقيمها الإحالة الخاصة بالمشير، في إطار السياق، مع مختلف جوانب وضعية التلفظ. وبالتالي فإن الإحالة المتعلقة ب "أنا" تتمثل في المتكلم؛ إحالة مواطن الذكر الخاصة ب "هنا" هي (أو تشمل) مكان التلفظ؛ إحالة اسم الإشارة هي الموضوع الذي يشير إلى المتكلم؛ إلخ. ومثله مثل المتكلم، فإن المستمع يوجد في وضعية التلفظ، ومن ثمة فإن له معرفة مباشرة، مدركة، عن هذه الوضعية: ويمكنه بذلك أن يتعرف على المرجع بناءً على الإشارات التي يحملها المشير.

الشيء الذي يحدد الإحالة الخاصة بالمشيرات، هي العلاقات التي يقيمها المرجع، في سياق التلفظ، مع عناصر أخرى من وضعية التلفظ. وما يحدد الإحالة الخاصة بأسماء الأعلام، هي أيضا العلاقات ما بين المرجع (الحامل لاسم العلم) والتلفظ، ولكن هذه العلاقات ليست، في حالة أسماء الأعلام، داخلية بالنسبة لوضعية التلفظ. بل على العكس من ذلك، إنها بشكل نموذجي علاقات ذات مسافة طويلة، تتجاوز إلى حد بعيد وضعية التلفظ وتعمل على تدخل وضعيات عديدة للتلفظ. بحسب كريبكي Kripke، الذي تم استباق آرائه حول هذه النقطة من طرف غيش Geach[1]، فإن العلاقة ما بين موطن الذكر الخاصة باسم علم ومرجعه تتم عبر وساطة سلسلة سببية معقدة تتمثل حلقتها الأولى في "التسمية الأولية" التي تشهد إدراج اسم علم بحضور حامله. وبين هذه التسمية الأولية وبين استعمال الاسم في سياق ما، هناك سلسلة من الاستعمالات يُنقل من خلالها الاسم. ونحصل على اسم علم بفضل الاستعمالات التي يقوم بها الآخرون لهذا الاسم، ولكن هؤلاء أنفسهم تلقفوا الاسم انطلاقا من الاستعمال الذي

خضع له من طرف أشخاص آخرين أيضا. وبهذه الطريقة، فإن استعمالي لاسم العلم في سياق التلفظ الراهن يرتبط باستعمالات الاسم في الوضعيات الأولية أين كان مستعملو الاسم يوجدون في علاقة مباشرة مع الموضوع المسمّى. ومن خلال هذه السلسلة من التواصل، فإن استعمالي الراهن للاسم يكون مرتبطا، حتى وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة، بالموضوع المسمّى؛ وهذه هي العلاقة التي تحدد الإحالة، بحسب النظرية السببية الخاصة بأسماء الأعلام التي دافع عنها كريبكي. عندما أتكلم عن أرسطو، فإني أحيل إلى أرسطو ليس من منطلق تمثلي له (لأن تمثلي قد يكون خاطئا أو شديد العمومية) ولكن من منطلق أن استعمالي للاسم مرتبط تاريخيا، من خلال سلسلة سببية، بالشخص أرسطو.

يمكننا أن نتحدث عن الإحالة المباشرة حتى عندما تكون العلاقات بالموضوع "غير مباشرة" وتتم بوساطة سلسلة من التواصل، لأن فكرة الإحالة المباشرة كما أدخلتها في الفصل الثاني مرتبطة بتلك المتعلقة بالقضية الفردية. عندما يستعمل وصف ما، فإن المحتوى الوصفي للوصف يشكل جزءاً لا يتجزأ من شروط الصدق الخاصة بالقول، الذي يعبّر إذن عن قضية عامة تتعلق بخصائص. ليس من الضروري أن نذهب إلى أبعد من هذا المحتوى الوصفي وأن نقوم بالتعرف على المرجع، من منطلق أن المحتوى المعبَّر عنه عام ويتعلق بكل شخص يستجيب للشروط المعلن عنها في الوصف. عندما يكون اسم علم مستعملا، فإنه في المقابل، يكون موضوعا خاصا مقصودا وتستلزم شروط الصدق الخاصة بالقول هذا الموضوع - ومن هنا تأتي صرامة أسماء الأعلام. من أجل فهم القول، يجب على المستمع أن يوجد هو نفسه، مع هذا الموضوع، في علاقة ملائمة تسمح له بأن يتمثله بطريقة غير وصفية. وهذه العلاقة ليست في حاجة لأن تكون علاقة مدركة: يكفي أن يكون المستمع قد سمع هو نفسه الكلام عن المرجع وأن يمتلك اسم العلم ضمن قائمة الأسماء المتوافرة لديه من أجل أن يكون في سياق العلاقة التواصلية الملائمة مع حامل الاسم.

5 - الإحالة والوصف

نصل إلى تصور ثنائي للإحالة. هناك من جهة الإحالة الوصفية، المؤسسة على معارف نظرية، ومن جهة أخرى الإحالة المباشرة، المؤسسة على علاقات بالموضوع. خطأ النزعة الوصفية تمثل في القيام بالتعميم على الألفاظ الفردية التحليل الذي يتلاءم فقط مع الأوصاف المحددة.

يُطرح السؤال، في هذه النقطة، من أجل معرفة إذا ما كان بإمكاننا تعميم، في الاتجاه الآخر، المقاربة العلائقية ومعالجة في هذا الإطار حتى الأوصاف المحددة. يبدو هذا التعميم طبيعيا عندما يكون وصف ما "غير مكتمل"، مثلما هو عليه الوصف [المتعلق] بـ "الطاولة". في هذه الحالة يمكننا، حقيقة، أن نحتج بالقول أن ما يسمح بتحديد الإحالة ليس هو المحتوى الوصفي الإضافي المقدّم من طرف السياق، ولكن بالأحرى كون أن المتخاطبين يوجدون في علاقة ملائمة بالنسبة لطاولة معطاة أثناء وضعية التلفظ. التمثيل ما بين الأوصاف غير المكتملة وضمائر الغائب المذكرة والمؤنثة "هو" أو "هي" يمكن، وفق هذا المنظور، أن يحتفظ به: ويمكننا أن نعتبر في الحالتين أن الإحالة محددة بعلاقات سياقية، من منطلق أن الاختلاف مع المشيرات يكمن في كون أن العلاقات الملائمة لا يتم الترميز لها في الدلالة اللغوية للتعبير.

ذلك أنه من أجل تقديم حساب عن الأوصاف "الكاملة" فإن المنوال العلائقي يبدو غير ملائم. ويمكننا أن نذكر بصعوبة أن وصفا محددا يقوم بالإحالة إلى الموضوع الذي يستجيب للشروط المعلن عنها من طرف الوصف. ويمكننا أن نعتبر بالرغم من ذلك أن وضعية الأوصاف المحددة هي قابلة للمقارنة مع التصوير الفوتوغرافي. سبق أن رأينا، بشأن التصوير الفوتوغرافي، أنه يجب تمييز نموذجان من الشروط: الشروط التي يجب على موضوع أن يستوفيها ليكون مطابقا للطريقة التي تمثل بها الصورة مرجعها، والشروط التي يجب على موضوع أن يستجيب لها لكي يكون هو المرجع. شروط المطابقة هي، في حالة الصورة، مسألة تتعلق بالتشابه: كل من يشبه الشخص الذي يظهر على الصورة (مثلما تبينه الصورة) يستوفي

شروط المطابقة، ولكن من أجل أن يكون هو المرجع، فإنه ليس لا ضروريا ولا كافيا أن يستوفي هذه الشروط المتعلقة بالمطابقة: يجب أن نكون في منطلق السيرورة السببية التي تنتج عنها الصورة. وبالتالي فإن شرط الإحالة هو إذن شرط علائقي: لكي تكون الشخص الذي تمثله الصورة، يجب أن تكون ذلك أو تلك التي أثارت شريط الفيلم الفوتوغرافي. والحال أنه لدينا تمييز مكافئ مع الأوصاف المحددة. يعطي دونيلان Donnellan، في مقاله المشهور" الإحالة والأوصاف المحددة"، أمثلة من قبيل ما سيأتي. في سهرة ما، أثير انتباه الشخص الذي أخاطبه بشأن شخص معيّن وأقول: "الرجل الضخم الذي يشرب كأسا من شراب مارتيني هو فيلسوف مشهور." من الواضح أني أحيل إلى شخص معيّن، معرّف بطريقة إدراكية في هذه الوضعية، والذي أفترض أنه يمتلك جملة من الخصائص (جنس مذكر، بنية قوية، يشرب مارتيني). ولكن قد أكون مخطئا وأن، يكون على سبيل المثال، محتوى كأسه من شراب خمر التفاح وليس من شراب مارتيني. هذا الخطأ لا يمنع من أني أحيل إلى هذا الشخص، حتى وإن كان هناك، في مكان ما في القاعة وعلى الرغم مني ومن الشخص الذي أخاطبه رجلا ضخما آخر يكون هو يشرب، فعلا، كأسا من شراب مارتيني. لنتخيل أن هذا الشخص الآخر يكون مخفيا خلف ستار. هذا الشخص مطابق للوصف " الرجل الضخم الذي يشرب كأسا من شراب مارتيني" : إنه "يطابق" الوصف. ولكنه ليس هو الذي يحيل إليه المتكلم. يحيل المتكلم إلى الشخص الذي يشير إليه بنظره، حتى وإن كان هذا الشخص لا يستجيب للشروط المعلن عنها من خلال الوصف. هنا إذن، وكما هو الشأن بالنسبة للصورة الفوتوغرافية، يمكن أن نميّز شروط المطابقة وشروط الإحالة. شروط المطابقة هي وصفية، ولكن شروط الإحالة، هي علائقية، في هذه الحالة كما في الحالات الأخرى.

بناءً على هذا النوع من الاعتبارات، يُدرج دونيلان تمييزاً ما بين "دلالة المطابقة" و"الإحالة". يعيّن الوصف الموضوع الذي يستوفي الشروط المعلن عنها من خلال الوصف - إن كان هناك موضوع مماثل. الوصف القائل "الرجل الضخم الذي يشرب كأسا من شراب مارتيني" تعيّن إذن

شارب مارتيني المتواري خلف الستار. والشيء نفسه، الوصف "الرئيس المقبل للولايات المتحدة الأمريكية" يعيّن كل من يخلف جورج بوش الابن (الذي يشرع، في اللحظة التي أكتب فيها، ولايته الرئاسية الثانية). إذا كان هناك شخص ما يتوقع اليوم أن "الرئيس المقبل للولايات المتحدة الأمريكية سيكون ديمقراطيا"، فإنه لن يحيل لأي شخص محدد بواسطة الوصف "الرئيس المقبل للولايات المتحدة الأمريكية" ولكنه يكتفي بإعلان قضية عامة تتعلق بالمستفيد المقبل بمنصب الرئاسة، بصرف النظر عن هويته. يستعمل المتكلم في الغالب، فضلا عن ذلك، وصفا من أجل القيام بالإحالة إلى شخص بعينه، يفترض أنه يستوفي الشروط المعلن عنها من خلال الوصف. إذا تبيّن أن هذا الافتراض خاطئ وأن المرجع (كما في حالة شارب خمر التفاح) لا يستجيب للشروط الوصفية، فإن المتكلم سيعدّل وصفه بطريقة تجعل منه ملائما [للسياق]. في الحالات التي تكون من هذا النوع لدينا ما يسميه دونيلان استعمال مرجعي لوصف ما: المتكلم لا يودّ تبليغ قضية عامة بشأن الموضوع، مهما كان هذا الموضوع، الذي يستجيب للشروط الوصفية، ولكنه يسعى لتبليغ قضية فردية بشأن موضوع خاص، ويجعل من [فعل] الوصف استعمالا أداتيا: فالوصف يفترض منه أن يساعد المستمع على التعرف على الموضوع المقصود. وحتى وإن تبين أن الوصف ملائم، وبالتالي إذا كان المرجع المقصود من طرف المتكلم يكون قد تعيّن من خلال الوصف، فإن هناك اختلاف ما بين الاستعمال المرجعي [أو الإحالي]، أين يتم التعبير عن قضية فردية، والاستعمال الذي يسميه دونيلان "إسنادي"، ويتميز بخاصية أن القضية المعبّر عنها هي قضية عامة. يتضح إذن أن النموذج الوصفاني ملائم فقط للاستعمال الاسنادي لعمليات الوصف، أي في الحالات التي لا يكون فيها حقيقة "إحالة"، (بالمعنى الذي يقصده دونيلان) ولكن فقط "دلالة مطابقة". هناك حيث يكون وجود لإحالة أصلية، فإن ما يحدد الإحالة هو من طبيعة علائقية بشكل أساسي.

الفصل التاسع

هل الإحالة المباشرة قابلة للذوبان في النزعة الوصفية؟



1 - الإدخال الخارجي للعوامل العلائقية

تحدثت كثيرا عن سلبيات النزعة الوصفية وعن حالات الاعتراض التي تثيرها؛ يكمن الاعتراض الأول في عدم قدرتها على تقديم حساب لنا في ما يتعلق بالتمثل الخاص بما هو فردي. رأينا أيضا، بالرغم من ذلك، أن النزعة الوصفية تمتلك ايجابيات: إنها تسمح بتقديم حساب عن الأقوال الوجودية وأقوال الهوية. ولكن هناك موقف توافقي متوفر، يحافظ على الفكرة - القوية للنزعة الوصفية مع الأخذ بعين الاعتبار الاعتراضات والحدوس المضادة - تلك التي تثيرها المقاربة العلائقية.

لنلاحظ في البداية أنه يمكن أن نقبل، من وجهة نظر النزعة الوصفية، أهمية العوامل العلائقية في تحديد الإحالة، بشرط أن ندمج هذه العوامل في المحتوى الوصفي. المحتوى الوصفي للفظ مفرد هو مجموعة الشروط التي يجب أن يستوفيها موضوع ما من أجل أن يحصل على مكانة المرجع. نجد من بين هذه الشروط، أن بعضها يمكن أن يكون "علائقي". ومما لاشك فيه، في ما يتعلق بالمشيرات، هو أنها تمتلك محتوى وصفي، وأن هذا المحتوى من طبيعة علائقية: تحيل دلالة "أنا" إلى العلاقة ما بين موطن الذكر الخاص بـ "أنا" والشخص الذي ينطق موطن الذكر، دلالة "هنا" لها علاقة ما بين موطن الذكر لهذه الكلمة والمكان الذي جرى النطق فيه بهذا

الموطن من الذكر، إلخ. وكما سبق أن رأينا ذلك، فإن النزعة الوصفية تسند أيضا إلى أسماء الإشارة لمحتوى وصفي علائقي: [بقولي] "هذا الرجل"، أكون قد قلت، أنه يعني شيئا مثل "الرجل الذي يوجد في الموقع المشار إليه من طرف المتكلم". إذا أردنا أن نأخذ في الحسبان فكرة أن المرجع يجب أن يتم التعرف عليه في السياق وأن يكون موضوعا لاهتمام مشترك من طرف المتخاطبين، يمكننا أن نثري المحتوى الوصفي لأسماء الإشارة من خلال إدراج داخل المحتوى هذا الشرط العلائقي الإضافي.

من السهولة توسيع هذا النموذج من التحليل إلى ضمائر الغائب وإلى الأوصاف غير الكاملة، من خلال الاعتراف أن ما يسمح بتحديد الإحالة هو مزيد من المحتوى الوصفي الذي يحمله السياق، المتمثل في شرط إضافي يتعلق بالعلاقات التي يقيمها المتخاطبون في وضعية التلفظ مع الموضوع المقصود. إن النزعة الوصفية تقبل، كما رأينا ذلك، أن يكون بإمكان السياق أن يثري أو يتمم هذا المحتوى الصريح لوصف ما.

يمكننا القول أيضا في مثال دونيلان أن نظرة المتكلم أو حركته تضيفان مكوّنا للمحتوى الوصفي للتعبير: فالمتكلم يحيل إلى الشخص الذي يشير إليه بنظرته إلى من يخاطبه. والمحتوى الوصفي الذي ينقله الوصف في هذا السياق، يمكن إذن أن يتم التصريح به بواسطة تعبير مثل: "الرجل الضخم الذي نراه هناك والذي يشرب كأسا من المارتيني[1]". إذا أثرينا الوصف هكذا، فإنه يتوقف عن تعيين الشخص المتواجد خلف الستار. بالتأكيد، أنه لن يعيّن أيضا [الشخص] الذي يشرب خمر التفاح: فكون الوصف مصوغاً بهذا الشكل، فإنه لا يعيّن شيئا، بناءً على أن الشخص الذي ينظر إليه المتكلم لا يشرب كأسا من المارتيني. ويبدو هذا الاستنتاج مقبولا بشكل كامل، من منطلق أن المتكلم يرتكب خطأ ولن يتأخر في تعديل الوصف، إذا ما تنبه إلى خطئه. (يمكننا بالتأكيد أن نتمسك بالقول الذي يذهب إلى أن المتكلم يحيل إلى الشخص الذي يصوّب نظره نحوه، بالمعنى الذي يقصد فيه تبليغ شيء ما يتعلق بهذا الشخص؛ ولكن هذا المعنى الخاص بالإحالة ليس هو الذي نقصده في سياق النقاش الذي تواجه فيه النزعة الوصفية نظرية الإحالة المباشرة، والمتمثل في "الإحالة الدلالية" للتعبير المستعمل).

2 - مساعدة علم الدلالة ثنائي الأبعاد للنزعة الوصفية

يبقى الاعتراض الأكبر الذي تثيره النزعة الوصفية: الاعتراض المتعلق بالفردية. انطلاقا من دعم النزعة الوصفية لعملنا القائم على الإحالة دائما إلى المواضيع من خلال الخصائص التي هي خصائصها، فإنها تحرم نفسها من وسائل تمثيل الفردية. ذلك أن القضايا، التي تتعلق بالخصائص، هي وحدها التي يتم التعبير عنها. ومن ثمة فإنه، بحسب راسل، القول "ملك فرنسا أصلع" يعبّر عن القضية العامة التالية: هناك شخص ذكر x مثل (i) x يحكم فرنسا، (ii) كل شخص ذكر يحكم فرنسا ومطابق لـ x، و(ii) x أصلع. وبعبارة أخرى، يذهب هذا القول إلى أن خاصية أن يكون ملكا لفرنسا مؤكد عليها، وأن ماصدقها يشمل شخصا واحدا وهي متضمنة في ماصدق أن يكون أصلع. وبصرف النظر عن ما نراه بشأن هذا التحليل للأقوال المشتملة على وصف محدد، فإن تعميمها على كل الألفاظ الفردية ينتج عنها إخفاء الفردية: إننا لا نتمثل أبدا المواضيع الخاصة بوصفها كذلك، ولكن دائما على أنها حاملة للخصائص؛ ولا نعبّر أبدا عن قضايا فردية، ولكن نعبّر دائما عن قضايا عامة.

يمكن للنزعة الوصفية، أن تسعى إلى تقديم، بشأن هذا الاعتراض، إجابة مؤسسة على حالة المشيرات. فعلا فإن مما لا شك فيه أن المشيرات تمتلك محتوى وصفي. تعني "أنا"، على سبيل المثال، شيئا ما مثل "الشخص الذي يتكلم". ولكن هذا المحتوى الوصفي لا يمنع المشير "أنا" أن يكون تعبيراً ذا إحالة مباشرة، يصلح للتعبير عن "قضايا مفردة" تتعلق بمرجع المشير[2]، (هناك من وجهة النظر هذه اختلاف ما بين "أنا" والوصف "ذلك الذي يكلّمك"، الذي ليس معادلا له تماما). بتوجب إذن أن نوضّح قبل كل شيء خاصية المشيرات التي تسمح لهم بالتعبير عن الفردية بالرغم من محتواها الوصفي، بغرض تعميمها [لاحقا] على كل الحالات الملائمة، أي على كل تلك الحالات التي تثير بشأنها النزعة الوصفية الاعتراض الخاص بالفردية.

في حالة "أنا"، فإن المحتوى الوصفي للمشير يملك وظيفة أداتية

خالصة: إنه يسمح بالتعرف سياقيا على المرجع، ويشكل إذن "شرط الإحالة" للمشير، ولكن هذا الشرط لا يشكل جزءاً من "شروط الصدق" للقول المشتمل على المشير. إذا قلت "أنا فرنسي"، فإن ما أقوله صادق إذا وفقط إذا كنت فرنسيا؛ وواقع أني بصدد التحدث لا يدخل في شروط صدق القول- فقط جنسيتي هي الملائمة. الخاصية المميِّزة لتعبير يحيل مباشرة هو بدقة واقع أن المرجع، وليس شرط الإحالة، هو الذي يشكل جزءاً من شروط الصدق الخاصة بالقول أو التعبير الذي يشكل وجها مجازيا. وبذلك فإن الأقوال "أنا فرنسي" (المعلن عنه من طرفي) أو "أنت فرنسي" (الموجّه إليّ) أو "إنه فرنسي" (المعلن عنه من خلال الإشارة إلى شخصي) تعبر كلها عن القضية الفردية نفسها، هي صادقة إذا وفقط إذا كان شخص محدد، ممثلا في شخصي، هو فرنسي. الضمائر المختلفة لها محتوى وصفي مختلف، ولكن هذا المحتوى الوصفي له وظيفة أداتية غير ملائمة بالنسبة لشروط الصدق. الشيء الوحيد الذي يهم، من وجهة نظر شروط الصدق، هو أن الضمائر الثلاثة، في السياق الخاص بكل واحد من الضمائر، تحيل إلى الشخص نفسه، الذي أسندت له الخاصية نفسها المتمثلة في كونه فرنسيا. الخاصية الأخرى، تلك التي تسمح بتحديد الإحالة داخل السياق (خاصية أن يكون المتكلم، أو أن يكون المستمع [المخاطب]، أو أن يكون الشخص المشار إليه)، تختفي من اللوحة بعد أن تكون قد أدت وظيفتها الأداتية.

كون أن المشير يملك محتوى وصفيّاً يتم جعله هكذا متوائما مع فكرة الإحالة المباشرة بفضل التميز ما بين مستويين للمعنى، المدرجين في الفصل الثاني: "الخاصية" [أو الصفة] والمحتوى. صفة أو خاصية مشير هي بمثابة محتوى وصفي حيث إن دوره أداتي بشكل خالص: فهو يسمح بتحديد، داخل السياق، الموضوع الذي يحيل إليه؛ ولكن الموضوع نفسه، وليس الخصائص هو الذي يجب أن يستجيب له من أجل أن يحصل على مقام المرجع، الذي هو جزء لا يتجزأ من محتوى"القول"، أي جزء من شروط صدقه. المحتوى المعبّر عنه هو إذن قضية فردية، تتعلق بموضوع خاص، حتى وإن تم التعرّف على هذا الموضوع من خلال خصائص تُفردُه سياقيا.

ويسمح التمييز ما بين مستويي المعنى بالمحافظة على فردية الإحالة حتى وإن كانت شروط الإحالة وصفية. ويكفي اعتمادا على ذلك أن نعمم هذا التمييز على كل الحالات التي نريد أن نقول فيها، حدسيا، إن قضية فردية يتم التعبير عنها، بهدف حماية التحليل المرتبط بالنزعة الوصفية في مواجهة الاعتراض الخاص بالفردية. يمكننا الاحتفاظ ب[الافتراض] القائل إن شروط الإحالة هي دائما وصفية، دون أن يستلزم ذلك أنه يمكننا حقيقة أن نتمثل ما هو فردي. ما يسمح بتمثل الفردي، ليس الخاصية غير الوصفية لشروط الإحالة، ولكن واقع أن شروط الإحالة تتعلق بالمستوى الأول للمعنى ("الخاصية") بينما نجد أن المرجع، ضمن فرديته الكاملة، هو الذي يكون ملائما في المستوى الثاني("المحتوى"). يخبرنا علم الدلالة الثنائي الأبعاد الذي فرض نفسه بالنسبة لمعالجة المشيرات، بواقع أنه من خلال خصائص المواضيع التي تسمح لنا بفردنتها ذهنيا أو لغويا، فإن هذه المواضيع هي نفسها، في إطار كل فردانيتها، هي التي نتمثلها[3].

الخاصية المعجمية للمشيرات (وبشكل أكثر عمومية، الخاصية المعجمية للتعبيرات التي تحيل مباشرة) هي التي لا يلعب محتواها الوصفي سوى دور أداتي على مستوى "الخاصية"[أو الصفة]. الأوصاف المحددة ليس لها هذه الخاصية- فهي غير مُؤشر عليها معجميا بوصفها "تحيل مباشرة" - وبالتالي فليس هناك شيء يأتي لمنع محتواها الوصفي من أجل أن يتواجد على مستوى شروط الصدق الخاصة بالقول. هناك في المقابل دائما إمكانية لاستعمال وصف "إحالي"، أي بمعنى إعطاء بشكل ظرفي لمحتواه الوصفي وظيفة أداتية خالصة: في هذه الحالة أيضا القضية المعبّر عنها هي، كما أشار إلى ذلك دونيلان، قضية فردية وليس قضية عامة.

3 - النزعة الظاهرية

ما الذي نفكر فيه بشأن نظرية النزعة الوصفية المعدّلة بهذا الشكل؟ هل هي مقبولة؟ وهل ما زالت تتميز عن نظرية الإحالة المباشرة؟ أظن أنه قد بقي اختلاف واحد ما بين النظرتين وأن هذا الاختلاف يناضل ضد النزعة

الوصفية. تستلزم النزعة الوصفية أن شروط الإحالة الخاصة بالألفاظ الفردية يجب أن تكون منعكسة دائما في محتواها الوصفي، الأمر الذي يستلزم أن مستعملي اللغة يكونون قادرين على أن يمثلوا لأنفسهم العلاقات التي تحدد الإحالة. والحال أن هذا الأمر غير محتمل إطلاقا. إذ أن ما يحدد الإحالة الخاصة بلفظ ما يمكن أن يكون إلى حد بعيد شيئا ما لا يكون لمستعملي اللغة أنفسهم أبسط فكرة ممكنة عنه. ويعتبر ذلك أمراً بديهيا في حالة الألفاظ العامة، وعليه فقد أشرت، في الفصل السابق، إلى أن الألفاظ العامة تثير صعوبة بالنسبة للنزعة الوصفية. هناك بالتأكيد شروط تحدد ما الذي يحيل إليه لفظ عام - ما هي الخاصية التي يعيّنها - ولكن ليس هناك أي سبب يدعو إلى أخذ هذه الشروط بعين الاعتبار، أياً كانت هذه الشروط، بوصفها تكوّن "معنى" ("الخاصية") اللفظ العام. إذ أن لفظ عام مثل "صرِد" [سريع التأثر بالبرد] يعيّن خاصية أن يكون الشخص صرِداً. بفضل ماذا تعيّن كلمة "صرد" هذه الخاصية؟ يجب أن يكون هناك جواب ما عن هذا السؤال؛ ولكن ليس هناك أي سبب يدعونا إلى التفكير أن شروط الإحالة الخاصة بـ "صرد" تشكل جزءاً من معنى هذه الكلمة، وأنه يجب التحكم فيها من طرف كل شخص يستعمل هذه الكلمة. إنه لمن المرجّح أكثر اعتبار أن معنى "صرد" قد أُستنفذ انطلاقا من كون أن الكلمة تعيّن خاصية أن يكون صردا. وبالتالي فإن الشروط التي تحدد الإحالة الخاصة بـ "صرد" هي، وفق هذا المنظور، الشروط التي تحدد معناها، وشروطها ولا تكوّن مستوى إضافي للمعنى: إنها "ما قبل دلالية" أو "دلالة واصفة".

بالنسبة للمشيرات، فإنه من المسلم به، أن الشرط العلائقي للإحالة يقابل الدلالة اللغوية للمشير، وبالتالي فإنه في مثل هذه الحالة، يجب بكل تأكيد أن يتم تمثله ذهنيا بشكل أو بآخر. ولكن المشيرات هي بمثابة حالة خاصة. ولنأخذ حالة أسماء الأعلام. إذا كنا نفكر، مثل كريبكي، أن الإحالة الخاصة باسم علم تتجلى في سياق معطى ومحدد من خلال السوابق السببية لهذا الاستعمال، وبشكل خاص، من خلال السلسلة التواصلية التي ينتمي إليها هذا الاستعمال، فسنقاوم فكرة أن شروط الإحالة تشكل معنى أو "خاصية" اسم العلم؛ لأن ذلك يستلزم أن كل من يستعمل اسم علم يجب

أن يتمثل بنفسه السوابق السببية الخاصة باستعماله والسلسلة التواصلية التي ينتمي إليها. والحال أنه وحده منظّر الإحالة هو الذي يجب أن يتمثل شروط الإحالة الخاصة بأسماء الأعلام ؛ لأن مستعملي اللغة يكتفون باستعمال أسماء الأعلام، وبالإحالة على ما تعيّنه، دون أن يعرفوا، وإن بطريقة لا شعورية، الشيء الذي يجعل الأسماء التي يستعملونها تعيّن ما تعيّنه[4].

أن تكون الإحالة متوقفة على عوامل خارجية، يكون المستعملون غير واعين بها، هو ذلك ما تبيّنه تجارب الفكر الخاصة ببوتنام وبورج Putnam et Burge التي تدخل "الأرض- التوأم"[5]. والأرض - التوأم هي كوكب شبيه بالأرض حتى في التفاصيل البسيطة، إلى حد أن الماء فيه معوّض بسائل يبدو أنه غير قابل للتمييز عن الماء ولكن تركيبته الكيميائية مختلفة (XYZ عوض H_2O). إنه الاختلاف الوحيد ما بين الكوكبين. وكل إنسان من الأرض له إذن "توأمه" في الأرض - التوأم، يمتلك التمثلات الذهنية نفسها ويقوم بالأشياء نفسها في اللحظة نفسها. الاختلافات الوحيدة ما بين شخص محدد، ولنسميه أوسكار، وتوأمه على الأرض التوأم (أوسكار2) تتعلق بالماء. عندما يستعمل أوسكار كلمة "ماء"، فإنه يحيل إلى الماء، ولكن عندما يستعمل أوسكار 2 كلمة "ماء"، فإنه يشير إلى المادة التي هي، في كوكبه، تلعب الدور نفسه الذي يلعبه الماء في الأرض (أي السائل الذي لا لون له، ولا رائحة ولا طعم الذي يطفئ العطش، ويوجد في البحيرات والأنهار، ويسقط من السماء على شكل مطر، إلخ). وعندما يشرب أوسكار كوبا من الماء، فإن توأمه أوسكار2 لا يشرب كوبا من الماء ولكن كوبا من هذا السائل. ولو أن بعثة من العلماء انتقلت إلى الأرض - التوأم، فإن بعض التحاليل ستكفيهم من أجل الاستنتاج أن ما يشربه سكان هذا الكوب ويسمونه "ماء"، ليس في الواقع ماء، ولكن سائلا يشبه كثيرا الماء. ويبيّن ذلك أن ما تحيل إليه الكلمات لا يتوقف حصريا على التمثلات الذهنية لمستعملي اللغة - التي هي نفسها، من حيث التعريف، عند أوسكار وأوسكار2- ولكن أيضا على المحيط الذي يتواجدان فيه. وهذه "النزعة الظاهرية" externalisme فرضت نفسها هكذا في فلسفة اللغة والذهن، في تعارض مع النزعة الوصفية لفريغه. إذا أن النزعة الوصفية، هي بالفعل،

وبشكل ضروري ذات نزعة باطنية internaliste، وهنا تكمن نقطة ضعفها الوحيدة.

يُدخل ألبير تجربة فكر أخرى من نفس النموذج الخاص ببوتنام، وهو يشتكي من أن لديه التهاب المَفْصِل في الفخذ. وهذا أمر مستحيل بكل تأكيد، من منطلق أن التهاب المفصل يصيب بشكل خاص المفاصل. ولكن لنتخيل، يقول لنا بورج، "أرضا - توأم" حيث يكون كل شيء مشابها فيها للأرض باستثناء أن كلمة "التهاب المفصل"، وبدل أن تشير بشكل حصري إلى مرض خاص بالمفاصل، يكون لديها ماصدقا أوسع يشمل بشكل خاص أمراضا تتعلق بالروماتيزم يمكن أن تصيب العضلات، من نموذج ذلك الذي يعاني منه ألبير فعليا. في الأرض - التوأم، ألبير2، الشبيه في كل النقاط بألبير، يشتكي من أن لديه التهاب المفصل في الفخذ. وبينما أن ما يقوله ألبير كاذب بل ومستحيل، فإن ما يقوله ألبير 2 صادق، لأن كلمة "التهاب المفصل" لا تشير إلى المرض نفسه على الأرض وعلى الأرض - التوأم. بالرغم من أن، ألبير وألبير2 لديهما التمثلات الذهنية نفسها. الاختلاف الوحيد ما بين الأرض والأرض- التوأم في هذه التجربة الجديدة من الفكر تتعلق بما يعنيه الخبراء بـ"التهاب المفصل": ففي الأرض يستعمل الخبراء هذه الكلمة بمعنى أكثر تخصيصا من الاستعمال السائد في الأرض- التوأم. ولكن ألبير وألبير 2 كلاهما ليسا خبيران، وعندما يستعملان كلمة "التهاب المفصل" فإن لديهما في رأسيهما معاً معنى فضفاض إلى حد بعيد عن مرض الروماتيزم. وكون أن أحدهما مصيب والآخر مخطئ يبيّن أن الذي تحيل إليه، في أفواههما، كلمة التهاب المفصل، لا يتوقف فقط على ما لديهما في رأسهما ولكن أيضا على المحيط الذي يتواجدان فيه: تشير الكلمة، من خلال أفواههما، إلى ما تعنيه كل مجموعة لسانية ينتميان إليها بكلمة "التهاب المفصل".

وكما رأينا ذلك، في حالة أسماء الأعلام، فإن العوامل التاريخية والسببية المرتبطة بالاستعمالات السابقة للاسم في سياق المجموعة اللغوية هي التي تحدد الإحالة، وليس التمثلات الذهنية لمستعمليها. إن أسماء

الأعلام تحيل بفضل تاريخها السببي، بطريقة مستقلة إذا جاز لنا قول ذلك. هناك ما يدفعنا إلى تعميم هذه النقطة والحديث عن استقلال دلالي حقيقي للغة. نصل بفضل هذه الاستقلالية، إلى تكوين أفكار تتعلق بأشياء ليست لنا أية تجربة بشأنها: وما يسمح لنا بالتفكير في هذه الأشياء، هو واقع أن اللغة تفتح لنا منفذا يوصلنا إليها من منطلق أن الكلمات نفسها تحيل إليها. وبالتالي فإنه وبدل من أن تكون الإحالة اللغوية متوقفة دائما على التمثلات الذهنية لمستعملي اللغة، فإنه يبدو أن الفكر يتوقف، في حالات كثيرة، على اللغة. يثمّن ديفيد كابلان هذه النقطة بمقارنته للتمثلات الذهنية لكلبه وتلك الخاصة بأحد زملائه، وكلاهما مصاب بعمى الألوان. وبسبب هذه الإصابة، لا يمكن للكلب أن يرى أن كابلان يرتدي قميصا أحمر، فليست له وسيلة أخرى من أجل أن يتمثل هذا الواقع؛ ولكن زميل كابلان المصاب بعمى الألوان، يمكنه أن يتمثل، بفضل اللغة، هذا الواقع وحتى واقع أن أرسطو كان يرتدي قميصا أحمر(6).

الفصل العاشر

الإشاريّة الذهنية

1 - وجهة النظر الفريغية الجديدة

أدى انتقاد النزعة الوصفية في فلسفة اللغة إلى نموذجين من التطور مختلفين إلى حد بعيد، يمكننا أن نصفهما تباعا بـ "معارضي - الفريغية" و"الفريغية - الجديدة". نقطة الانطلاق بالنسبة للتصور المعارض للفريغية هي فكرة أن ما تحيل إليه الكلمة لا يتوقف بدرجة أساسية على ما يمتلكه مستعملو اللغة في رؤوسهم: فالإحالة متوقفة على عوامل خارجية، قد يكون المستعملون غير واعين بها إلى حد بعيد وتأتي لدعم هذه الفكرة تجارب الفكر الخاصة ببوتنام وبورج التي تحدثت عنها في الفصل السابق. إذا أنه في التصور المعارض لفريغه الذي كانت ترتبط به هذه التجارب من الفكر، فإن الكلمات تحيل بفضل العوامل "الخارجية" (التاريخية والسببية)، وليس بفضل "معنى" يمكن أن يكون مرتبطا بها ويكون محدِّدا لإحالتها. ويقودنا هكذا نقد النزعة الوصفية إلى رفض شامل لعلم الدلالة الفريغي، وإلى عودة إلى علم دلالة أكثر بساطة، "يعود إلى راسل"، حيث تكون فيه الكلمات مرتبطة ومشتركة مباشرة مع كيانات (أشخاص، خصائص، علاقات) دون توسط "معنى" ما أو "نمط تقديم" يقابل الطريقة التي يتمثل بها مستعملو اللغة الإحالة الخاصة بالتعبير.

هناك بالرغم من ذلك طريقة أخرى، "فريغية جديدة"، لتأويل نقد النزعة الوصفية. لنسجل في البداية أن فكرة "المعنى"، عند فريغه، مرتبطة بمفهوم "فكر" الذي هو الموضوع الخاص بالمواقف المعرفية (اعتقاد،

شك، إلخ). واحد من المعايير المستعملة من طرف فريغه من أجل فردنة الأفكار هو التالي: إنه ليس ممكنا بالنسبة لذات عاقلة أن تأخذ في اللحظة نفسها مواقف متناقضة (مثل الاعتقاد والشك) بشأن فكرة واحدة تكون هي نفسها[1]. إذا كانت هناك إذن ذات - ولنطلق على صاحبها اسم مارسيل- تعتقد أن بول طبيب عيونoculiste مع شكّها في أن يكون جراح عيونophtalmologiste، فذلك يعني بالنسبة إليها أن "بول طبيب عيون" و"بول جرّاح عيون" تعبّران عن فكرتين مختلفتين. ومن منطلق أن هاتين الجملتان تعبران بالنسبة إليه عن فكرتين متمايزتين، فإن مارسيل لا يتناقض إذا أكد أن بول طبيب عيون مع رفضه الاعتراف أنه جراح عيون. لا يتعلق الأمر بنكران أن كلمتي "طبيب عيون" و"جراح عيون" تحيلان إلى مهنة واحدة هي المهنة نفسها [ممثلة في طب العيون]: فبالتحديد لكونهما يحيلان إلى المهنة نفسها فإن المعتقدين الخاصان بمارسيل ("بول طبيب عيون" و"بول جراح عيون") لا يمكنهما أن يكونا صادقين بشكل متزامن. ولكن لا شيء يمنع مارسيل بأن يكون لديه هذان الاعتقادان بطريقة متزامنة، إذا أعطى معاني مختلفة لكلمتي "طبيب عيون" و"جراح عيون". وبشكل عام فإن، مفهوم المعنى أو "نمط التقديم" هو ضروري من أجل الإخبار عن المواقف المعرفية التي تبدو متناقضة والخاصة بذات عاقلة مثل مارسيل. يجب أن نفترض، في كل مرة تعتقد فيها ذات عاقلة في اللحظة نفسها أن شخصا ما a يمتلك الخاصية f وأنه لا يمتلكها، أنها تتمثل إما الشخص a، وإما الخاصية f، عبر نمطين مختلفين للتقديم عندما تسند إلى a الخاصية f وعندما ترفض أن تسندها إليها.

وإذن فإنه لا يمكننا، بالنسبة لفريغه، أن نتجاوز مفهوم "المعنى" إذا أردنا أن نقدم حسابا عن عقلانية الاعتقادات. وذلك لا يعني أنه كان علينا أن نتقبل أن كلمات اللغة تقوم بالترميز إلى "معانٍ" محددة: إذ يمكن في بعض الحالات، للكلمات أن تحيل دون أن تحدد نمط التقديم، بالشكل الذي يسمح لمستعملين مختلفين للغة (أو للمستعمل نفسه في لحظات مختلفة) أن يشركا معاني مختلفة للكلمة نفسها. وكان فريغه يقبل هذه الفكرة بشأن أسماء الأعلام: فالاسم "أرسطو" يعيّن أرسطو ولكن المعنى الذي

نشركه مع هذا الاسم يمكن أن يختلف من شخص إلى آخر. والشيء نفسه يصدق بالنسبة لأسماء الإشارة. لنتخيل أنه، انطلاقا من نافذة اليسار، أرى مؤخرة سيارة حمراء، وأنه انطلاقا من النافذة اليمنى أرى مقدمة سيارة بيضاء. استنتج بشكل طبيعي أن هناك سيارتين، ويمكنني أن أحيل إلى كل واحدة منهما بواسطة اسم الإشارة المركب "هذه السيارة". كان بإمكاني أن أعتقد أن هذه السيارة [على يساري] هي f، مع تأكيدي أيضا أن هذه السيارة [على يميني] ليست f. إذا بدا في ما بعد أن الأمر يتعلق في الواقع بسيارة واحدة هي السيارة نفسها، ممثلة في سيارة ليموزين طويلة متعددة الألوان، فإن اعتقادي لا يمكن أن يكون صادقا، لكنه ليس متناقضا من منطلق أني أتمثل سيارة الليموزين عبر نمطين مختلفين من التقديم. بيد أن أنماط التقديم المعنية هنا ليس مرموزا لها من خلال اسم الإشارة المركّب "هذه السيارة"، الذي تكون دلالته اللغوية غير متغيرة. كل واحدة من موطن الذكر الخاصة بالتعبير "هذه السيارة" متشاركة مع نمط تقديم خاص يتقابل مع الطريقة التي تبدو بها سيارة الليموزين للمتكلم عندما ينظر إلى اليسار وعندما ينظر إلى اليمين. نمط التقديم ليس مثبّتا هنا بواسطة الجوانب الاتفاقية للغة، ولكن من خلال السياق. والقول بذلك لا يستلزم بأي حال من الأحوال أنه كان علينا رفض علم الدلالة الفريغي، ولكنه يعني فقط أن المعاني الفريغية يجب أن يتم إشراكها مع مواطن ذكر الكلمات (وليس مع الكلمات النموذج).

صحيح أن فريغه كان يمتلك تصورا خاصا بـ"المعنى" يمكن أن نصفه بالقول أنه كان يحمل نزعة وصفية. ولكن رفض النزعة الوصفية لا يستلزم رفضا آليا وشاملا لمفهوم المعنى. فبحسب، الفريغيين الجدد، التخلي عن الثنائية معنى / إحالة باسم رفض النزعة الوصفية، هو بمثابة رمي الرضيع مع ماء الحمام. فنحن بحاجة إلى الثنائية معنى/إحالة لكي نقدم حسابا عن المواقف المعرفية. ونقد النزعة الوصفية يجب أن يقودنا فقط نحو قبول أنماط تقديم غير وصفية. وبذلك، فإنه في المثال المتعلق بسيارة الليموزين، فإن أنماط التقديم المعنية تقوم بإدخال الإدراك. وكما رأينا ذلك سلفا، فإن التمثلات الذهنية التي تتدخل في الإدراك لها إحالتها المحددة اعتمادا على قاعدة علائقية. وإذن تتدخل هنا كذلك، عوامل غير ذهنية في تحديد الإحالة.

ولكن مفهوم المعنى ليس مقصى إلى هذا الحد. نحن بحاجة إلى الثنائية معنى/إحالة لنقدم حسابا عن محتويات الإدراك، تماما مثلما أننا بحاجة إليها لتقديم حساب عن محتويات الاعتقادات أو محتوى الأقوال اللغوية. إذ أن محتوى إدراك ما يعمل على إدخال ليس فقط الموضوع المدرَك، ولكن أيضا الطريقة التي يتم بها إدراكه - "نمط تقديم" الإحالة. والقيام بتوضيح طبيعة أنماط التقديم غير الوصفية التي تدخل في الحسبان عندما تكون الإحالة محددة بطريقة علائقية، هي بمثابة إحدى المهام التي تسندها لنفسها فلسفة الذهن المتأثرة بالفريغية الجديدة.

2 - المنجز التفكيري في اللغة والفكر

إن التمثلات التي نكوّنها، في إدراك المواضيع التي نحن في علاقة مباشرة معها لها إحالتها المحددة وفق قاعدة علائقية. وهذه التمثلات يمكن أن يقال عنها أنها "إشارية" لسببين. هذه التمثلات الذهنية هي من جهة، مُعبّر عنها بشكل نموذجي بواسطة تعبيرات إشارية مثل "هذه السيارة". ومن جهة أخرى، فإن التمثلات الذهنية المعنية تتقاسم مع التعبيرات الإشارية خاصية "المنجز - التفكيري"، الذي صيغ موضوعه من طرف رايشنباخ Reichenbach وبنفنيست Benveniste.

تعني [كلمة] منجز token بالإنجليزية "موطن ذكر" occurrence. هناك "منجز - تفكيري" بداية من اللحظة التي يمكن فيها لإحالة تعبير ما أن تتغير من موطن ذكر إلى آخر وتكون مثبتة من خلال العلاقات التي يجب على المرجع أن يقيمها مع موطن الذكر. ما يحيل إذن، ليس هو التعبير النموذج، ولكن موطن ذكر التعبير في السياق: فموطن ذكر معطى لـ "أنا" يشير إلى الشخص الذي يعلن عن هذا الموطن من الذكر. ولكن التعبير النموذج متشارك اصطلاحيا مع هذا النمط من التحديد للإحالة الذي يستلزم نوعا من العلاقة السياقية ما بين التعبير (المنظور إليه كموطن ذكر) والمرجع: دلالة الكلمة النموذج "أنا"، هي القاعدة التي بموجبها موطن ذكر لهذه الكلمة يشير إلى الشخص الذي يقوم بالإعلان عن هذا الموطن من الذكر. والقول

أن التعبير هو "منجز - تفكيري"، معناه القول إذن أن الدلالة اللغوية تعكس العلاقة التي يجب أن تتأسس في السياق ما بين موطن الذكر (منجز) التعبير ومرجعه.

وخلافا لما كنا نظنه لمدة طويلة، فإن الإشارية ليست خاصية حصرية للتمثلات اللغوية - إذ نجد شيئا مساويا لها من جانب التمثلات الذهنية. عندما يفكر شخص ما (في سياق ملائم) "سيهشم هذا الرجل وجهه"، فإن هذه الفكرة المعنية هنا هي موطن ذكر ذهني، حدث، وتدخل من هذا المنطلق في لعبة علاقات مع مواضيع حاضرة في السياق. زيادة على الشخص x في الحياة الذهنية المتعلقة بذلك الذي يتدخل لديه هذا الحدث المعني هنا، هناك شخص آخر y يكون اهتمام x مثبتا نحوه والذي يرافق تمثله الإدراكي موطن ذكر مفهوم اسم الإشارة "هذا الرجل" في الفكر الخاص ب x؛ هذا الشخص y، الذي يقيم نوعا من العلاقة مع موطن ذكر مفهوم اسم الإشارة، هو مرجعه تحديدا بفضل هذه العلاقة. لنسجّل أن مفهوم اسم الإشارة "هذا الرجل" ليس العنصر الإشاري الوحيد المتواجد في الفكرة " سيهشم هذا الرجل وجهه". فبوصفها حدثا ذهنيا، فإن هذه الفكرة تنبثق في لحظة ما t، والمستقبل القريب في [القول] "سيهشم وجهه" يؤول وكأنه يحيل إلى لحظة t' لاحقة على t ولكن غير بعيدة عنها كثيرا. ومثل مفهوم اسم الإشارة "هذا الرجل"، فإن التمثل الذهني للمستقبل إشاري من منطلق أن إحالته إلى العالم تتم بواسطة علاقة مؤسسة ما بين المرجع وموطن الذكر الخاص بالتمثل الذهني: العلاقة تكمن في أنها لاحقة في لحظة ظهور هذا التمثل.

هناك عنصران مشتركان ما بين الفكر واللغة يجعلان هذا التوسع لمفهوم الإشارية من اللغوي إلى الذهني، أمراً ممكنا. (أ) مثلما أن الجمل مكوّنة من كلمات، فإن الأفكار مكوّنة من مفاهيم، التي هي مثلها مثل الكلمات، تحيل إلى العالم. (ب) الأفكار نفسها، تماما مثل الجمل، يمكن اعتبارها إما "نماذج" مجردة، وإما "مواطن ذكر" محسوسة. فكرة أن شيراك غني هي مثل [فكرة] عامة، يمكن أن تحمل حججا شخصية عديدة. في كل مرة أفكر فيها - أو شخصا ما يفكر- أن شيراك غني، لدينا موطن ذكر جديد

لهذه الفكرة، تماما مثلما أن جملة "شيراك غني"، بوصفها جملة نموذجية، قابلة لحمل أقوال عديدة. ويحدث الشيء نفسه بالنسبة للمفاهيم التي تتشكل منها هذه الفكرة (المفهوم المفرد لشيراك، والمفهوم العام للرجل الغني): وهذه المفاهيم نفسها يمكن اعتبارها كنماذج أو كمواطن ذكر. عندما يحدث ذلك، لماذا لا يمكن لبعض المفاهيم أن تحيل وفق النمط الإشاري - المنجز- التفكيري- على الموضوع الذي يقيم هذه العلاقة أو تلك مع موطن ذكر المفهوم؟ لماذا مثلا، زيادة على الشخص الأول [المتكلم] اللفظي الذي يحيل إلى المتلفظ، لا يكون هناك شخص أول ذهني يحيل إلى ذلك الذي يفكر، أي مفهوما لذاته بحيث يكون مرجعه، من أجل موطن ذكر معطى لهذا المفهوم، هو الشخص في الحياة الذهنية التي يتجلى فيها هذا الموطن من الذكر ("الذات"، كما سأسميها من الآن فصاعدا)؟

لنسجل أنه إذا كانت الإشارية ظاهرة لغوية خالصة، تميز نمط التعبير الخاص بالفكر وليس الفكر في حد ذاته، فإنه إذن الفكر نفسه سيكون مُعبّراً عنه من خلال جملة إشارية ومن خلال الجملة نفسها "المُعيِّنة - الخاضعة للإشارية"، أي المُطهّرة من عناصرها الإشارية (المُعوَّضة بأسماء أو أوصاف). وقد دافعنا لمدة طويلة بالقول أن الحالة هي وفق ما أشرنا إليه، ولكن بإمكاننا أن نشك في ذلك. هل هي الفكرة نفسها التي يتم التعبير عنها بطريقتين مختلفتين، بطريقة صريحة ومستقلة عن السياق في حالة، وإشارية في الحالة الأخرى، عندما أقول على سبيل المثال "أنا مؤلف هذا الكتاب" وعندما أقول "ريكَناتي Recanati هو مؤلف [كتاب] فلسفة اللغة"؟ كل شيء متوقف على الطريقة التي نقوم بها بفردنة الأفكار. إذا قبلنا، مثل غالبية الفلاسفة المعاصرين، بنمط فريغي لفردنة الأفكار، فإننا إذن سنجيب بالسلب. بحسب فريغه، وفق ما رأيناه الآن، هناك فكرتان متمايزتان إذا كان من الممكن عقلانيا أن نقبل واحدة ونرفض الأخرى (في اللحظة نفسها). والحال أنه ممكن بالتأكيد بالنسبة لي أن أفكر ب[القول] "أنا مؤلف هذا الكتاب" حتى إذا، كنت فاقدا للذاكرة، ونسيت من أكون، وإذا كنت لا أعلم أن هذا الكتاب (الكتاب الذي أمسكه بيدي) هو [كتاب] فلسفة اللغة. يمكنني إلى حد بعيد، في مثل هذه الوضعية، دون وجود لحالة من

اللاعقلانية، أن أقبل هذه الفكرة على أنها صادقة مع رفضي للأخرى (فكرة أن "ريكناتي هو مؤلف [كتاب] فلسفة اللغة") بوصفها كاذبة- على سبيل المثال إذا كنت بالرغم من ذلك، من منطلق كوني أجهل أني ريكناتي، قد سمعت بما يكفي الحديث "عنه" لأصل إلى القناعة "أنه" لا يكتب أبدا كتبا، أو إذا كنت أعتقد خطأً أن مؤلف [كتاب] فلسفة اللغة هو بيير جاكوب Pierre Jacob. بشكل عام، ومثلما أكد عليه الرواد في هذا المجال - بشكل خاص آرتور بريور Arthur Prior، هيكتور كاستانيداHector Castaneda وجون بيري John Perry - فإن، "التعيين الإشاري" يترافق دائما مع تغيّر في المحتوى المعرفي، أي مع تعديل على مستوى الفكر نفسه. من هنا يأتي استنتاجهم، الذي أصبح اليوم مقبولا على العموم: فالإشارية تؤثر على الفكر في حد ذاته ولا يمكن أن تُحصر على مستوى التعبير اللغوي للفكر. ويعني ذلك أن هناك، في الفكر ذاته، مكونات إشارية (يمكننا أن نسميها مفاهيم أو أنماطاً للتقديم). وبحسب وجهة النظر هذه، فإنه عندما نستعمل تعبيراً إشاريا من مثل "أنا"، "هنا"، أو "هذه السيارة"، فإننا نعبّر عن مفهوم إشاري، وما يميّز مفهوما كهذا هو واقع أن إحالته محددة انطلاقا من قاعدة علائقية.

3 - المفاهيم الإشارية بوصفها "ملفات"

تمتلك التعبيرات الإشارية للغة، من منطلق كونها نماذج، نوعا من الدلالة اللغوية. وتكمن هذه الدلالة في قاعدة خاصة بالإحالة: القاعدة التي بموجبها تعيّن"أنا" المتكلم، و"أنت" المُخاطب، إلخ. وعندما نغادر اللغة من أجل مقاربة الفكر، فلن يكون بإمكاننا أبدا الحديث عن الدلالة اللغوية، عن القاعدة أو القيمة المواضعاتية. ما الذي يقابل إذن، على المستوى الذهني، الدلالة المواضعاتية للنموذج على المستوى اللغوي؟

في سياق التصور الذي أدافع عنه، المستوحى من أعمال ستراوسن، إيفانس وبيري، فإن المفاهيم، أو على الأقل تلك التي تحيل على جانب من العالم، هي بمثابة "مداخل" في الموسوعة الذهنية للذات: إنها بنيات من

المعطيات تصلح لتخزين المعلومات حول المرجع. وفي هذا الإطار النظري، فإن المفاهيم الإشارية لها وظيفة خاصة: إنها تصلح لتخزين المعلومات المحصّل عليها بفضل نوع من العلاقة بالمرجع، وهذه الوظيفة للمفهوم الإشاري، التي تقوم بإدخال بطريقة أساسية علاقة خاصة بالمرجع، هو ما يقابل الدلالة اللغوية الثابتة لتعبير إشاري. وتماما مثلما أن الدلالة اللغوية لإشاري ما تفرض نوعا من العلاقة ما بين المرجع وموطن الذكر بحيث تكون هي المرجع (المنجز - التفكيري)، فإن الوظيفة الخاصة بمفهوم إشاري تفرض أيضا نوعا من العلاقة بالمرجع: علاقة مولّدة للمعلومات عن المرجع، أي علاقة من الذات نحو المرجع بالشكل الذي تكون فيه الذات، بناءً على قاعدة هذه العلاقة، قادرة على الحصول على معلومات عن المرجع. المعلومات المحصّل عليها بواسطة هذه العلاقة يتم تخزينها تحت المفهوم الإشاري الذي تكمن وظيفته في تخزين المعلومات المحصّل عليها بهذا الشكل.

ويناظر كل مفهوم إشاري (نموذجي) نموذجاً خاصاً من العلاقة بالمرجع. في حالة المفهوم المعبّر عنه من خلال "هنا"، هناك نوع من العلاقة ما بين ذات ومكان، ممثلة في واقعة التواجد في المكان المعني. في حالة "أنا"، هناك نوع من العلاقة ما بين الذات وشخص ما، ممثلة في الهوية (واقع أن يكون الشخص المعني). ومن منطلق عتادنا الحسي والمعرفي، فإن هذه العلاقات مولّدة لمعلومات تتعلق بالمواضيع التي نقيم معها هذه العلاقات (نحن - أنفسنا، أو المكان الذي نتواجد فيه). عندما تكون ذات مزوّدة بملكة الإدراك، متواجدة في مكان ما، فإنها تستقبل آليا معلومات تتعلق بهذا المكان وبما يحدث فيه. وبالمثل، فإن ذاتا عادية تستقبل معلومات تتعلق بجسدها الخاص بفضل نسق تقبُّلي ذاتي وحسّي حركي. وتخزّن هذه المعلومات تحت مفهوم "هنا" أو "أنا". وما يعرّف هذه المفاهيم، هو واقع كونها تصلح لتخزين المعلومات المحصل عليها بناءً على هذه العلاقات.

وانطلاقا من هذه النقطة يبرز تساؤل مضاعف، يتعلق بحدود التمثيل ما

بين الإشارية اللغوية والإشارية الذهنية. بداية، وفي ما يتعلق بهذه الأخيرة، العلاقة الملائمة هل هي فعلا علاقة ما بين موطن ذكر المفهوم والمرجع، مثلما قلت ذلك أعلاه من خلال إشارتي إلى خاصية المنجز - التفكيري للإشارية الذهنية، أو هي بالأحرى علاقة ذات بالمرجع، مثلما أتيت على قوله الآن؟ لو تبنّينا الصياغة الثانية، أفلا يعني ذلك أننا نعترف ضمنيا [بوجود] اختلاف جوهري ما بين الإشارية اللغوية والإشارية الذهنية، علماً أنها وحدها الإشارية اللغوية هي بشكل حقيقي منجز - تفكيري؟ أجيب عن هذا السؤال الأول، أنه من منطلق أن "الذات" ليست سوى المفكر، أي الشخص الحامل للحياة الذهنية الذي ينتمي إليه موطن ذكر المفهوم، فإن الصياغتين لا تتعارضان بأي حال من الأحوال: والقول أن نموذجا إشاريا ما يفرض علاقة R [ع] ما بين الذات والمرجع، فإن ذلك يستلزم بالفعل أنه يفرض علاقة R' ما بين مواطن ذكر النموذج ومرجعه، ممثلة في العلاقة التي تسود عندما يكون الشخص الحامل للحياة الذهنية الذي ينتمي إليه موطن الذكر يقيم العلاقة R مع المرجع.

السؤال الثاني هو أكثر تعقيدا. ما الذي يعنيه بالتحديد موطن ذكر مفهوم ما؟ فبوصفه حدثا ذهنيا، يبدو أن موطن ذكر مفهوم يجب أن يقابل [عملية] تنشيط هذا الأخير، أي ذلك الذي يسمح بالوصول إلى المعلومات المخزّنة تحت المفهوم. ولكن المفهوم الذي يمكنه، أو لا، أن يكون مُفعّلا، والذي يشتمل على المعلومات المتعلقة بالمرجع، ذلك لا يمكن أن يكون المفهوم النموذجي مثلما قمت بتعيين خصائصه حتى الآن: لأن المفهوم النموذجي، بوصفه نموذجيا، لا يحيل أكثر مما تحيله الكلمة النموذجية "أنا" (أو"هنا")، بينما المفهوم بوصفه بنية من المعطيات التي تصلح لتخزين المعلومة المتعلقة بهذا الموضوع أو ذاك الذي تكون الذات في علاقة معه يحيل، انطلاقا من التعريف، إلى هذا الموضوع. يستتبع بناءً على ذلك أن تمييزا بسيطا ما بين نموذج وموطن ذكر لا يكفي من أجل التنظير للإشارية الذهنية. إذ يتوجب تمييز ثلاث أشياء: النموذج، مقام [إنتاج الخطاب] وموطن الذكر.

النموذج الخاص بالمفهوم هو قسم (من المفاهيم) معرف من خلال

نوع من الوظيفة. نموذج إشاري a هو معرّف من خلال وظيفة تخزين المعلومات المكتسبة بفضل نوع من العلاقة R. وبذلك هناك نموذج "هنا" الذي يستغل العلاقة الخاصة ما بين الذات والمكان الذي تتواجد فيه. هذه العلاقة، طالما تكون دائمة، فإنها تسمح للذات بأن تحصل (من خلال الإدراك) على معلومات تتعلق بهذا المكان، ويصلح مفهوم "هنا" لتخزين هذه المعلومات. يجب بالرغم من ذلك أن نميّز النموذج، أي قسم المفاهيم المحددة من خلال نوع من الوظيفة، والمفاهيم الخاصة لهذا النموذج، ممثلة في عناصر القسم. لا يحيل النموذج إلى أي مكان خاص ولا يسمح إذن بتخزين معلومات تتعلق ببعض الأمكنة مهما كان نوعها: وحده مفهوم خاص من هذا النموذج - "مقام الخطاب" الخاص بالنموذج- هو الذي يحيل، بفضل واقع أن الذات التي تمتلك هذا المفهوم توجد في العلاقة الملائمة لمكان خاص، الذي يحصل بناءً على ذلك على مقام المرجع. مقام خطاب من نموذج a هو إذن بنية من المعطيات الخاصة، المرتبطة بسياق خاص، ويصلح لتخزين المعلومات المتعلقة بالكيان، الذي تقيم معه الذات، في هذا السياق، العلاقة R. على سبيل المثال، وفي اللحظة التي أكتب فيها هذا الشيء، أتمثل كـ"هنا" مكانا ما، وهذا التمثل عبارة عن مفهوم محدد، يحمل مرجعا محددا (ممثلا في القاعة التي أتواجد فيها). في هذا المفهوم (مقام الخطاب) تكون متضمنة كل المعلومات التي أتوفر عليها في ما يتعلق بهذا المكان: المعلومات المدركة التي هي متاحة لي بفضل واقع أنني أحتل في الحاضر هذا المكان، أكثر من أي معلومة أخرى يمكنني أن أمتلكها من جهة أخرى. هناك مقام آخر من نموذج "هنا"، في سياق مختلف، سيكون مرتبطا بمكان آخر، ممثلا في المكان الذي سأتواجد فيه في هذا السياق الآخر. كل مقام خطاب هو قابل لحمل مواطن ذكر متعددة، موطن الذكر من منطلق كونه، كما أشرت إلى ذلك، يمثل الحدث الذهني المتمثل في واقع أن مفهوما (مقام خطاب) قد تم تفعيله، ليقدم بذلك منفذا للمعلومات المخزنة تحت هذا المفهوم.

المفاهيم الإشارية، المحللة بهذا الشكل، تمثل الأنموذج le paradigme الخاص بأنماط التقديم غير الوصفية. يمكننا أن نتمثل مفهوما غير

وصفي مثل "ملف" ذهني. عندما أحصل على معلومات عن موضوع خاص، فإنني أفتح ملفا متعلقا به؛ وإذا حصلت لا حقا على معلومات أخرى تتعلق بالموضوع المعني، فإني سألحقها بالملف. أهمية مفهوم الملف هو أنه يمكننا أن نفكك الملف في حد ذاته والمعلومة التي يتوفر عليها. يمتلك الملف، بوصفه بنية من المعطيات، وجودا خاصا، وبشكل خاص، تاريخا. يُفتح ملف ما بمناسبة حلقة ذهنية تستلزم موضوعا تمتلك الذات معلومات بشأنه. المعلومات المجمّعة في الملف يمكنها أن تكون صحيحة بدرجات متفاوتة، ومعرّفة إلى حد ما. إنها تحدد "شروط المطابقة" - الشروط التي يتوجب على موضوع ما أن يستوفيها لكي يكون "متقابلا" مع الملف - ولكن شروط الإحالة، مثلما رأينا ذلك، هي في الغالب شيء آخر. الملف، بوصفه بنية من المعطيات، وظيفته هي تخزين المعلومات التي تصل إلى الذات بفضل نوع من العلاقة بالمرجع. ما يحدد الإحالة، ليس هو محتوى الملف ولكن العلاقات التي تسمح للذات بالحصول على المعلومات التي تكمن وظيفة الملف في العمل على تخزينها: المرجع هو إذن الكيان الذي توجد الذات معه في العلاقة الملائمة، حتى وإن كان هذا الكيان، وتبعا لخطأ ما، "لا يقابل" المحتوى الوصفي للملف.

الفصل الحادي عشر

أنماط التقديم غير الوصفية

1 - الإشارية والإدراك

إن ذاتا مزودة بالقدرة على الإدراك تستقبل، عندما تكون متواجدة في مكان ما، بشكل آلي معلومات تتعلق بهذا المكان: تذهب هذه المعلومات إلى الملف الذهني "هنا". والشيء نفسه يحدث بالنسبة للمعلومات الخاصة بالذات نفسها التي نستقبلها بفضل نسق تقبلي ذاتي وحسي حركي، التي تذهب إلى الملف الذهني "أنا". يسمي جون بيري "علاقات إبستيمية أساسية" العلاقات التي، بفضل عتادنا الحسي والمعرفي، هي منتجة للمعلومة: فالمفاهيم الإشارية، من منطلق هذا المنظور، مشتركة مع علاقات إبيستيمية [معرفية] أساسية وتستقبل المعلومات المحصل عليها بناء على هذه العلاقات.

التصور الذي عرضته (انطلاقا من بيري) يربط الإشارية والإدراك: فمفهوم إشاري a يصلح لتخزين المعلومة المدركة المؤسسة على العلاقة الإبيستيمية R. تعترض على ذلك إليزابيث أنسكومب Elizabeth Anscombe[1] بشأن حالات العوز الحسي والذهني. تصف أنسكومب حالة شخص خضع لما يمكن تسميته بتخدير موضعي معمم، أي شخصٌ تكون كل أجزاء جسمه مخدرة، ولا يعود قادرا على أي شكل من الإدراك. يمكن لهذا الشخص أن يقول لنفسه بالرغم من ذلك : "لن أسمح لمثل هذه الوضعية أن تحدث مرة أخرى.". تبيّن حالات من هذا القبيل أنه يمكن أن تكون لنا فكرة إشارية (على غرار فكرة مستوى الشخص الأول / المتكلم) دون إدراك. يتوجب أن

نميّز هنا إذن ما بين نوعين من الأفكار الإشارية: تلك التي تكون مشبّعة من خلال الإدراك (على سبيل المثال فكرة "سيهشم هذا الرجل وجهه")، والأفكار الإشارية الخالصة، الفاقدة لكل محتوى إدراكي (يُنظر، المثال الخاص بأنسكومب). ويجب أن نوضح أن هذه الأخيرة تكون ممكنة- أي أن تكون المفاهيم الإشارية قادرة على الاشتغال في الفكر حتى في حالة غياب كل معلومة إدراكية.

يبيّن مثال أنسكومب أنه لا يمكننا أن نربط بشكل ضيق الإشارية والإدراك. بينما هناك شيء كان بإمكاننا أن نشك فيه قبليا بشكل من الأشكال. نريد أن تكون المفاهيم الإشارية مفاهيما حقيقية، وأن تكون الأفكار الإشارية أفكارا حقيقية. والحال أن الأفكار والمفاهيم يجب أن تستجيب لما أسماه إيفانس قيد العمومية. وبفضل هذا القيد، فإنه إذا كانت ذات تملك في اللحظة نفسها مفهوما عن شيراك ومفهوما خاصا برجل غني، يجب أن يكون بإمكانها أن تكوّن فكرة أن شيراك هو رجل غني. شخص ما يملك مفهوما ما يجب أن يكون قادراً على تركيبه مع المفاهيم الأخرى التي يمتلكها من أجل تكوين أفكار. وإذن فإن من يملك مفهوم الذات أو الأنا يجب أن يكون قادرا على تركيبه مع كل أشكال المفاهيم الأخرى: يجب أن يكون قادرا على أن يفكر ليس فقط أنه (الأنا) يشعر بوجع في رأسه ولكن أيضا أنه ولد سنة 1960، وأنه كان له جد بلغاري أو أنه سيموت في يوم ما. والحقيقة أنه، وخلافا للمعلومة التي تفيد أني أشعر بوجع في الرأس، معلومة أني مولود سنة 1960 لا يمكن أن تأتي من الإدراك. وإذن فإن مفهوم الذات، إذا كان مفهوما حقيقيا، يجب أن يكون قادرا على الاشتغال خارج المجال الضيق للإدراك. يجب أن أكون قادرا على أن أتمثل في وضعية الشخص الأول ليس فقط المعلومات التي تتعلق بشخصي - أنا التي أتلقاها من خلال الإدراك، ولكن أيضا المعلومات المتعلقة بذاتي التي أحصل عليها من خلال شهادة الآخرين، أو من خلال أي قناة أخرى ممكنة. وبعبارة أخرى، فإن المفاهيم الإشارية، لو كانت مفاهيما حقيقية، لا يمكنها أن تصلح فقط لتخزين المعلومات الإدراكية المؤسّسة على هذه العلاقة الإبستيمية الأساسية أو تلك.

المشكلة هي أنه لا نرى جيدا، انطلاقا من اللحظة التي نقبل فيها أن المفاهيم الإشارية يمكنها أن تتضمن أي معلومة مهما كان نوعها، إدراكية أم لا، ما يميز المفاهيم الإشارية عن باقي المفاهيم. على سبيل المثال، في مفهومي الخاص بجورج بوش هناك أنواع متعددة من المعلومات التي تتعلق به، بعضها من نموذج إدراكي، والأخرى ليست كذلك. ما هو الاختلاف ما بين هذا المفهوم ومفهوم أنا - نفسي إذا كان مفهوم أنا - نفسي يتضمن هو أيضا كل أنواع المعلومات، من نموذج إدراكي أو غير إدراكي، تتعلق بشخصي؟ لدينا هنا معضلة: لو أننا ربطنا بشكل وثيق جدا الإشارية والإدراك، فإن المفاهيم الإشارية لن تكون إطلاقا مفاهيما حقيقية، لأنها لن تستجيب [لاحقا] للقيد المتعلق بالعمومية. ولكن لو فرقنا بينهما من أجل الاستجابة لهذا القيد، فما الذي سيميّز المفاهيم الإشارية عن باقي المفاهيم؟

2 - المفاهيم المؤقتة والمفاهيم الدائمة

اقترحت في كتابي الإحالة المباشرة [الصادر باللغة الإنجليزية] الحل التالي. إن ما يميّز المفاهيم الإشارية ليس واقع أنها تتضمن فقط المعلومة الإدراكية ولكن واقع أن المعلومة الإدراكية التي تتضمنها هي المهيمنة. المعلومة الإدراكية مهيمنة في المفاهيم الإشارية من منطلق أن المفهوم لا يوجد إلا بالقدر الذي تكون فيه الذات، بفضل العلاقة الإبستيمية الأساسية، في موقع يسمح لها باستقبال المعلومة الإدراكية الملائمة. عندما تتوقف العلاقة الإبستيمية [المعرفية] بالموضوع عن الوجود، وبالتالي عندما لا تكون الذات في موقع يسمح لها باستقبال المعلومة الإدراكية، فإن المفهوم يختفي بكل بساطة. ومن ثمة فالمفاهيم الإشارية، في هذه النظرية، هي مفاهيم مؤقتة. ويظل وجودها متوقفا على السياق وعلى العلاقات التي تقيمها الذات مع المواضيع. المفاهيم الأخرى، مثل المفهوم الخاص بجورج بوش، ليس مؤقتا انطلاقا من هذا المعنى: إنه مفهوم مستقر، لأنه، لو كان يتضمن معلومة إدراكية، فإنها ليست معلومة مهيمنة. المفهوم يواصل بقاءه في الوضعية التي تسمح بالحصول على المعلومة المُدركة، بينما المفهوم الإشاري لا يستطيع البقاء في مواجهة هذه الوضعية.

ولنفترض على سبيل المثال، المفهومين التاليين: "هذا الرجل الذي يرمقني [الموجود] هناك" و"أستاذ أختي في البيانو". إن محتوى هذين المفهومين مختلف. في المفهوم الأول، نعثر على كل المعلومات التي بحوزتي المتعلقة بالرجل الذي ينظر إليّ، بداية من معلومات تأتيني بفضل واقع أني أدركه، وفي المفهوم الثاني، نجد كل المعلومات التي أتوفر عليها والمتعلقة بأستاذ أختي الذي يعلمها البيانو. زيادة على هذا الاختلاف في المحتوى، هناك اختلاف ثان مهم ما بين المفهومين، ممثلا في واقع أن الأول، وليس الثاني، هو مفهوم إشاري، أي مفهوم تكون فيه المعلومة المُدركة هي المهيمنة. ومن أجل إظهار هذا الاختلاف الثاني، يتوجب علينا محو الاختلاف الأول، من خلال الافتراض أنني أتعرف على الشخصين، مخاطبا نفسي بالقول: "هذا الرجل الذي ينظر إليّ [الموجود] هناك، هو أستاذ أختي في البيانو".

ما الذي يحدث عندما يتحقق التعرف؟ يتم تحويل محتوى كل مفهوم نحو الآخر، بالشكل الذي يجعل المفهومان يصلان إلى المرحلة التي يكون لهما فيها المحتوى نفسه. بيد أن المفهومين يظلان مختلفين، بالرغم من ذلك، ولهما مصائر مختلفة، من منطلق اختلاف وضعية المعلومة المدركة لدى كل منهما. نجد في المفهومين، بعد التعرف، من جهة، المعلومات المدركة المحصّل عليها بفضل العلاقة البصرية المتضمنة في المفهوم الإشاري "هذا الرجل الذي ينظر إليّ"، أي معلومة أن الأمر يتعلق برجل، يحمل قميصا أبيض، وكونه ينظر إليّ، إلخ، من جهة أخرى المعلومات المتعلقة بالمرجع بوصفه أستاذ أختي في البيانو، ممثلة في معلومة أنه ذو شخصية مضطربة، وأن دروسه مرتفعة الثمن، وهكذا دواليك. ولكن إذن وفي اللحظة التي تكون فيها المعلومات المكتسبة بفضل العلاقة المدركة المتضمنة في المفهوم الإشاري هي المهيمنة في هذا، فإنها ليست مهيمنة في المفهوم الآخر. ويعني ذلك أن المفهوم الأول، المفهوم الإشاري، ليس له سوى وجود مؤقت: إنه يوجد طالما أن العلاقة المعرفية الأساسية تسمح بجمع معلومات إدراكية تتعلق بالمرجع، ويختفي عندما تنكسر العلاقة. المفهوم الثاني، مستقر ويحافظ على بقائه في لقائه الإدراكي مع الموضوع.

بطبيعة الحال، كون أن المفهوم الإشاري يختفي فذلك لا يستلزم ضياع المعلومات المخزنة في هذا المفهوم. فمثلما رأينا ذلك، التعرف على "هذا الرجل الذي ينظر إليّ الموجود هناك" مع "أستاذ أختي في البيانو" يسمح بتحويل المعلومة المُدركة إلى المفهوم الثاني وهي المعلومة التي يمتلك المفهوم الأول وظيفة جمعها. وبذلك، فإنه وعندما يختفي المفهوم الإشاري، بعد قيامه بوظيفته، فإن المعلومة التي سمح بجمعها لا تضيع، لأنه تم القيام بتحويلها نحو مفهوم مستقر.

الاستقرار الذي تحدثت عنه الآن هو مسألة تتعلق بالدرجة. فعلاقة معلوماتية بالموضوع هي إلى حد ما دائمة أو مؤقتة. إذا التقيت بشخص ما في سهرة، فإني أكوّن مفهوما انتقاليا عن هذا الشخص، يسمح لي بتخزين المعلومات التي، واقع أني أشاركه الحضور أثناء السهرة، يسمح لي بجمعها. يملك هذا المفهوم نوعا من الديمومة: يحافظ مفهومي على بقائه، أثناء السهرة، في مواجهة التنقلات الصغيرة التي تجعلني أفقد الشخص المعني من مجال نظري عندما أكون بصدد التحدث مع شخص آخر. من هنا تأتي أهمية التمييز ما بين مقام الخطاب وموطن الذكر. مفهوم واحد هو المفهوم نفسه المتعلق باسم الإشارة، ومقام واحد هو المقام نفسه، يسمحان لي خلال السهرة بتخزين المعلومات المتعلقة بهذا الشخص - ولْنسمِّه لووانة -، حتى وإن كان المفهوم المعني غير مفعّل بشكل دائم. فإنه في كل مرة أكوّن فيها حُكماً يتعلق به، فإن موطن ذكر خاص بالمفهوم يتدخل، وهو ما يعني أن المفهوم قد تم تفعيله. وعليه يصّر المفهوم على الفاصل ما بين مواطن الذكر: فالمفهوم موجود طالما وجدت العلاقة بالموضوع التي تسمح بالحصول، من وقت لآخر، على معلومات تتعلق به.

ما الذي سيحدث بعد السهرة؟ العلاقة مع الموضوع تنقطع. ولكن علاقة معلوماتية أخرى تحل محل العلاقة الأولى: فأنا لم أعد في موقع يسمح لي بإدراك لووانة، ولكن واقع أني قمت بإدراكها أثناء الحلقة الأولى يضعني في موقع يسمح لي بتذكرها. أن أكون متواجدا مع لووانة يسمح لي أن أكتسب بشكل إدراكي معلومات تتعلق بها: ويسمح لي، واقع أني كنت

متواجدا معها، أن ألجأ إلى ذاكرتي وأن أستغل هذه المعلومات. يتشارك مع العلاقة الأولى مفهوم اسم الإشارة "هذا الشخص". ويتشارك مع الثانية متغيّر متجه صوب الماضي: اسم إشارة متعلق بالذاكرة، كما يقول إيفانس. تُحوّل المعلومات المخزّنة تحت المفهوم الأول أوتوماتيكيا تحت المفهوم الثاني (اسم الإشارة التذكري)، عندما تكون العلاقة المعلوماتية الأولية [الأصلية] متوقفة ويكون المفهوم مختفيا. هذا التحول لمفهوم اسم الإشارة إلى اسم إشارة تذكري يناظر ضبط المشيرات في الخطاب الذي تم جعله ضروريا من خلال التغييرات على مستوى السياق. مثلما يكتب فريغه في النص التالي:

"إذا أردنا أن نقول اليوم الشيء نفسه الذي تم التعبير عنه البارحة من خلال كلمة "اليوم"، سنعوّض هذه الكلمة ب [كلمة] "البارحة". وبالرغم من أن الفكرة هي نفسها، يجب أن يكون التعبير اللفظي مختلفا، من أجل تعويض التغيّر على مستوى المعنى الذي لن يتأخر الاختلاف في اللحظتين التي نتكلم فيهما عن إنتاجهما"[2].

هناك وضعية أكثر تعقيدا يتم خلقها حيث إنه، وبعد مرور ستة أشهر، عندما ألتقي مجددا بلووانة، داخل الميترو هذه المرة. إذا ما تعرّفت عليها، فإنه سيتم تجنيد مفهومين: مفهوم يتعلق باسم إشارة يقابل رؤيتي للووانة في الميترو، والمفهوم المتعلق باسم الإشارة التذكري المتمخض عن لقائي الأول معها. في حالة غياب عملية التعرّف، يظل المفهومان مستقلين الواحد عن الآخر ولا تنتقل المعلومة من الواحد نحو الآخر. عندما يحدث التعرّف، يتم ربط اتصال ما بين المفهومين بالطريقة التي تجعل المعلومة تتحرك بحرية: ما تعلمته من لووانة خلال اللقاء الأول يأتي ليُثري مفهومي عن هذا الشخص الذي أشاهده في الميترو، والعكس بالعكس. وكونهما متصلين، فإن المفهومين يتجهان نحو الالتحام وينتج عن ذلك، إذا جرى كل شيء على أحسن ما يرام، ميلاد مفهوم ثالث: مفهوم اعترافي، مؤسس على علاقة خاصة بالموضوع - علاقة ألفة. يكون موضوع ما مألوفا (بالنسبة لذات معيّنة) عندما تحدث لقاءات متعدّدة مع هذا الموضوع لدى الذات استعداداً

للتعرف عليه. المفهوم الإعترافي [أو التعرّفي] الخاص بلووانة الذي أطوّره بعد أن التقيت بها من جديد وتعرّفت عليها مؤسس على علاقة الألفة هذه. ولكن، وخلافا للمفهوم المتعلق باسم الإشارة الأولي، يتعلق الأمر بمفهوم مستقر، الذي يظل باقيا في مواجهة مختلف اللقاءات، لأن العلاقة المُؤسّسة نفسها مستقرّة.

3 - الإشارية المُعمّمة؟

هل يجب عل الخاصية المؤقتة والانتقالية، بناءً على الاقتراح المثار أعلاه، أن تُسهم في تعريف المفاهيم الإشارية في تعارض مع مفاهيم من مثل مفهومي عن لووانة أو مفهومي عن جورج بوش؟ التدرج المتعلق بهذا المعنى المجرد يمكن أن يقود إلى الشك في ذلك. هناك سبب آخر لرفض هذا المعيار المتصل بواقع أن مفهوما إشاريا بشكل أنموذجي، مفهوم الذات[أو الأنا]، ليس بأي شكل من الأشكال انتقالي. العلاقة الخاصة مع أنفسنا التي هي ثاوية في مفهوم الذات ليس هناك ما يجعلها مؤقتة، بالشكل الذي لا يمكن للخاصية المؤقتة أو غير المؤقتة للملف الذهني أن تُستعمل لتعريف المفاهيم الإشارية.

واقع أن يكون المفهوم مؤسسا على علاقة سياقية بالمرجع يبدو أنه المعيار الأمثل. يمكن للعلاقة السياقية المعنية، مثلما رأينا ذلك، أن تكون دائمة إلى حد ما، ومن هنا يكون الاختلاف ما بين "أنا" و"هنا". ويجبرنا تبنّي هذا المعيار على تمديد الإشارية إلى أبعد مما أسميته بالمفاهيم "الأنموذجية إشاريا" : ويجبرنا ذلك، بشكل خاص، على معاملة المفاهيم الإعترافية [أو الإقرارية] هي نفسها بوصفها مفاهيما إشارية. هناك خطوة أولى تم قطعها في هذا الاتجاه من طرف بوتنام، الذي اقترح أن نعتبر قسما فرعيا من المفاهيم الإعترافية، أي المفاهيم من النوع الطبيعي (ماء، نمر، إلخ)، كمشيرات. إننا نستعمل من أجل التعرف على الماء، حزمة من الخصائص العرضية تكوّن ما يسميه بوتنام بقالب. مرجع المفهوم، هو المادة، مهما كان نوعها، التي خلقت بفعل اللقاءات المتكررة لدى الذات

استعدادها للتعرف عليه من خلال خصائصه المُقولبة. طبيعة المادة، وبالتالي هوية المرجع (H_2O، أو أي شيء آخر)، تتوقف على السياق، على البيئة، وليس فقط على ما يوجد في رأس الذات (القالب) [أو التصورات النمطية]: وتأتي من هنا فكرة أن مفاهيم النوع الطبيعي هي مفاهيم إشارية. ويُعمّم هذا التحليل بكل يسر على مجموع المفاهيم الإعترافية.

وبمجرد إنجاز هذا التعميم، يمكننا أن نذهب أيضا إلى أبعد من ذلك، ونقوم بتمديد الإشارية إلى أبعد من المجال الضيق للمعرفة المباشرة. أسمي، انطلاقا من بوتنام وبورج، "تفاضلي" المفاهيم التي أتمثل انطلاقا منها المواضيع التي نوجد معها في علاقة بطريقة غير مباشرة، بوساطة المجموعة اللغوية [التي ننتمي إليها]. يمكن للمفاهيم التفاضلية أيضا أن تعتبر كمجموعة متنوعة من المفاهيم الإشارية، مثلما أن العلاقة بالمرجع تمرّ من خلال اللغة عوض أن تكون من نموذج إدراكي(3). عندما أحصل على اسم موضوع ما، فإني أحصل انطلاقا من ذلك على مدخل معرفي نحو هذا الموضوع يسمح لي بتكوين أفكار تتعلق به - حتى وإن كان ذلك فقط من أجل التساؤل عن طبيعته(4). يعطي بوتنام مثال [شجرتي] الزان والدّردار: ذلك أن العديد من الذوات ليس لها القدرة على التمييز ما بين هاتين الشجرتين، ولكنها تمتلك على الأقل، في قاموسها الخاص بفضل هاتين الكلمتين، مفهومين متمايزين: مفهومان تفاضليان يحيل كل واحد منهما إلى الشجرة التي تسميها الكلمة، في المجموعة اللغوية، حول الامتلاك الذي يتأسس منه المفهوم التفاضلي. بالنسبة لمثل هذه الذات، الدردار هو بشكل أساس شجرة مسماة "دردار". الخاصية العرضية التي تستعملها مثل هذه الذات الجاهلة من أجل تمييز أشجار الدردار عن أشجار الزان، ليس، كما هو حاصل بالنسبة لذات مطلعة، هو مظهر اللحاء أو شكل الورقة: ولكن خاصية أنها تسمى "دردار" (وليس "زان"). ما هي الشجرة التي تمتلك الخاصية المعنية - يتوقف ذلك على السياق. في مجموعتنا اللغوية، أشجار الدردار هي التي تسمى "دردار". ولكن يمكننا إلى حد بعيد أن نتخيل مجموعة منحرفة تسمي "الدردار" بأشجار الزان، والزان بأشجار "الدردار". في مثل هذا السياق، تكون بنية المعطيات الموضوعة في المكان من طرف الذات الجاهلة حول

كلمة "دردار" - وهو ما أسميته مفهوما تفاضليا- هي مفهوم خاص بالزان وسيكون له كمرجع أشجار الزان. الدور الذي تعلبه البيئة (نعني هنا، البيئة اللغوية) في تحديد الإحالة يبرر هذا التعميم الأخير للإشارية.

4 - المفاهيم الإشارية والمداخل الموسوعية

لنلخِّص الآن. لقد بدأت بتعميم إشارية اللغوي على الذهني. بعد ذلك، فإنه ولكوني ميّزت الإشارية الذهنية بوصفها الخاصية التي تمتلكها بعض المفاهيم والمتمثلة في كونها مؤسّسة على علاقة سياقية بالمرجع، وجدت نفسي مقودا إلى تمديد الإشارية إلى ما هو أبعد من الأمثلة الأنموذجية التي هي المفاهيم المؤقتة، المرتبطة بحلقة معرفية خاصة. هذه المفاهيم الخاصة - المفاهيم المتعلقة بأسماء الإشارة ("هذا الرجل") أو المفاهيم من مثل"هنا"، "الآن"، "اليوم"، "غدا"، إلخ. - لم تعد تشكل سوى قسم فرعي من المفاهيم الإشارية، إلى جانب مفاهيم أخرى إشارية التي، هي، دائمةٌ وليست عرضية: المفاهيم الإعترافية (المفردة، مثل مفهومي عن لووانة، أو عامة مثل مفهومي عن النمر). وبمجرد أن يتحقق هذا التعميم، يمكننا أن نذهب أيضا إلى أبعد من ذلك، وننشر الإشارية إلى أبعد من المجال الضيق للمعرفة المباشرة. تصبح الإشارية إذن هي القاعدة، في ما يبدو، أكثر من كونها استثناءً.

ولكن يجب أن يكون هناك شكل من أشكال المقاومة لفكرة الإشارية المعمّمة. من بين المفاهيم غير الوصفية، يتميز البعض منها بوضوح كاف عن المفاهيم الإشارية. وما يميز هذه الأخيرة، ليس هو فقط واقع أن الإحالة محددة بناء على قاعدة علائقية، ولكن أيضا فكرة أن هناك علاقة خاصة بالمرجع الذي يحدد نموذج المفهوم المعني. لقد دافعت عن فكرة، أنه حتى بالنسبة للمفاهيم الإعترافية، هناك وجود لمثل هذه العلاقة المكوّنة، ممثلة في علاقة الألفة: يكون موضوعا ما مألوفا إذا وفقط إذا خلقت لقاءات متكرّرة بهذا الموضوع لدى الذات استعدادا من أجل التعرف عليه. يجب أن نسجل بالرغم من ذلك أن العديد من المواضيع المألوفة هي مواضيع نمتلك

بشأنها معلومات مكتسبة من خلال التواصل. إنها في الغالب مواضيع نقيم معها علاقات متعددة، ونستقبل بخصوصها معلومات آتية من منابع عديدة. ولأجل ذلك، يجب أن نخصص مكانا لقسم من المفاهيم أسميها "مداخل موسوعية" وتصلح لتخزين المعلومات المحصّل عليها عن موضوع ما مهما كانت العلاقة التي تكون بفضلها المعلومة متاحة. وعليه فإن مفهومي الخاص بجورج بوش ليس مرتبطا بهذه العلاقة الخاصة أو تلك، من بين هذه العلاقات التي أقيمها معه. يمكننا أن ندافع بالقول إن الأمر نفسه يحدث بالنسبة للمفاهيم من النوع الطبيعي مثل "نمر" أو "ماء": صحيح أنه لدينا استعداد للتعرف على النمور أو الماء، ولكن ليس من المؤكد أن مفهومنا سيختفي بكل بساطة إذا فقدنا هذا الاستعداد، من منطلق تعددية الروابط المعلوماتية التي تربطنا بهذه المواضيع. وبالتالي فالعديد من مفاهيمنا هي مؤسسة هكذا على علاقات متعددة بالمرجع، ويبدو لي أنه من المعقول أن لا نصفها بأنها إشارية، بالشكل الذي يجعلنا نخصص هذه التسمية للمفاهيم التي تفرض نمطا من العلاقة الخاصة.

يقابل التمييز ما بين المفاهيم الإشارية والمداخل الموسوعية إلى حد ما، ما يقوم به بيري ما بين نمطين من التمثل، التمثلات "المفككة" التي نقوم بها بشأن المواضيع في استقلال عن وضعيتها بالنسبة لنا، والتمثلات "المركبة" أين تكون فيها المواضيع معطاة لنا في سياق منظور يحدد موقعها بالنسبة إلينا، ويسمح لنا بممارسة فعلنا عليها. وبحسب بيري، فإن النمط الإشاري للتمثل هو شكل إجباري في اللحظة التي يكون فيها الأمر متعلقا باستغلال معارفنا عن الموضوع من أجل القيام بالفعل. ويمكنني بذلك، أن أعرف أن **منطق الأسماء الخاصة**، لكريبكه، هو الكتاب الذي يمكن أن أجد فيه المعلومة التي أبحث عنها، ولكن من أجل أن أحصل على المعلومة المعنية هنا يجب في لحظة أو أخرى أن أتمثله بوصفه هذا الكتاب الذي يوجد أمامي. معرفة أن منطق أسماء الأعلام هو الكتاب الذي أحتاجه لن يفيدني في شيء إذا لم أستطع أن أحوّل هذه المعرفة إلى شكل يمكنه أن يسمح لي أن أضعها في الخدمة في إطار الفعل. لأجل أن أنتقل، بناءً على هذه المعرفة والرغبة التي أمتلكها في أن أحصل على المعلومة التي يحتويها

الكتاب، إلى الفعل وأقوم بفتح الكتاب، يتوجب أن أكوّن مسبقا الفكرة التالية: "هذا الكتاب هو منطق أسماء الأعلام" (أو: "منطق أسماء الأعلام، هو هذا الكتاب"). يضع هذا النموذج من التفكير في علاقة مفهوما إشاريا (هذا الكتاب) ومدخلا موسوعيا (منطق أسماء الأعلام) ويسمح بتحويل المعلومات المخزنة تحت هذا الأخير في شكل يسمح بـ [القيام] بالفعل(5).

ينطبق مفهوم الملف الذهني، وفكرة أن إحالة مثل هذا الملف محددة من خلال علاقات، على المداخل الموسوعية بالدرجة نفسها التي ينطبق فيها على المفاهيم الإشارية؛ الاختلاف بينهما هو فقط أن مدخلا موسوعيا لا يفرض نموذجا خاصا للعلاقة بالمرجع. وبالرغم من ذلك، فإنه وفي الحالتين، المحتوى التمثلي للمفهوم لا يرتبط بشكل باطني ولكنه ينبثق من الوظيفة المخصصة له داخل النسق المعرفي. والوظيفة المعنية هي التالية: الملف الذهني يجب أن يُفعّل عندما تكون الذات في موقع يتيح لها الحصول على معلومات عن موضوع ما، ويسمح بتخزين المعلومات التي تم جمعها هكذا(6). الملفات الذهنية هي إذن مثل الكاشفات التي يتحدث عنها دريتسكي Dretske، ولكنها أكثر تطورا. ومثلما رأينا ذلك في الفصل السابع، فلأن كاشفا D [ك] يتنشّط بشكل طبيعي بحضور موضوع من نموذج O [م]، ويولّد نموذجا من السلوك C [س] ملائم للمواضيع من نموذج O، فإنه يمكننا أن نسند إلى D وظيفة تعيين حضور مواضيع من نموذج O. تشكل مثل هذه الوظيفة التعيينية المحتوى التمثلي ل D. وفي إطار نسق اكثر تعقيدا (كما هو عليه الذهن البشري)، يملك الملف الذهني أيضا كوظيفة أن يتنشط [أو يتفعّل] بحضور هذا الموضوع أو ذاك، أو بحضور معلومات تتعلق بالموضوع، ويصلح من جهة أخرى لتخزين المعلومة المحصل عليها عن هذا الموضوع في الوضعية التي يكون فيها الملف مفعّلا. وتشكل هذه المعلومة التي جرى جمعها "محتوى" الملف، ولكن ما يحدد الإحالة ليس هو هذا المحتوى الوصفي، بل وظيفة الملف وعلاقته السياقية بمواضيع العالم التي يعمل على "تعقّبها".

إن الملفات الخاصة بالمعلومة هي أنماط للتقديم، بالمعنى الذي إذا

كانت فيه ذات تمتلك ملفي معلومات مختلفين عن موضوع واحد هو الموضوع نفسه، يمكنها دون افتراض وجود لا عقلانية أن تفكر أن هذا الموضوع هو F [م] وأن تفكر أنه ليس F، بتجنيدها في أفكارها للملفين الذهنيين المعنيين. تحيل الذات في هذه الحالة مرتين إلى الموضوع نفسه، من خلال إسناد له خصائص متناقضة، ولكن عقلانيته ليست محل تساؤل انطلاقا من واقع وجود ملفات ذهنية مختلفة. إذ يشكل الملف نفسه، وليس المعلومة التي يحتوي عليها، "المعنى" الفريغي (-الجديد). هل يوجد وفقا لذلك معنيان مختلفان انطلاقا من لحظة أن هناك ملفين مختلفان، حتى عندما يكون هذان الملفان يشتملان بشكل دقيق على عناصر المعلومات نفسها.

ملاحـــق

هوامش

التمهيد:

(1) M.Davies, compte rendu de Mental Content de C.McGinn, p.245 .

(2) Dennett, La stratégie de l'interprète, p.XV.

(3) Ibid, P. 295-307.

(4) تشير الإشارية الذهنية بشكل من الأشكال إلى أن الفكر لا يمتلك فقط "علم تراكيب" و"علم دلالة" ولكن أيضا (يمكننا أن نقول ذلك) "تداولية".

(5) Recanati, Le Sens littéral,p. 8.

الفصل الأول: فريغه، كارناب والآخرون

(1) نموذج ثالث من علم الدلالة (مختلف في اللحظة نفسها عن علم الدلالة المعرفي وعن علم الدلالة الإحالي) سيتم إدراجه ومناقشته في القسم الثاني من هذا الكتاب.

(2) هذه الحجة المقدمة لصالح علم دلالة إحالي تم تقديمها من طرف ديفيد لويس في كتاب "علم الدلالة العام" وجرى توظيفها أيضا من طرف غريث إيفانس وجون ماكدويل في مقدمتهم للكتاب الجماعي: الصدق والمعنى. وهي مذكورة باستمرار بوصفها حجة حاسمة. (نسجل هنا أنه، في كتاب "تشومسكي والثورة اللسانية"، يستعمل سيرل الحجة نفسها ولكن لفائدة النموذج الثالث لعلم الدلالة، ذلك الذي سيتم إدراجه لاحقا.)

(3) "لفظ مفرد" (على سبيل المثال اسم علم) يفترض أن تكون له كإحالة موضوع شخصي، بينما يحيل "لفظ عام" (على سبيل المثال اسم مشترك، أو صفة) على خاصية وينطبق على قسم من المواضيع، ممثلة في المواضيع التي تمتلك الخاصية المعنية.

(4) من أجل التبسيط، أترك جانبا، الأقوال العلائقية من مثل "جون يحب ماري"، حيث التعارض ما بين وظيفتين لا يمكن أن يتساوى مع التعارض ما بين "الموضوع" و"المحمول" (العبارة الحملية "يحب ماري" تتضمن تعبيرا يصلح للتعرف على أحد الأشخاص الذين نتحدث عنهم، ممثلة في شخصية ماري.)

(5) لا يعني ذلك أنه لا يمكننا أن نعيّن خاصية مثل البياض. البياض هو بالذات ما نتحدث عنه

والذي نحمل عليه شيئا ما عندما نقول "البياض هو ميزة نسبية". يبدو أن "البياض" في هذا القول يعيّن أو يشير إلى البياض.

(6) يتحدث فريغه عن "المفهوم" ولكن ما يعنيه بذلك يقابل بالأحرى معنى الخاصية.

(7) التعرف على معنى لفظ مفرد انطلاقا من خاصية ما هو مخالف لروح التفكير الخاص بفريغه، ذلك أنه بالنسبة إليه الخصائص (كما هو الشأن بالنسبة للمواضيع) تنتمي إلى مجال الإحالة، الذي هو متميز بشكل أساسي عن مجال المعنى. وزيادة على ذلك، فقد كان لفريغه تصور "ماصدقي" للخصائص، أقل مواءمة مع هذا التعرف (ينظر ما سيأتي في الإحالة رقم 10). في هذا التقديم، الذي ليس هدفه بشكل أساسي تفسيري، أمنح نفسي بعض الحرية: أعرض، وأستغل، أفكارا مستعارة من كتاب أذكرهم دون أن أنقلهم بشكل دقيق إلى النسق الذي ينحدرون منه، ومع القيام أحيانا بإسقاط بعض العناصر الأساسية لهذا النسق (مثل النزعة الماصدقية [أو التوسيعية] عند فريغه).

(8) إنها إحدى نتائج "مبدأ التركيبية"[أو التأليفية] الذي سنعود إليه لاحقا في مرات عديدة.

(9) ينظر رسالة هوسيرل بتاريخ 24 مايو 1891 في كتاب فريغه، Wissenschaftlicher Briefwechsel. خطاطة فريغه التي توضح موقفه تتم إعادة صياغتها في بداية مقال وايغينز D.Wiggins الذي يحمل عنوان "The Sense and Reference of Predicates".

(10) مثلما أشار إلى ذلك دومّيت في كتاب (فريغه: فلسفة اللغة، ص: 211)، فإن انتماء فريغه لـ "مبدأ الماصدقية" قاده إلى قول الشيء نفسه عن الخصائص التي هي ماصدقية بشكل تشاركي وبطريقة غير ضرورية (من قبيل "الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية" و"الرئيس المقبل للولايات المتحدة الأمريكية" في المثال الذي سيأتي). إذا ما قبلنا بهذا التصور التوسعي أو الماصدقي للخصائص، لن يكون بإمكاننا بعد ذلك أن نتعرف، كما فعلت ذلك، على معنى وصف محدد مع خاصية مفردة.

(11) في مثل هذا النموذج من الصيغ، يكون المحمول متبوعا بقوسين يظهر من خلالهما "حجج" المحمول (مفصولة من خلال فاصلة، في صورة ما إذا كان هناك العديد منها). هنا المحمول هو "أمريكي" والحجة هي "هذا الرجل".

(12) ينظر النقاش الوارد في كناب وليامز Williams، ما الوجود؟، ص: 10-12. ينظر أيضا مقالات ريد Read ("الهوية والإحالة") ولوكوود Lockwood ("On Predicating Proper Names").

الفصل الثاني: الإحالة المباشرة

(1) يستوحي هنا كابلان أفكاره من راسل (ينظر Principles of mathematics de 1903 الترجمة الجزئية ضمن كتاب راسل، كتابات في المنطق الفلسفي).

(2) عن الإحالة المباشرة، ينظر كابلان، "برهانيات"، وكتابي الإحالة المباشرة، وعن الصرامة، ينظر كريبكي، كتاب منطق أسماء الأعلام (وبشكل خاص التمهيد، بالنسبة لما يمس التمييز ما بين صرامة ما هو فعلي- واقعي وما هو قانوني). ملاحظة: مفهوم "الماصدق" الذي أستعمله بهدف تقديم أفكار كابلان لا يوضح هو موضوعه بشكل صريح، ولا يوضح موضوعه أو غرضه فريغه (باستثناء ما يرد في رسالة هوسيرل المذكورة أعلاه، في الفصل

الأول، هامش رقم 9). ولكن التمييز ما بين المحتوى/ والماصدق هو ضمني في المعالجة التي يقوم بها كابلان بالنسبة للأوصاف المحددة،مثلما أن التمييز ما بين إحالة / وماصدق هي ضمنية في معالجة فريغه للألفاظ العامة.

(3) حول المنجز- التفكيري، يُنظر كتاب الشفافية والتلفظ، في الفصل الثامن. التعبير الإنجليزي token-reflexive (التي اقترح بونوا دوكورنوليي Benoît de Cornulier أن يترجمها بـ "تفكيرية التلفظ" أو "التفكيري المتعلق بالاستعمال") يعود إلى هانز رايشنباخ في كتابه (Elements of Symbolic Logic §50)، الفكرة نفسها تم تطويرها من طرف إميل بنفينيست في أعماله المتعلقة بالتلفظ. (وقد عبر كابلان نفسه عن تحفظاته الشديدة في ما يتعلق بهذه الفكرة ويرفض كل "علم دلالة خاص بالتلفظ". أترك هنا جانبا هذه الخاصية المتعلقة بالنظرية الكابلانية).

(4) ومن ثمة، فجملة "إني ميّت" لا يمكن التلفظ بها بطريقة حقيقية، من منطلق أنه من أجل قول شيء ما يجب أن يكون صاحب القول حياً؛ ولكن لا شيء يمنع من تقييم محتوى القول "إني ميت" قياسا على مقام متميز عن كل سياق تلفظي ممكن بالنسبة لهذه الجملة. يمكننا القول: "إني ميت، ليس أمرا صادقا، ولكن كان من الممكن أن يكون كذلك." نتصور هنا مقاما مرهونا، حيث يكون المحتوى، الذي تعبّر عنه جملة "إني ميت" بناءً على سياق التلفظ (السياق الذي يكون فيه المتكلم حيا)، صادقا، أي مقام لا تكون فيه حية الشخصية التي، في مقام التلفظ الفعلي، تنطق الجملة وهي إذن حية فعلا من منطلق أنها تفعل ذلك. ليس هناك تناقض لأن المقام الذي يتحدث فيه المتكلم (= سياق التلفظ) والمقام الذي يستدعيه الخطاب (= مقام التقييم) هما مقامان مختلفان. (أو بشكل أكثر دقة: التناقض الوحيد في حالة من هذا النوع هو تناقض "تداولي" بين ما قيل وبين واقع [القيام] يقوله: ينظر [كتاب] الشفافية والتلفظ، الفصل العاشر).

(5) بالنسبة للتعامل مع أسماء الأعلام بوصفها مشيرات، ينظر مقال جونثان كوهن Cohen، " The Individuation of Proper Names " وكتابي :الإحالة المباشرة، الفصل 8- 9.

الفصل الثالث: علم دلالة الجملة

(1) من أجل نقاش عالم ومعمق، ينظر الكتاب المخصص لفريغه لفيليب دو روويلهان de Rouilhan.

(2) ينظر جيمس هيغينبوتام Higginbotham، كتاب " Frege, Concepts and the Design of Language ".

(3) Wiggins, «the Sense and Reference of predicates».

(4) Strawson, Entity and Identity,p.64-84

(5) ينظر كتابه Reference and Generality، الفصل الثاني.

(6) «I see nobody on the road», said Alice. «I only wish I had such eyes», the King remarked in a fretful tone. «to be able to see Nobody! Andat that distance, too!».

("ما الذي تراه؟- لا أحد، تجيب أليس.- كم أود أن تكون لي عينان مثل عينيك، يقول الملك بصوت حزين. أن تكون قادرا على رؤية لا أحد ! وزيادة على ذلك ! من هذه المسافة

البعيدة جدا"، الترجمة الفرنسية بابي J. Papy، صفحة: 366.)

(7) حول معيار بريور Prior [الفيلسوف والمنطقي المعاصر]، يُنظر وليامز Williams، كتاب: ما الوجود؟ ص: 46- 49.

(8) مع الأوصاف المحددة، تكون الأشياء غير مؤكدة بشكل كبير. إنكار أن "رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هو جمهوري"، يفضي ذلك بالتأكيد إلى الإقرار أنه ليس جمهوري: ولكن إذا أخذنا، عوض عامل السلب، عاملا آخر- عامل جهّي على سبيل المثال-، فإن النتائج لن تكون واضحة بشكل كبير. ومثلما رأينا ذلك، "رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كان من الممكن أن يكون جمهوريا" مفتوحة على قراءتين، بحسب ما إذا كان العامل يأخذ أو لا الوصف في مداه. يتجه إذن معيار بريور المأخوذ بشكل حرفي إلى إقصاء الأوصاف المحددة لفئة التعبيرات المعيّنة. ويشدد نتيجة لذلك، بحسب راسل، بعض الكتاب، على القرابة التي توجد ما بين الأوصاف المحددة والمكمّمات (ينظر على سبيل المثال، نيل Neale، في [كتابه] الأوصاف، وأيضا مقاله باللغة الفرنسية: "نظرية الأوصاف: الماضي والحاضر").

الفصل الرابع: البديل لعلم الدلالة الإحالي

(1) ما قاله فتغينشتاين كان بالضبط هو: "لا تسأل عن المعنى، اسأل عن الاستعمال"
«Don't ask for the meaning, ask for the use»

(2) Austin,Quand dire, c'est faire.

(3) ينظر: Geach, «Assertion», dans Logic Matters.

(4) من أجل محاولة حديثة في هذا الاتجاه، يُنظر Barker, Renewing Meaning

(5) ينظر على سبيل المثال Le dire et le dit p. 174

(6) ينظر Searle, «Les actes de parole indirects», dans Sens et expression

الفصل الخامس: اللغة وفعل الكلام

(1) حول فكرة أن الكفاءة الدلالية تتعلق بالتحكم بنظرية استنباطية، ينظر:
Davidson, Enquêtes sur la vérité et l'interprétation.

(2) نتحدث عن منطق غير أحادي الجانب عندما تكون نتيجة متوصل إليها انطلاقا من مجموعة من البواكير، يمكن أن يتوقف عن أن يُبرّر بمجرد ما نضيف بواكير جديدة إلى المجموعة الأولية. وانطلاقا من باكورة أن تيتي Titi هو طائر، يمكن أن نستدل أن تيتي يمكنه أن يطير؛ ولكن إذا دققنا الأمور بإضافة أن تيتي هو بطريق، فإن هذه النتيجة لا تكون صادقة.

(3) ينظر، حول "نظرية الذهن" وعلاقاتها بملكة اللغة، ريبول Reboul في كتابه اللغة والمعرفة الإنسانية، وحول فكرة المقياس بشكل عام، ينظر كتاب فودور Fodor، la modularité de l'esprit.

(4) Grice, «meaning». وفي ما يتعلق بنظرية غرايس ينظر الشافية والتلفظ، الفصل التاسع.

(5) ستراوسن، "القصد والمواضعة في أفعال الكلام"، في دراساته عن المنطق واللسانيات. ومثلما يشير إلى ذلك ستراوسن هو نفسه، فإن اختزال الأفعال المتضمنة في القول إلى أفعال

تواصلية لا ينطبق على ما أسميه، في الأقوال الإنشائية، الأفعال "المُصدِّقة".

(6) Searle, Les actes de langage, p. 87-90

الفصل السادس: التركيبية في اللغة والفكر

(1) Evans, The Varieties of Reference; Fodor et Lepore, the compositionality papers.

(2) ينظر فودور، The Language of Thought، وCarruthers, Language, Thought and Consciousness. ومن أجل منظور تاريخي ينظر، بناسيو Panaccio، الخطاب الداخلي.

(3) علم النفس الدلالي هو عنوان أحد مؤلفات فودور المخصصة لعلم دلالة لغة الفكر.

(4) ينظر في هذا السياق فودور، «Language, Thought, and Compositionality»

الفصل السابع: ما التمثل [أو التمثيل]؟

(1) إنها أطروحة برينطانو Brentano المعروفة. (ينظر علم النفس الخاص به انطلاقا من رؤية تجريبية).

(2) هنا في هذه المرحلة الثانية التي سيبدو فيها مفهوم الوظيفة مفصليا (وأكثر أساسية من مفهوم الإحالة).

(3) من أجل مقدمة عامة، ينظر Elisabeth Pacherie, naturaliser l'intentionnalité, IIIe, partie

(4) ينظر على سبيل المثال سيرل، القصدية الفصل السادس.

الفصل الثامن: الإحالة المباشرة ضد النزعة الوصفية

(1) ينظر Logic Matters,p. 155

الفصل التاسع: هل تنحل الإحالة المباشرة في النزعة الوصفية؟

(1) يمكننا أن نحلل بهذه الطريقة المثال الذي أذكره في كتاب الشفافية والتلفظ، (ص: 194) : عند دخوله في حجرة أين يوجد رجل وكلب، يسأل بيتر سيلر Peter Sellers (أو بالأحرى المفتش كلوزو Clouseau) الرجل إن كان كلبه يعضّ، يتلقى إجابة بالنفي، ويشرع في مداعبة الكلب، ويتعرّض لعظّة. يستشيط كلوزو غضبا ويوضّح الرجل إذن بقوله: " هذا ليس كلبي". لقد كان كلوزو محقا في غضبه، لأن المحتوى الوصفي المضاف الذي كان يحمله نظره باتجاه الكلب تم تجاهله بدون مسوّغ.

(2) مثلما عبّر عن ذلك بونوا دوكورنوليي Benoît de Cornulier بشكل جيد: فإن" الخاصية المعيّنة في تعريف [مشار] ما لا تصلح للتعبير (حمل) عن شيء ما لمرجعه، للإخبار بأنه يمتلك هذه الخاصية (وظيفة حملية)، ولكن بالأحرى، لكون افتراض أنها معروفة فوراً، فهي تستعمل بغرض تحديده (وظيفة إحالية)؛ إنها تصلح لتسميته...وعلى ذلك فإنه في التعبير القائل

الذئب، هو أنت، أنت تُستخدم للتعرف على الذئب، وليس للقول أننا نكلمه" (كتاب («Marquage et démarquage dans les pronoms personnels français»,p.116

(3) ينظر، حول علم الدلالة الثنائي الأبعاد، Kaplan, «Démonstratives»,et Stalnaker, context and content

(4) أيتعلق الأمر بالقول أنه يجب أن نعمل على رفض تعميم التحليل الثنائي الأبعاد بالنسبة لكل التعبيرات التي تحيل بشكل مباشر؟ يتوقف ذلك على الطريقة التي نؤوّل بها الإطار الثنائي الأبعاد. ما يمكننا أن نعممه بكل تأكيد، وحتى ما يتوجب أن نعممه، هو التمييز ما بين شروط إحالة تعبير ما معطى والمضمون الخاص بهذا التعبير في شروط صدق الأقوال التي يتجلى فيها. إذ بداية من اللحظة التي يتم التعبير فيها عن قضية مفردة، فإن مضمون التعبير في شروط الصدق هو المرجع نفسه: الشروط التي تحدده في السياق (شروط الإحالة) تكون معزولة ولا تظهر على مستوى القضية المعبّر عنها. نحن في حاجة إلى الإطار الثنائي الأبعاد لكي نتمثل بشكل مستقل مخطط شروط الإحالة ومخطط شروط الصدق. ولكن ذلك لا يعني أن كل التعبيرات الإحالية هي مثل المشيرات، ،انها تمتلك كلها، زيادة على "محتواها" (مضمونها في شروط الصدق)، "خاصية"[أوصفة]، أي محتوى وصفي يصلح، في السياق، لتحديد الإحالة. التمييز ما بين خاصية/ محتوى ليس سوى حالة خاصة من تطبيق الإطار الثنائي الأبعاد، مثلما أشار إلى ذلك Stalnaker (On Considering a Possible World as» Actual»2001). إن الشيء الذي يميز المشيرات، هو واقع أن شروط إحالة مشير ما تنعكس في دلالته اللغوية: ما نسميه "خاصيته"، هو بالتحديد شرطه الخاص بالإحالة بوصفه مندمجا مع دلالته اللغوية. ولكننا يمكن أن ننكر، على سبيل المثال، أن يكون لاسم علم خاصية بهذا المعنى. إذا كان كريبكي محقاً، فإن شروط الإحالة الخاصة بأسماء الأعلام تقوم بإدخال سلاسل سببية تربط ما بين استعمال خاص للاسم مع حامله؛ والحال أنه ومثلما سبق لي أن قلت، ليس هناك أي سبب يدعو إلى التفكير بأن هذه الشروط التي تحدد إحالة أسماء الأعلام تشكل جزءاً من معناها ويجب أن يتم التحكم فيها وتمثلها من طرف كل من يستعمل الاسم بطريقة موفقة.

(5) الأعمال الجادة لبوتنام – وبشكل خاص مقاله الشهير"معنى المعنى"- مجوعة في المجلد الثاني من Philosophical Papers (المعنونة Mind, language and Reality)، والأعمال الخاصة ببورج – ومن بينها مقاله الشهير «Individualism and the Mental» – المنشورة في المجلد الثاني من Philosophical Essays (المعنونة Foundations of Mind).

(6) Kaplan, «Afterthoughts» p. 604.

الفصل العاشر: الإشارية الذهنية

(1) بشكل أكثر دقة: هذا مستحيل إذا قمنا بتكميم درجات الاعتقاد(أو الشك). إذ من الممكن جدا أن نعتقد بشيء بنسبة 70 في المائة وأن نشك فيه بنسبة 30 في المائة.

الفصل الحادي عشر: أنماط التقديم غير الوصفية

(1) Anscombe, «The First Person»,p. 58

(2) Frege,Ecrits logiques et philosophiques, p. 178

(3) ينظر مقالي الموسوم «Can we believe what we do not understand?», ainsi qu'Oratio Obliqua, Oratio Recta, p. 270-274

(4) Millikan,On Clear and Confused Ideas, chap.6

(5) ما أتيت على ذكره بشأن المفاهيم الإشارية يناضل في ما يبدو ضد تدخل المفاهيم التفاضلية ضمن هذه الفئة. بالفعل، في ماذا يكون شكل مفهوم تفاضلي مرتبطا بالحركة؟ تبرز الإجابة الممكنة على هذا الاعتراض في التأكيد على أن هناك نموذج من الحركة [أو الفعل] مرتبط بالشكل التفاضلي: تكمن الحركة في مساءلة الخبراء (أو الأعضاء الأكثر كفاءة من المجموعة اللغوية).

(6) تفعيل الملف يجب أن يسمح أيضا باستغلال التمثلات التي يحتوي عليها من خلال التأثير بطريقة ملائمة في ما يتعلق بالموضوع.

قائمة المصادر والمراجع

ANSCOMBRE, E., [The First Person], dans S. Guttenplan (dir.), Mind and Language, Oxford, Clarendon Press, 1975, p. 45-65.

ARNAULD, A. et NICOLE, P., La Logique ou l'Art de penser, Paris, Deprez, 1662.

AUSTIN, J. L., Quand dire, c'est faire, trad. G. Lannes, Paris, seuil, 1970.

BARKER, S., Renewing Meaning, Oxford, Oxford University Press, 2004.

BENVENISTE, E., Problèmes de linguistique générales, Paris, Gallimard, 1996 (vol. 1) et 1974 (vol. 2).

BRENTANO, F., Psychologie du point de vue empirique, trad. M. de Grandillac, Paris, Aubier, 1944.

BURGE, T., Philosophical Essays, vol. 2: Foundations of Mind, Oxford, Clarendon Press, 2007.

CARNAP, R., Signification et nécessité, trad. F. Rivenc et P. de Rouilhan, Paris, Gallimard, 1997.

CARRUTHERS, P., Language, Thought, and Consciousness, Cambridge, Cambridge University Press, 1996.

CARROLI, L., Alice au pays des merveilles et Ce qu'Alice trouva de l'autre côté du miroir, trad. J. Papy, Paris, Jean-Jacques Pauvert, 1961.

CASTAH. N., The Phenomeno Logic of the " I ": Essays on Self-consiousness, Bloomington, Indiana University Press, 1999.

COHEN, L., [The Individuation of Proper Names], dans Z. Van Straaten (dir.), Philosophical subjects: Essays Presented to P.F.Strawson, Oxford, Clarendon Press, p. 140-163.

CORAZZA, E. et DOKIC, J., Penser en contexte: le Phénomène de l'indexicalité, suivi de [Frege et les démonstratifs] par J. Perry et [Comprendre les démonstratifs] par G.Evans, Combas, éditions de l'éclat, 1993.

CORNULIER, B. de, [Marquage et démarquage dans les pronoms personnels en français: nounoiement et vouvoiement], Studies in French Linguistics, 1:1, 1978, p. 115-158.

——— Effets de sens, Paris, éditions de Minuit, 1985.

——— Tigres et autres problèmes de sémantique, Nantes, MSH Ange Guépin, 2001.

DAVIDSON, D., Enquêtes sur la vérité et l'interprétation, trad. P.Engel, Nimes, éd. Jacqueline Chambon, 1993.

DAVIES, M., Compte rendu de Mental Content de C. McGinn, Mind and Language, 5:3, 1990, p. 245-248.
DENNETT, D., La Stratégie de l'interprète, trad. P. Engel, Paris, Gallimard, 1990.
DONNELLAN, K., [Reference and Definite Descriptions], Philosophical Review, 75, 1966, p. 281-304.
DRETSKE, F., Explaining Behavior: Reasons in a World of Causes, Cambridge, MIT Press, 1988.
DUCROT, O., Le dire et le Dit, Paris, éditions de Minuit, 1984.
DUMMETT, M., Frege: Philosophy of Language, Londres, Duckworth, 1973.
EVANS, G., The Varieties of Reference, Oxford, Clarendon Press, 1982.
——— et McDowell, J. (dir.), Truth and Meaning, Oxford, Clarendon Press, 1976.
FODOR, J., The Language of Thought, New York, Crowell, 1975.
——— La Modularité de L'esprit, trad. A. Gerschenfeld, Paris, éditions de Minuit, 1986.
——— Psychosemantics: The Problem of Meaning in the Philosophy of Mind, Cambridge, Mit Press, 1987.tha
——— [Language, Thought, and Compositionnality], Mind and Language, 16, 2001, p. 1-15.
——— et LEPORE, E., The Compositionnality Papers, Oxford, Clarendon Press, 2002.
FREGE, G., écrits logiques et philosophiques, trad. G, Imbert, Paris, Seuil, 1971.
——— Wissenschaftlicher Briefwechsel, Hambourg, F. Meiner, 1976.
GEACH, P., Reference and Generality, Ithaca, Cornell University Press, 1962.
——— [Assertion], dand Logic Matters, 2e éd., Oxford, Black well, 1981, p.254-269.
GRICE, P., [Meaning], philosophical Review, 66, 1957, P.377-88.
———[Logique et Conversation], trad. F.Berthet et M. Bozon, communications, 30, 1979, p. 57-72.
HIGGINBOTHAM, J., [Frege, Concepts and the Design of Language],dans E. Villanueva (dir.) Information, Semantics and Epistemology, Oxford, Blackwell, 1990, p. 153-171.
KAPLAN, D.,[Demonstratives: An Essay on the Semantics, Logic, MetaPhysics, and Epistemology of Demonstratives and Other Indexicals], suivi de [Afterthoughts], dans J. Almog, J. Perry et H. Wettstein (dir.), Themes from Kaplan, New York, Oxford University press, 1989, p.481-564 et 565-614.
KRIPKE, S., La Logique des noms propres, trad. P. Jacob et F. Recanati, Paris, éditions de Minuit, 1982.
LEWIS, D., [General Semantics] (1970), dans Philosophical Papers, Vol. 1, New York, Oxford University Press, 1983, p. 189-229.
LOCKWOOD, M.,[On Predicating Proper Names], Philosophical Review, 84, 1975, p. 471-98.
MILL, J.S., Système de logique déductive et inductive. Exposé des principes de la preuve et des méthodes de recherche scientifique, trad. L. Peisse, Paris, Ladrange, 1896 (réimp. Liège,Mardaga, 1988).
MILLIKAN, R, Language, Thought, and Other Biological Categories, Cambridge, MIT Press, 1984
——— On clear and Confused Ideas: An Essay about Substance Concepts, Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
MORRIS, C., Foundations of the theory of singns, Chicago, Chicago University Press, 1938.

_______ Signs, Language and Behavior, Englewood Cliffs, Prentice Hall, 1946.
NEALE, S., Descriptions, Cambridge, MIT Press, 1990.
_______ [La théorie des descriptions: passé et présent], Hermès, 7, 1990, p. 63-90.
PACHERIE, E., Naturaliser L'intentionnalité. Essai de Philosophie de la Psychologie, Paris, Presses Universitaires de France, 1993.
PANACCIO, C., Le Discours intérieur: de Platon a Guillaume d'Ockham, Paris, Seuil, 1999.
PEIRCE, C. S., écrits sur le signe trad. G. Deledalle, Paris, Seuil, 1978.
_______ Collected Papers, Cambridge, Belknap Press, Vol. 1-8, 1965-1966.
PERRY, J., Problèmes d'indexicalité, trad. J. Dokic et F. Preisig, Stanford, CSLI, 1999.
PRIOR, A., Essays in Logic and Ethics, Londres, Duckworth, 1976.
_______ Objets de pensée, trad. J.C. Pariente, Paris, Vrin, 2002.
PUTNAM, H., Philosophical Papers, Vol. 2: Mind, Language and Reality, Cambridge, Cambridge University Press, 1975.
_______ [Explication et Référence], trad. P. Jacob, dans De Vienne a Cambridge. L'héritage du positivisme logique de 1950 a nos jours, Paris, Gallimard. 1980, p. 307-330.
_______ [La sémantique est-elle possible?], trad. J.M. Marandin, dans La Définition, Paris, Larousse, 1990, p. 292-304.
_______ Représentation et réalité, trad. C. Tiercelin, Paris, Gallimard, 1990.
Quine, W.V.O., Le Mot et la chose, trad. J. Dopp et P.Gochet, Paris, Flammarion, 1977.
READ, S., [Identity and Reference], Mind, 87, 1978, p. 533-552.
REBOUL, A., Langage et cognition humaine, Grenoble, Presses Universitaires de Grenoble, 2007.
RECANATI, F., La Transparence et l'énonciation. Pour introduire a la pragmatique, Paris, Seuil, 1979.
_______ Les énoncés performatifs. Contribution a la pragmatique, Paris, éditions de Minuit, 1981.
_______ Direct Reference: From Language to Thought, Oxford, Blackwell, 1993.
_______ [Can we believe what we do not understand?], Mind and Language, 12, 1997, p. 84-100.
_______ Oratio Obliqua, Oratio Recta: An Essay on Metarepresentation, Cambridge, MIT Press, 2000.
_______ Le sens littéral. Langage, contexe, contenu, trad. C. Pichevin, Paris/Tel-Aviv, éditions de l'éclat, 2007.
REICHENBACH, H., Elements of symbolic Logic, Londres, Macmillan, 1947.
ROUILHAN, P. de, Frege: Paradoxes de la représentation, Paris, éditions de Minuit, 1988.
RUSSELL, B., [Knowledge by Acquaintance and Knowledge by Description], dans Mysticism and Logic and Other Essays, Londres, Longmans, Green & C, 1918, p.209-232.
_______ écrits de logique philosophique, trad. J.M. Roy, Paris, Presses universitaires de France, 1989.
SEARLE, J., Les Actes de Langage, trad. H. Pauchard, Paris, Hermann, 1972.
_______ [Chomsky's Revolution in Linguistics], New York Review of Books, 18:12, 1972.
_______ sens et expression, trad. J. Proust, Paris, éditions de Minuit, 1982.

——— L'intentionnalité. Essai de Philosophie des états mentaux, trad. C. Pichevin, Paris, éditions de Minuit, 1985.

STALNAKER, R., Context and Content: Essays on Intentionality in speech and thought, Oxford, Oxford university Press, 1999.

——— [On Considering a Possible World as Actual] (2001), dans Ways a World Might Be: Metaphysical and Anti-Metaphysical Essays, Oxford, Clarendon Press, 2003, p. 188-200.

STRAWSON, P., Les Individus. Essai de métaphysique descriptive, trad. A. Shalom et P. Drong, Paris, Seuil, 1973.

——— Entity and Identity, Oxford, Clarendon Press, 1974.

——— études de logique et de linguistique, trad. J. Milner, Paris, Seuil, 1977.

WIGGINS, D., [The Sense and Reference of Predicates: A Running Repair to Frege's Doctrine and a Plea for the Copula], dans C. Wright (dir.), Frege: Tradition and Influence, Oxford, Blackwell, 1984, p.126-143.

WILLIAMS, C.J.F., What is Existence?, Oxford, Clarendon Press, 1981.

WITTGENSTEIN, L., Recherches Philosophiques, trad. F. Dastur, M. Elie, J.L. Gautero, D. Janicaud et E.Rigal, Paris, Gallimard, 2005.

الثبت التعريفي

أ - علم الدلالة

علم الدلالة هو الاختصاص الذي يهتم بمعنى (بمحتوى) الأشكال اللغوية. يأخذ علم الدلالة الإحالي كقاعدة العلاقة ما بين الأشكال اللغوية وما تمثله؛ ويأخذ علم الدلالة المعرفي كقاعدة التمثلات الذهنية التي تتشارك معها الأشكال اللغوية؛ ويأخذ في الأخير علم الدلالة التداولي كقاعدة الدور الذي تلعبه الأشكال اللغوية في نشاط الكلام.

يقال عن علم دلالة ما أنه "ترجماني" عندما يكتفي بأن يشرك مع التمثلات التي يحللها تمثلات أخرى (مثلما أُتّهم علم الدلالة المعرفي أنه يقوم بذلك، الذي يشرك مع التمثلات اللغوية التمثلات الذهنية).

ب - إحالة

نعني بمصطلح "إحالة" العلاقة ما بين الأشكال اللغوية وما تمثله (ملاحظة. تُستعمل الكلمة أيضا لتعيين أحد حدود العلاقة، أي ما يمثله تعبير لغوي: إحالته. بهذا المعنى وبطريقة أقل غموضا، نتحدث أيضا في بعض الأحيان عن "مرجع" تعبير ما).

يمكن لعلاقة الإحالة أن تفهم بمعنى ضيق أو بمعنى واسع. بالمعنى الضيق، وحدها التعبيرات التعيينية، في تعارض مع التعبيرات الحملية، هي التي تحيل. القيام بالإحالة، بالمعنى الضيق، معناه إذن القيام بالتعيين

والعمل على التعرف على الموضوع (أو على أحد المواضيع) الذي نقول (أو "نحمل") عنه [أو عليه] شيئا ما. بالمعنى الواسع؛ أن تحيل (أو أن "تعيّن")، هو أن تكون حاملا لمحتوى تمثيلي ما يحيل بفضله التعبير على جانب من الواقع. التعبيرات التعيينية ليست هي وحدها التي تقوم بالإحالة، بهذا المعنى الواسع: كل تعبير يمثل شيئا ما يحيل إلى هذا الشيء. ومثلما أن التعبيرات التعيينية تحيل إلى المواضيع التي تسهم في التعرف عليها، فإن التعبيرات الحملية تحيل إلى الخصائص التي تسهم في إسنادها. حتى الجمل الكاملة يمكن أن يقال إن لها إحالة بهذا المعنى (بمعنى، وبحسب وجهة النظر التي تم الدفاع عنها في هذا الكتاب، حالة الأشياء التي تصفها الجملة، وشرط صدقها).

ت - ماصدق

ماصدق تعبير ما هو ذلك الشيء الذي ينطبق عليه. في حالة تعبير تعييني، ليس هناك اختلاف ما بين ماصدق وإحالة (على الأقل إذا سلمنا بفكرة أن تعبيراً تعيينيا "ينطبق" على الموضوع الذي يعيّنه)، ولكن في حالة التعبيرات الحملية إذا: كانت صفة، على سبيل المثال، تعيّن خاصية (إحالة) ولكن تنطبق على كل المواضيع التي تمتلكها (ماصدق). (ملاحظة: المواضيع المعنية تشكل أيضا ماصدق الخاصية).

استبدل علم الدلالة الإحالي، مع كارناب، مفهوم الإحالة الفريغي، الذي كان الأساس الذي بُني عليه الصرح، بذلك الذي، يجاور، الماصدق. (وبالرغم من ذلك، لا شيء يمنع من الاستعمال المتزامن للمفهومين، مثلما هو مقترح في هذا الكتاب.) الماصدق هو أيضا ما يسميه جون ستيوارت ميل "التعيين" الخاص بتعبير ما.

ث - المحمولات، المسند إليها والمكمّمات

التعبير الحملي، الذي يعيّن خاصية، لا يُستعمل بالضرورة بطريقة حملية، من أجل أن يسند هذه الخاصية إلى موضوع معيّن من طرف تعبير

إحالي (بالمعنى الضيق). يجب أن نميّز المسند إليه عن المحمولات الفعلية. إذ يحدث بالفعل أن نتحدث عن خاصية، معينة من قبل تعبير حملي، دون أن نسندها (دون أن "نحملها" على موضوع) ولكن من أجل أن نسند لها خاصية من الصف الثاني. ويمكننا بهذه الطريقة أن نحلل الأقوال الوجودية والمكمّمة. "هناك كائن أعلى" هي [جملة] تعلن شيئا ما لخاصية أن يكون كائنا أعلى، بمعنى أن ماصدقه ليس فارغا. وتعلن أيضا جملة "كل الإنجليزيات تغلب عليهن الصهبة" عن نوع من العلاقة ما بين خاصية كونهن إنجليزيات وخاصية كونهن صهبوات (بمعنى العلاقة الموجودة ما بين خاصيتين عندما يكون ماصدق واحدة متضمنا في ماصدق الأخرى).

ج - أنماط التقديم

يتعارض ما يمثله تعبير ما مع الطريقة التي يمثله بها. يمكن لتعبيرين تعيينين أن يحيلا على الموضوع نفسه، عندما يكون مقدّما بطريقتين مختلفتين. عندما ينظر رجل في المرآة مخاطبا نفسه، ويصرح : "أنت على الأقل، لم تخني أبدا"، فإنه يقوم بتعيين نفسه بنفسه بشكل متزامن في الشخص الأول والثاني ويعمل بذلك على الإحالة مرتين على نفسه، تحت "نمطين [مختلفين] من التقديم". يقدمه الشخص الثاني على أنه المُخاطب في الخطاب، المرسل إليه، بينما يقدمه الشخص الأول على أنه المُرسل أو منبع الخطاب [المتكلم].

يشكل نمط التقديم، بحسب فريغه، معنى التعبير، بمعزل عن إحالته (بمعنى: المرجع). لأن الشيء نفسه يمكن أن يقدم بطرق عديدة ومختلفة، وليس من قبيل اللاعقلانية أن نسند إلى الموضوع نفسه خصائص متناقضة إذا كنا غير واعين، بسبب تعددية أنماط التقديم، بواقع أن الأمر يتعلق بموضوع واحد هو الموضوع نفسه. وقياسا على ذلك،فإنه بالنسبة لفريغه، فإن خاصية واحدة ووحيدة هي التي يمكن أن تعيّن من طرف تعبيرين حمليين غير مترادفين اللذين يقدمان هذه الخاصية بطريقتين مختلفتين.

بحسب جون ستيوارت ميل، الشيء الذي بفضله ينطبق تعبير ما على

مواضيع تشكل "دلالته المطابقة" هو واقع أن هذه المواضيع تمتلك بعض السمات المرموز لها من خلال التعبير. وتشكل السمات المعنية "الدلالة السياقية" للتعبير. وبذلك يعيّن ضمير الشخص الثاني [المخاطب] خاصية أن يكون من يُرسل إليه الخطاب، بينما يعيّن ضمير الشخص الأول خاصية كونه هو المتكلم. وعليه تناظر الدلالة السياقية الخاصة بميل إلى حد ما المعنى الفريغي.(هناك بالرغم من ذلك اختلافات. وبالتالي، فإن الخاصية التي هي، بالنسبة لفريغه، الإحالة الخاصة بتعبير حملي هي دلالته السياقية في نسق ميل. وهذا الاختلاف هو نفسه نتيجة للاختلاف ما بين إحالة عند فريغه ودلالة مطابقة [تعيين] عند ميل، فالدلالة السياقية الميلية تناظر أو تقابل بالأحرى الماصدق أكثر من الإحالة الفريغية).

يلعب الزوج مفهوم/ ماصدق، في علم الدلالة الكارنابي، دوراً مماثلا للزوج معنى/ إحالة عند فريغه أو [الزوج] دلالة سياقية/ دلالة مطابقة عند ميل.

ح - التركيبية

من منطلق أنه، من جهة، علم تراكيب الألسنة البشرية يسمح بتوليد عدد غير نهائي من الجمل (بفضل الخاصية الصورية لـ "القابلية للتكرار")، وكون أن مستعملي هذه الألسنة يمتلكون، من جهة أخرى، القدرة على فهم أي جملة من الجمل المولدة بهذا الشكل، فإنه يجب بالطبع أن تستند هذه القدرة على آلية تسمح بحساب معنى جملة بناءً على معنى مكوناتها وتنظيمها التركيبي. يسعى علم الدلالة "التركيبي" إلى تحديد خصائص مثل هذه الآلية من خلال العمل على تعيين، للتعبيرات المركبة، محتوى يكون متوقفا حصريا على محتوى مكوناتها وبالشكل الذي تكون مؤلفة به في إطار التعبير المركب.

تطرح مسألة التركيبية على كل المستويات التي يمكن أن نميزها في التحليل الدلالي. ومهما تكن القيمة الدلالية المعتبرة (معنى، إحالة، ماصدق، إلخ)، فإن من مطالب التحليل هو أن تكون القيمة الدلالية للكل

متوقفة على القيمة الدلالية للأجزاء (وعلى تنظيمها التركيبي).

خ - الأوصاف المحددة

الوصف المحدد هو تعبير من مثل "الرئيس الأمريكي في أغسطس/ آب 2008"، الذي يدل، بحسب ألفاظ ميل، "دلالة سياقية" على خاصية (خاصية أن يكون رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس 2008) مع إشارته، من خلال أداة التعريف "ال"، إلى أن شخصا واحدا يمتلكها. إذا كان شخص واحد يمتلك فعليا الخاصية، فإنه هو المرجع (دلالة المطابقة، بالمعنى الذي يحيل إليه ميل) الخاص بالوصف؛ وإلا سيكون الوصف فارغا ولا يحيل.

الفكرة الفريغية المتعلقة بالمعنى بوصفه نمط تقديم للمرجع هو في الغالب موضّح من خلال مثال الأوصاف المحددة: معنى وصف (الطريقة التي يقدم بها مرجعه) يقابل الخاصية التي يرمز لها الوصف والتي يُفترض أن المرجع يمتلكها لوحده. من الواضح أن وصفين مختلفين (على سبيل المثال "الرئيس الأمريكي في أغسطس 2008" و"زوج لورا بوش") يمكن أن يكون لهما المرجع نفسه إذا كانا يقصدان الإشارة إليه من خلال خصائص مختلفة ويقدمانه إذن بطريقتين مختلفتين.

بعض الأوصاف المحددة، ودون أن تكون فارغة، هي غير كاملة لأن الخاصية التي تدل عليها دلالة سياقية مرموز لها جزئيا فقط وهي متوقفة على سياق التلفظ. وبالتالي فإن الوصف "الرئيس الأمريكي" لا يعيّن شخصا واحدا إلا إذا تم تحديد اللحظة الملائمة (أغسطس 2008) من خلال السياق. الوصف المحدد "الرئيس الأمريكي في أغسطس 2008" هو كامل: ومهما يكن السياق، فإنه يحيل إلى جورج بوش الإبن، الشخص الوحيد الذي يمتلك الخاصية التي يجري الترميز لها (والمتمثلة في كونه رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس 2008).

بحسب التمييز، الذي أصبح مشهورا بفضل دونيلان K. Donnellan، يمكن لوصف محدّد أن يُستعمل بطريقة إسنادية أو إحالية. ويستعمل وصف

ما بطريقة إحالية إذا حاول المتكلم تعيين شخص خاص ويستعمل الوصف المحدد لأنه يعتقد أن الشخص المعني هو المالك الوحيد للخاصية المرموز لها من خلال هذا الوصف. يمكن أن يكون في مثل هذه الحالات تباعد ما بين الإحالة والمتكلم (الشخص الذي يسعى إلى تعيينه والذي يعتقد أنه يمتلك الخاصية التي يجري الترميز لها) والإحالة الدلالية للوصف (الشخص الذي هو في الواقع الوحيد الذي يمتلك الخاصية التي يجري الترميز لها). يكون وصف ما مستعملا بطريقة خالصة أو إسنادية إذا كان هدف المتكلم أن يحيل إلى الشخص (الوحيد) الذي يمتلك الخاصية المرموز لها، أيّاً كانت.

د - شرط (شروط) الصدق، قيمة الصدق، القضية

يمثل القول الإقراري حالة الأشياء ويكون صادقا إذا (وفقط إذا) كانت حالة الأشياء المعنية متحققة في العالم. تصف جملة "جون كيري هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس 2008" حالة أشياء كان من الممكن أن تتحقق (لو أن كيري فاز بالانتخابات منذ بضع سنوات خلت) لكنه لم يفعل ذلك. وبالتالي فالقول كاذب. حالة الأشياء التي يكون بموجبها الإنجاز هو الشرط (الضروري والكافي) من أجل أن يكون القول صادقا تسمى شرط صدقه. (ملاحظة: في صيغة الجمع، تكون شروط الصدق لقول ما هي الشروط التي يجب أن تستوفى في العالم من أجل أن يكون القول صادقا: الشروط الضرورية إذن، ولكن التي يتم اتخاذها بشكل غير فردي، ليست حتما كافية. وعليه، فإن واحدة من الشروط التي يجب أن تستوفى من أجل أن يكون القول المذكور أعلاه صادقا، هو أن يكون كيري رئيسا لشيء ما في أغسطس 2008؛ ولكن ذلك لا يكفي بطبيعة الحال. ذلك أن "شرط" الصدق الخاص بالقول يمكن أن يوصف أنه وصل أو جمع لـ"شروط" صدق هذا القول).

قيمة صدق القول هو القيمة التي يأخذها بحسب ما إذا كان شرط الصدق مستوفى أم لا. هناك قيمتان ممكنتان صادق أو كاذب، بحسب الحالات. بالنظر إلى أسباب جرت مناقشتها في الكتاب، كان فريغه يرى في

قيمة الصدق الإحالة المتعلقة بالجملة، وشروط الصدق تتقابل بالأحرى مع معناها.

فكرة شرط الصدق تتقابل بشكل ضيق مع فكرة القضية المعبّر عنها من خلال القول. يعبّر قولان عن القضية نفسها إذا كانا صادقين ضمن الشروط نفسها (ضمن الظروف نفسها) أو، على الأقل، إذا لم يكن بإمكاننا أن نتخيل ظروفا من قبيل أن يكون الواحد صادقا والآخر كاذبا اعتمادا على هذه الظروف.

ذ - ظرف التقويم [= التقدير]

يمتلك القول شرط الصدق، ويكون صادقا إذا وفقط إذا كان هذا الشرط مستوفى. (يعبّر الرابط المتمثل في "إذا وفقط إذا" عن فكرة الشرط الضروري والكافي). شرط الحقيقة المتعلق بالقول "كيري هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس 2008" ، غير متحقق في الظروف الحاضرة؛ ولكنه سيتحقق في ظروف متخيّلة يكون فيها كيري هو الفائز في الانتخابات منذ بضع سنوات خلت. وبالتالي فإن القول يأخذ قيمة "صادق" أو "كاذب" بحسب ما يكون شرط الحقيقة متحققا أم لا في ظرف التقويم الملائم.

يتوقف أيضا ماصدق تعبير حملي - ذلك الشيء الذي ينطبق عليه- على ظرف التقويم. يتضمن ماصدق تعبير ما كل المواضيع التي تمتلك الخاصية التي يعيّنها؛ ولكن أي موضوع يمتلك هذه الخاصية أو تلك، فإن ذلك يتوقف على الظروف - على الأقل إذا كانت الخاصية المعنية هي خاصية غير ضرورية، يمكننا أن نمتلكها كما يمكننا أن لا نمتلكها. (ملاحظة. بفضل هذه الخاصية المشتركة لقيمة الصدق والماصدق التعبيرات الحملية، يمكننا أن ندافع بالقول أن قيمة الصدق هو ماصدق القول، من منطلق أن إحالة القول هي شرط صدقه - أي حالة الأشياء التي يمثلها. يتعارض هذا التصور، الذي دافعنا عنه في متن الكتاب، مع تصور فريغه، الذي يذهب إلى أن إحالة القول الإقراري هي شرط صدقه، وشرط صدقه هو معناه).

وعليه فإنه وبالطريقة نفسها، يحيل الوصف "الرئيس الأمريكي في أغسطس 2008" على جورج بوش الابن مادام أنه هو الرئيس، في الواقع، ولكن بالقياس مع عالم خيالي أين يكون كيري هو الفائز بالانتخابات، فإن كيري سيكون هو المرجع. إذ تماما مثل قيمة صدق القول، فإن مرجع الوصف يتوقف إذن على ظرف التقويم. وتسمح هذه الفكرة بتقديم حساب عن الأوصاف غير المكتملة: يكفي أن ننظر إلى ظرف التقويم على أنه مقام ضيق زمنيا. انطلاقا من المقام في أغسطس 2008، يعيّن [القول] "الرئيس الأمريكي" جورج بوش الابن، ولكن بالقياس إلى المقام التالي على الانتخابات التي جمعت بين كل من أوباما وماكين، فإنه يعيّن شخصا آخر. (هذا أمر مفهوم، أكتب هذا الثبت التعريفي في أغسطس 2008، أثناء الحملة الانتخابية الأمريكية. ومثلما تبينه الأمثلة المستعملة في متن الكتاب، فإنه قد حُرّر بالتزامن مع الحملة الانتخابية السابقة التي جمعت جورج بوش الابن بجون كيري.)

ر - الصرامة وأسماء الأعلام

تتوقف إحالة (أو،إن شئنا، ماصدق) وصف محدد مثل "الرئيس الأمريكي"، على ظرف التقويم. يختلف الشخص المعيّن، اعتمادا على إن كنا نتحدث عن الواقع أو عن مقام خيالي، في 2008 أو في فترة أخرى. تُقابل هذه الخاصية، الأوصاف مع تعبيرات تعيينية أخرى مثل أسماء الأعلام، التي يُحدد مرجعها مباشرة عن طريق المواضعة، بشكل مستقل عن ظرف التقويم. سواء تحدثنا عن الواقع أو عن مقام خيالي، فإن "جورج بوش" يعيّن دائما جورج بوش. وبالتالي فإن أسماء الأعلام هي إذن إحالية بشكل صارم بالمعنى الذي لا تتأثر فيه إحالة الاسم بتغيّرات ظرف التقويم.

ز - الإحالة المباشرة

بعض الأوصاف المحددة صارمة. لنأخذ "لون الحصان الأبيض لهنري الرابع": يمتلك هذا التعبير كمرجع له اللون الأبيض، مهما كان الظرف الذي يتم الانطلاق منه. فعلا ليس هناك أي ظرف لا يكون فيه حصان أبيض

(ذلك الذي يمتلكه هنري الرابع أو أي شخص آخر) أبيضاً. هنا صرامة الوصف له جانب مرتبط مع الخاصية الضرورية لحقيقة مثل "الحصان الأبيض هو أبيض". ولكن صرامة أسماء الأعلام لها منبع آخر: إنه يأتي من واقع أن أسماء الأعلام تحيل بشكل مباشر.

تتعارض الإحالة المباشرة مع الإحالة التوسطية للأوصاف المحددة. يحيل الوصف على هذا الموضوع أو ذاك بفضل خاصية يمتلكها الموضوع المعني (والتي تجعل منه مرجعا). ولكن أسماء الأعلام ليس لها محتوى وصفي: إنها مشتركة مباشرة مع الموضوع من خلال المواضعة. في حال غياب المحتوى الوصفي، فإن شرط صدق الأقوال أين يظهر التعبير يقوم بإدخال المرجع نفسه، وليس الخاصية أو الخصائص التي يتم من خلالها التعرّف على المرجع (الدلالة السياقية للتعبير)، مادام أنه لا وجود لمثل هذه الخاصية. يمكننا تمديد فكرة الإحالة المباشرة إلى حالة التعبيرات التي تشارك مع أسماء الأعلام الخاصية التي تقوم شروط صدق الأقوال أين تتواجد بإدخال المرجع نفسه (عوض الخاصية التي تسمح بإبراز مميزاته)، مع تقاسمها بشكل كامل مع الأوصاف، واقع امتلاك محتوى وصفي. ويصدق ذلك على الضمائر الشخصية. لقد رأينا أنها ترمز إلى خاصية(خاصية أن يكون من يُرسل إليه الخطاب، في حالة "أنت")؛ ومع ذلك فإن قول في صيغة المُخاطب [أو المرسل إليه] موجه إلى شخص a هو صادق إذا وفقط إذا كانت a تمتلك الخاصية المسندة إلى هذا الشخص من خلال التعبير الموجود في وضعية جملية في الجملة. لا تتضمن شروط صدق القول واقع أن تكون a هي من يرسل إليها الخطاب: فالخاصية المعنية تسمح فقط بالتعرف سياقيا على الشخص الذي نتحدث عنه. امتلاك المرجع للخاصية المرموز لها من خلال وصف محدد هو في المقابل شرط صدق للقول، على الأقل عندما يكون الوصف مستعملا بطريقة "إسنادية". القول "الفائز بالمسابقة (أياً كان) سيذهب إلى أستراليا" صادق إذا وفقط إذا فاز شخص واحد بالمسابقة وذهب إلى أستراليا. ولكن [القول] "ستذهب إلى أستراليا" الموجه إلى جون، صادق إذا وفقط إذا ذهب جون إلى أستراليا. ومهما يكن ظرف التقويم المأخوذ بعين الاعتبار، فإن السؤال الملائم هو ذلك المتعلق

بمعرفة ما إذا، في سياق هذا الظرف، سيذهب جون إلى أستراليا أم لا. يطرح سؤال معرفة إن كان هو مستقبل الخطاب أم لا في مرحلة سابقة، عندما نحاول تحديد شرط صدق القول (محتواه، ما يقوله، القضية التي يعبر عنها). عندما يتعلق الأمر بتحديد قيمة صدقه، فإن هذه الخاصية لا تدخل في سياق الحسبان.

س - الإشارية: خاصية ومحتوى

تمتلك التعبيرات الإشارية مثل "أنا"، "أنت"، "هنا"، "الآن" خاصية مزدوجة. فهي لا تحيل، من جهة، إلا بالقياس إلى سياق إصدار القول. تعيّن "أنا" المتكلم، و"أنت" المخاطب، و"هنا" مكان التلفظ إلخ. وهي، من جهة أخرى، إحالية بشكل مباشر: إنها تدرج شخصا (المرجع) في شروط الصدق أو القضية المعبّر عنها. الخاصية المرموز لها من خلال التعبير (خاصية أن يكون متكلما، أو مخاطبا، أو مكان أو لحظة التلفظ) تسمح بتحديد المرجع داخل السياق؛ ولكن المرجع المحدد بهذا الشكل في السياق هو الذي يتجلى في شرط الصدق.

يستتبع من خلال ذلك أنه يجب أن نميّز مستويين بالنسبة للتحليل الدلالي للمشيرات. دلالتها اللغوية، أو خاصيتها، هي قاعدة تسمح بتحديد، داخل السياق، مرجع التعبير. تمثل في حالة "أنا"، القاعدة التي بموجبها يعيّن موطن ذكر الكلمة، الشخص الذي يتلفظ بها. ولكن المحتوى الصدقّي للمشير (بمعنى إسهامه الخاص في شرط صدق القول) هو الشخص المحدد بهذا الشكل.

يأتي التمييز محتوى/ خاصية [أو صفة] استجابة للتمييز القائم ما بين سياق التلفظ وظرف أو مقام التقويم. ولنأخذ قول"إني ميّت". من أجل تحديد ما يقوله (القضية التي يعبّر عنها، شرط صدقها) يجب التعرّف على مرجع "أنا"، ومن أجل القيام بذلك يجب أن نأخذ في الحسبان السياق والتعرّف على الشخص الذي ينطق الجملة. ولنفترض أنه ألفردAlfred. من أجل تحديد ما إذا كان ما يقوله ألفرد صادقا، يجب أن نأخذ في الحسبان

شرط التقويم وأن نحدد ما إذا كان ألفرد (مرجع "أنا") يمتلك أم لا خاصية أن يكون ميّتاً في هذا الظرف. في المقابل، ليس على ألفرد، أن يمتلك، في ظرف التقويم، الخاصية التي تسمح بالتعرف عليه بوصفه المرجع في سياق التلفظ [أو النطق]. بالتأكيد، أنه وفي أغلب الحالات، ظرف التقويم ليس شيئا آخر غير المقام الذي يُنتج فيه القول، ولكن هناك أيضا حالات يكون فيها المقامين متمايزين. وبذلك يمكن للمتكلم أن يتصور ظروفا خيالية وأن يقوم [بصياغة] افتراضات، مثلما يحدث في: "لنتخيل المقام التالي. لقد مت وليس لدي أطفال. فمن يرث؟." من أجل الإجابة عن السؤال، يجب أن نتصور المقام الذي يكون فيه ألفرد قد مات، وإنه لمن الواضح أنه في مثل هذا المقام، لا يمتلك ألفرد الخاصية المدلول عليها من خلال كلمة "أنا"، أي خاصية أن يكون بصدد التكلم. تسمح هذه الخاصية فقط بتحديد مرجع "أنا" في سياق التلفظ، أي في المقام الذي يقوم فيه ألفرد ببلورة افتراضه (المختلف عن المقام الذي يفترضه أو يتخيله)؛ وبمجرد ما يكون المرجع مثبّتا في السياق، فإن هويته هي وحدها التي تهمّ عندما يتعلق الأمر بـ "تقويم" القول قياسا بظرف خاص.

ش - القوة المتضمنة في القول

يسمح السياق ليس فقط بتثبيت محتوى التعبيرات الإشارية، ولكن أيضا بتحديد قوة القول. تتوقف قوة القول على نموذج الفعل المتضمن في القول الذي يسهم في تنفيذه. تأكيد، اقتراح، تقديم النصيحة، تحذير، وعد، أمر، توسّل، تساءل هي بعض الأفعال المتضمنة في القول. وتمتلك هذه الأفعال في اللحظة نفسها محتوى (ما يتم تأكيده، اقتراحه، طلبه، إلخ) وقوة تناظر نموذج الفعل المعني (قوة النصيحة، قوة اقتراح، قوة أمر، قوة وعد...). قوة قول لا يمكن أن تحدد إلا في إطار سياق، حتى وإن كان القول هو نفسه، من خلال جهته (الإقرارية، الأمرية، الاستفهامية، الاختيارية، التعجبية) وعناصر أخرى من النوع نفسه، تعطي إشارات تتعلق بنموذج الفعل الذي تسمح بإنجازه.

ترجع ضرورة اللجوء إلى السياق من أجل تحديد قوة القول إلى عوامل عدة. تحمل من ناحية، الإشارات المنقولة من خلال الجهات، طابع الخطاطة: الجهة الأمرية [الإلزامية] تقابل عائلة واسعة من الأفعال المتضمنة في القول أكثر ما تقابل نموذجا من الفعل الخاص. من ناحية أخرى، حتى وبفضل جهته حيث تشير عناصر من الطبيعة نفسها للقول إلى تحقق فعل خاص متضمن في القول، فإن لا شيء يضمن أن القائل جدي ويفكر فعليا في إنجاز الفعل. في بعض الحالات، على سبيل المثال، يكتفي المتكلم بالقيام بعملية إخراج، بالتظاهر بإنجاز الفعل. وبالتالي يتظاهر المتكلم، في مجال السخرية، بتأكيد شيء ما (أو بتقديم أمر ما، أو نصيحة، أو الوعد بشيء ما) ولكن - إذا كان ساخرا- فإنه لن يقوم، في الحقيقة، بذلك. في الأخير، الفعل الذي يشير القول إلى تحقيقه يمكنه أن يكون مجرد دعامة لفعل مختلف منجز من خلال مترجمه (فعل الكلام غير المباشر). ومن ثمة فإن القول "أود أن تتنحى [قليلا]"، بالرغم من طابعه الإقراري وغير الإلزامي، يسمح بنقل طلب... إلزامي.

ص - المقاصد التواصلية

إنجاز فعل متضمن في القول، هو، من خلال سلوك معطى (التلفظ بجملة أو بأي شيء آخر)، الإظهار بكل وضوح ودفع المخاطب إلى التعرّف على القصد ("المتضمن في القول") في الحصول، من خلال هذا السلوك، على نوع من النتيجة: نقل معلومة إلى المخاطب، دفعه إلى العمل بطريقة ما، إلخ. بحسب نموذج النتيجة المقصودة، يسند للفعل المنجز هذا النموذج أو ذاك من القوة المتضمنة في القول. وبالرغم من ذلك، فإنه من أجل إنجاز فعل متضمن في القول، لا يكفي الإظهار والتعريف بقصد التأثير بالقول. يجب إظهار هذا القصد بكل وضوح، من خلال العمل على التعريف بشكل متزامن بالقصد على القيام بذلك، أي بالتصريح أيضا بالقصد (الثانوي) بإظهار والدفع إلى التعرف على قصد التأثير بالقول. إنجاز فعل متضمن في القول، هو إذن، انطلاقا من سلوك معين، إظهار للقصد (الثانوي) بدفع المخاطب إلى التعرف على القصد (الأول) الذي نمتلكه من أجل الحصول

من خلال هذا السلوك على نموذج معيّن من النتيجة. القصد الأول هو ما أسميته، بحسب أوستين، قصد التأثير بالقول؛ القصد الثانوي هو قصد متضمن في القول بشكل خالص. ولا يهم كثيرا إن كان للمتكلم قصد حقيقي في التأثير بالقول أو يتظاهر بذلك: يكمُن الفعل المتضمن في القول في إظهار بكل وضوح مثل هذا القصد، ويتوقف نموذج الفعل المتضمن في القول المنجز على نموذج نتيجة التأثير بالقول التي يظهر المتكلم قصده بكل وضوح من أجل أن يحصل عليها.

ض - العلامات الطبيعية وغير الطبيعية

ترتبط العلامات الطبيعية مع ما تدل عليه من خلال علاقة طبيعية أو "وجودية" (بيرس)، والتي هي في الغالب من طبيعة سببية، مثل علاقة الدخان بالنار. وبفضل هذه العلاقة، يستلزم حضور العلامة حضور الشيء المدلول. العلامات لا تمتلك هذه الخاصية في التواصل الإنساني: الإشارة التي أقوم بها من أجل التدليل على أن الطريق مفتوح لا تستلزم أنه مفتوح- يمكنني أن أخطئ، أو أن أكذب. يمكن لهذه العلامة غير الطبيعية (غرايس) بالرغم من ذلك أن يتم اعتبارها بوصفها علامة طبيعية - مؤشر- على القصد التواصلي الذي تفصح عنه، والذي يؤدي تعرّف المخاطب عليها إلى دفعه إلى الاستدلال (إذا كان يرى أن المتكلم صادق ومطلع على الوضع) بأن الطريق مفتوح.

حول فكرة أن الإشارات المستعملة في التواصل الإنساني هي "علامات طبيعية" بالنسبة للقصد التواصلي للمتكلم، يمكننا أن نعترض بالقول إن الإشارات المعنية هي في الغالب مواضعاتية. ولكن الاعتراض ليس قاطعا: فإنتاج إشارة من طرف من يقوم بالتواصل يظل علامة طبيعية، مؤشر، على قصده في تبليغ ما تدل عليه الإشارة من خلال المواضعة (بمعنى أن الطريق مفتوح، انطلاقا من المثال السابق). لأنه لماذا سيقوم بإنتاج هذه الإشارة إذا لم يكن لديه هذا القصد؟ فالتواصل الإنساني يكمن بشكل واضح في إعطاء[المتكلم]، كما يدافع عن ذلك غرايس، علامات عن

نيته في التواصل (عوض التقديم مباشرة علامات عمّا نسعى لتبليغه، كما هو الشأن في الأشكال البدائية للتواصل المستندة على استعمال المؤشرات بدل الرموز المواضعاتية).

ط - التأويل

هناك نوعان من التأويل يدخلان في عملية فهم القول: تأويل الأشكال اللغوية (التأويل الدلالي) وتأويل الأفعال (التأويل التداولي). التأويل الدلالي هو تركيبي ويستند على الحساب. التأويل التداولي يستند على طريقة مختلفة تماما: يتعلق الأمر بفهم مقاصد الفاعل وتحديد (في حالة ما إذا كان الفعل المنجز هو فعل كلام) بشكل سياقي الأسباب التي لأجلها يقول المبلّغ ما يقوله.

في التواصل اللغوي، يكون التأويل الدلالي ملحقا بالتأويل التداولي: المعنى الحرفي للقول، الذي يتم حسابه انطلاقا من معنى المكوّنات واعتمادا على الطريقة التي يتم بها تركيبها، لا يمثل سوى واحد من العناصر التي يمكن أن يستعملها المؤوّل من أجل تحديد القصد التواصلي للمتكلم والذي يتم، من خلاله إنجاز فعل الكلام.

ظ - القصدية

القصدية هي الخاصية التي تسمح للتمثلات بأن يكون لها محتوى وأن تقوم بالتمثيل لشيء آخر، دون أن يكون هذا الشيء الآخر في حاجة لأن يكون له واقع فعلي غير ذلك المتعلق بموضوع التمثل. تتعارض القصدية البدائية للحالات الذهنية الحاملة للمحتوى التمثلي مع القصدية المشتقة من الرموز (اللغوية أو غيرها) التي يعطي لها الفاعلون غير الآدميين نوعا من المحتوى بفضل التمثلات الذهنية التي يشركونها معها.

ولأن الشيء المتمثل ليس في حاجة لأن يوجد خارج التمثل، فإن "العلاقة" ما بين التمثل وما يمثله ليست علاقة حقيقية ما بين كيانين، كما هو الشأن بالنسبة للعلاقة ما بين العلامة الطبيعية (الدخان على سبيل المثال)

وما تشير إليه بفضل رابط سببي أو وجودي (النار على سبيل المثال). وبالرغم من ذلك، وعوض أن نجعل من القصدية الذهنية خاصية أحادية غير قابلة للاختزال، يريد بعض فلاسفة الذهن المعاصرين أن يضفوا صبغة "طبيعية" على هذه الخاصية الغامضة من خلال تحليلها بناءً على العلاقة ما بين العلامات الطبيعية وما تشير إليه (بواسطة استعمال مفهوم الغائية الأساسي أو الوظيفة، القابل هو نفسه للتطبيع في سياق منظور تطوري).

ع - النزعة الظاهرية

من وجهة نظر النزعة الظاهرية، فإن محتوى التمثل الذهني ليس خاصية باطنية لهذا التمثل، ولكنه يتوقف على عوامل المحيط والبيئة وعلى السياقات. ومثلما تحاول أن تؤسّسه تجارب تفكير كل من بوتنام وبورج التي تقوم بإدخال "الأرض التوأم" (Twin - Earth)، فإن التمثلات الذهنية لذاتين كانت لهما حياتين داخليتين غير متمايزتين ظاهريا، يمكن بالرغم من ذلك أن تختلفا من حيث محتواهما إذا اختلفت بيئتهما الخارجية (الطبيعية أو الاجتماعية) بطريقة متناسبة.

ثبت المصطلحات

فعل إخبار	acte d'assertion
فعل تلفظ/ قول	acte d'énonciation
فعل متضمن في القول	acte illocutoire
فعل الكلام/ كلامي	acte de parole
صفة	adjectif
ظرف	adverbe
مشابه/ نظير	analogue
حجاجي	argumentatif
أداة التعريف	article défini
إخبار	assertion
عيّن	assigner
إسناد / تخصيص	attribution
خاصية	caractéristique
سببية	causalité
معرفي	cognitif
تواصل	communication
كفاءة	compétence
تركيب/ تركيبية	compositionnalité
تصور/ مفهوم	concept
شرط	condition
شرط الصدق	condition de vérité
وصل	conjonction
رابط	connecteur
دلالة سياقية	connotation
محتوى	contenu
سياق	contexte
اسم إشارة	(pronom) démonstratif
دلالة المطابقة	dénotation
تعيين	dénotation
وصف محدد	description définie
نزعة وصفية	descriptivisme
تعيين	désignation
قول	énoncé
تقويم	évaluation
تعبير	expression
ماصدق مفهوم - تصور	extension intension
عامل	facteur
وظيفة - دالة	fonction
استلزام	implication
الإشارية	indexicalité
المشيرات	indexicaux(les)
مؤشر	indice
قصد	intention
لسان	langue
معجم	lexique
حرفي	littéral
لغة واصفة	métalangage
سلب / نفي	négation
مفهوم / معنى مجرد	notion
موضوع/ شيء	objet
مواطن الذكر	occurrences
عامل	opérateur
أنموذج	paradigme
ملائم	pertinent
إحالة	référence
مرجع	référent
علم الدلالة	sémantique
معنى	sens
دلالة	signification
مقام	situation
لفظ - حد	terme
استعمال	usage
قيمة الصدق	valeur de vérité

فلسفة اللغة و«الذهن»



هذا الكتاب

يمثل هذا الكتاب مقدمة لفلسفة اللغة المعاصرة. وقد أضفت القوسين في ما يتعلق بالعنوان الإضافي الموسوم "والذهن" [= فلسفة اللغة (والذهن)]، لأن فلسفة اللغة وفلسفة الذهن يشكلان كلاً غير قابل للتفريق، يسمى أحيانا "نظرية المحتوى"[أو نظرية المضمون] ويهدف إلى إيضاح طبيعة العلاقات التي تقيمها التمثلات، اللغوية أو الذهنية، مع الواقع غير اللغوي أو غير الذهني.

من الأمور التي أضحت تمثل واقعاً أننا بدأنا نلاحظ، منذ ربع قرن، انتقالا كثيفا لفلسفة اللغة نحو فلسفة الذهن. فمثلما كتب حديثا مارتن ديفيس Martin Davies في مجلة تحمل عنوانا معبِّراً (الذهن واللغة)، قائلا:" إن فلاسفة اللغة الذين وجدوا في سنوات الستينات [من القرن الماضي] أصبحوا فلاسفة للذهن في الثمانينيات والتسعينيات ". هذا الانتقال هو أبعد عن أن يكون غير مفهوم. هناك نقاط مشتركة عديدة ما بين اللغة والفكر، بالشكل الذي يجعل من بعض النتائج المحصل عليها من خلال دراسة اللغة، قابلة للاستثمار من منظور نفسي وليس لغوي مثلما كان يحدث من قبل. إذ أن الفكرة القائلة إن الفكر يشبه كثيرا لغة ما، تشكل هي نفسها موضوعا مركزيا في فلسفة الذهن.

فرانسوا ريكاناتي

فرانسوا ريكاناتي

فرانسوا ريكاناتي: فيلسوف مختص في فلسفة اللغة، مدير بحث في المركز الوطني للبحث العلمي، كما يشغل مديرا للدراسات في المدرسة العليا للدراسات في الغلوم الاجتماعية في باريس.

د. الحسين الزاوي

أستاذ فلسفة اللغة في جامعة وهران من مؤلفاته الفلسفة الواصفة عن مركز النشر الجامعي،القاهرة ومن ترجماته:هنري برغسون، بحث في المعطيات المباشرة للوعي عن المنظمة العرية للترجمة.

ابن النديم للنشر والتوزيع
الجزائر: حي 180 مسكن عمارة 3 محل
رقم 1 المحمدية
تلفاكس: 21341359788
خلوي: 213661207603
email: nadimedition@yahoo.fr

دار الروافد الثقافية - ناشرون
لبنان، بيروت، الحمراء، شارع ليون، بناية برج ليون، الطابق السادس
خلوي: 009613692828
هاتف: 009611740437
ص.ب: 6058 - 113 الحمراء
email: rw.culture@yahoo.com

ISBN 978-9931-599-02-9

